

الشيخ محمد حسن آل ياسين

سيرة الأئمة

الإثني عشرية

الجزء الثالث

دار المشرق العربي
بيروت - لبنان

سيرة الأئمة الإثني عشر (٤)

(٣)

السَّيِّدُ مُحَمَّدٌ حَسَنُ آلِ يَاسِينٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سِيَرَةُ الْأَئِمَّةِ الْإِسْنِي عَشْرٍ (ع)



الجزء الثالث

دار النشر العربي
بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للناسخ

الطبعة الأولى

١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م



دار المؤرخ العربي

بيروت - بئر العبد - مقابل بنك بيروت والبلاد العربية - بناية مختلة

تلفاكس: (٥٤١٤٣١) - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - صوب: ٢٤/١٢٤

البريد الإلكتروني: al_mouarekh@hotmail.com

www.al-mouarekh.com

دَلِيلُ مَوْسُوعَةِ الْعَلَامَةِ الْكَبِيرِ

السَّيِّدِ مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ
الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي تَالِبٍ

المؤلفات

المجلد صفر (٠): سيرته الدراسية والعلمية

المجلد الأول: أصول الدين

- الله بين الفطرة والدليل
- العدل الإلهي بين الجبر والاختيار
- النوبة
- الإمامة
- المعاد

المجلد الثاني: في رحاب الرسول (ص)

المجلدات الثالث والرابع والخامس: (سيرة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)

المجلدان السادس والسابع: من المؤمنين رجال (سيرة ٢٩ صحابياً).

المجلد الثامن: مفاهيم إسلامية

- في رحاب القرآن
- عباد الرحمن
- نهج البلاغة.. لمن؟
- المهدي المنتظر (عج) بين التصور والتصديق

المجلد التاسع: في رحاب الإسلام

- المادة بين الأزلية والحدوث
- الإنسان بين الخلق والتطور
- هوامش على كتاب نقد الفكر الديني

المجلد العاشر: الأعمال الفقهية

- على هامش كتاب العروة الوثقى
- مذكرات في الفقه الإستدلالي (١ و ٢)
- مناسك العمرة المفردة
- بين يدي «المختصر النافع»

المجلد الحادي عشر: أعلام من التراث

- الصاحب بن عباد حياته وأدبه
- محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد)
- منهج الطوسي في تفسير القرآن
- السيد علي بن طاووس (حياته، مؤلفاته، خزانة كتبه)

المجلد الثاني عشر: دراسات وصناعات

● شعر تراثي:

- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب في صنعتين
- من المستدرک علی دیوان الخزاززی المتوفی سنة ۳۳۰ هـ
- ديوان متمم بن نويرة
- ديوان مالك بن نويرة

● الأعمال اللغوية:

- صيغة (فَعَلَّ) في العربية
- (فَعِيلٌ) أم (فَعِيلٌ)
- ملاحظات في المعجمات المحققة المطبوعة
- المعجم الذي نظم إلى
- جوهرة الجمهرة للصاحب إسماعيل بن عباد ۳۲۶ - ۳۸۵ هـ
- مسائل لغوية في مذكرات جمعية
- (إبريق) لفظ عربي فصيح
- السلسبيل لفظ عربي فصيح

المجلد الثالث عشر: دراسات تاريخية

- تاريخ المشهد الكاظمي
- المعنى والأحاجي والألغاز
- تاريخ الحكم البويهي في العراق
- الأرقام العربية: فوائدها، نشأتها، تطورها
- تاريخ الصحافة الكاظمية
- لمحات من تاريخ الكاظمية
- لمحات من تاريخ الطبري

المجلدان الرابع عشر والخامس عشر: تاريخ الشعر الكاظمي ۳/۱

المجلدان السادس عشر والسابع عشر: معجم النبات ۲/۱

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرضٍ موجزٍ لسيرة الإمام التاسع من أئمة الحق الأصفياء المطهَّرين، معدن العلم ومصباح الهدى ومنار الشريعة ومهوى أفئدة المؤمنين، محمد (الجواد) بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته)، متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية، ومنها الولادة والنشأة، والكنية واللقب، والزوج والولد، مع وقفةٍ متأنية أمام روايات تاريخ الولادة وما يمكن أن يحوم حولها من شكوك وتساؤلات، وإشارات عابرة إلى بعض ما عانى هذا الشاب اليافع في تلك الحقبة الأولى من عمره من آلام وهموم، وما تفاقم منها شدة وعنفاً في حادث وفاة أبيه وما تردّد في سبب تلك الوفاة من سمٍّ وسوء قصد.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته)، شارحاً في الأدلة على إمامته في ضوء النصوص النبوية العامة الموثقة الدلالة والسند، والنصوص الخاصة المأثورة عن أبيه المسلّم الإمامة، مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا إمامة بدونه. ثم عرضتُ ما تضافرت عليه الشهادات التاريخية بأهليته للإمامة وكفايته لذلك وتفردته بالمواصفات المطلوبة التي أجمع جمهور فقهاء المسلمين على وجوب

اجتماعها في شخص القائم بهذا الأمر، إذ لا إمامة لديهم غيرها. مع بيان مقتضب لمجمل سير من ادعى الإمامة والولاية العامة في عصره، لغرض التوعية والمقارنة والتنبيه على حقائق الأمور.

ثم أوردتُ بشيء من الاستيعاب والتفصيل ما ذكر المؤرخون من علاقاته بحكام زمانه في مختلف جوانبها السلبية والإيجابية، وما اختار الله له من سرعة الوفود عليه وهو في عنفوان الشباب وزهرة العمر، ليعيش مع أجداده الطاهرين وآبائه الميامين في مقعد صدق عند ملك مقدر، وما قيل في أسباب وفاته ومنها احتمال أن يكون ذلك بالسم، وأن يكون الخليفة وابنة أخيه من وراء ذلك الاغتيال الأثيم، مع بيان يوم الوفاة وشهرها وسنتها ومكان مرقد المقدس ومشهده الشريف.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي تلقته الأمة من الإمام الجواد (ع)، فاستعرضتُ ما هو مسلم الثبوت في تحديد مصادر علم الإمام ومنابع فقهه وفضله، واتصال ذلك كله بالمأثور النبوي والعطاء الرسالي والتبليغ السماوي المنزل على سيد الخلق وخاتم النبيين (ص). ثم أوردتُ شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الذهبي الخالد الذي يمثل الفكر الإسلامي الناصع بأمانة وصدق، ويجسد الهدي الديني القويم بدقة وعمق، وكان من تلك الأمثلة الاستشهاد ببعض ما أثير عنه في تمجيد العقل والعلم والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن السلوك، كما أوردتُ نصوصاً بألفاظها لبعض ما روي عنه في مسائل علم الكلام والتوحيد وشؤون الأسماء والصفات الإلهية، وفي الحث على التمسك بالقرآن الكريم والشرع المبين، وفي اللجوء إلى الدعاء عند الشدائد والمهمات التي تثير قلق الإنسان المؤمن، وفي غير ذلك ونحوه مما يضمن صلاح الدارين وخير الناشئين.

ولما كان الفضل الأكبر في وقوفنا على ذلك التراث الزاهر - فيما أوردنا من شواهد وما لم نورد - إنما يعود حصراً لأولئك الرواة الذين شافهوا الإمام وسمعوا منه وحفظوا حديثه فنقلوه إلى الأجيال من بعدهم، كان التعرف بهم حتى بمجرد سرد الأسماء تنمةً ضرورية لا ينبغي إغفالها في هذا البحث، إن لم نقل بأنها جزءٌ لا يتجزأ منه لمن أراد الإلمام بجميع أطراف الموضوع واستيفاء جوانبه الأساسية. وقد التزمْتُ - لزيادة التعرف بهؤلاء الرواة - بذكر أسماء مؤلفات من نصَّ المترجمون له على كونه مؤلفاً له كتابٌ أو كتبٌ مدوّنة، عسى أن يكون في ذلك بعض التعبير عن الامتنان لهؤلاء الروّاد المتقدمين، وعن الاعتراز بجهدهم المشكور في الحفاظ على ذلك التراث المبارك ورواية نصوصه، وعن الاحترام والتقدير لمشاركتهم الفاعلة في عملية البحث والتدوين في أوائل المائة الهجرية الثالثة.



وفي الختام - كما في البدء - أكرّر حمد الله تعالى على نعمائه وآلائه، وأبتهل إليه عز وجل أن يسدّد الخطأ على الطريق، ويمدّد بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدّد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق/ بغداد - الكاظمية.

محمد حسن آل ياسين



1. The first step in the process of identifying a problem is to recognize that a problem exists. This is often done by comparing current performance with a desired state or goal.

2. Once a problem is identified, the next step is to define the problem more precisely. This involves identifying the causes of the problem and the scope of the problem.

3. The third step is to generate potential solutions. This is often done by brainstorming or using a structured problem-solving process.

4. The fourth step is to evaluate the potential solutions. This involves comparing the solutions against the criteria that were used to define the problem.

5. The fifth step is to select a solution. This is often done by choosing the solution that is most likely to be successful and that is most consistent with the organization's values and goals.

6. The sixth step is to implement the solution. This involves putting the solution into action and monitoring its progress.

7. The seventh step is to evaluate the results of the solution. This involves comparing the actual results with the desired results and identifying any areas for improvement.

8. The eighth step is to communicate the results of the solution. This involves sharing the results with the relevant stakeholders and providing feedback.

9. The ninth step is to document the solution. This involves recording the steps that were taken and the results that were achieved.

10. The tenth step is to review the process. This involves reflecting on the process and identifying any lessons learned.

11. The eleventh step is to apply the lessons learned to future problems. This involves using the knowledge gained from the current problem-solving process to inform future problem-solving efforts.

12. The twelfth step is to continue to monitor and improve the process. This involves regularly reviewing the process and making adjustments as needed.

13. The thirteenth step is to celebrate success. This involves recognizing and rewarding the individuals and teams that contributed to the successful resolution of the problem.

14. The fourteenth step is to share the success story. This involves sharing the story of the problem-solving process with the wider organization to inspire others.

15. The fifteenth step is to learn from the experience. This involves reflecting on the experience and identifying any lessons learned that can be applied to future problems.

16. The sixteenth step is to continue to improve the process. This involves regularly reviewing the process and making adjustments as needed.

17. The seventeenth step is to continue to monitor and improve the process. This involves regularly reviewing the process and making adjustments as needed.

18. The eighteenth step is to continue to monitor and improve the process. This involves regularly reviewing the process and making adjustments as needed.

الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

بَيْنَ وِلادَتِهِ وَإِمَامَتِهِ

كانت إطلالة محمد بن علي (الثاني) على آل محمد (ص) مثاراً لفرحة غامرة خصت الإمام الرضا (ع) وعمت جميع الآل ومن إليهم من شيعة ومحبين.

ونشأ هذا الوليد السعيد في دارة الوحي ومهبط التنزيل، ونما وترعرع في البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، حتى أصبح ذلك الشاب اليافع الذي تتطلع إليه النفوس قبل العيون، وتنجذب إليه البصائر قبل الأبصار.

وعاصر هذا الفتى منذ نعومة أظفاره آلام عصره وهموم دهره، وواكب شجون تلك الحقبة الزمنية الحافلة بالأحداث والمفاجآت ساعة بساعة ويوماً بيوم، فكان في كل ذلك مثالاً لأسمى مراتب الصبر والتحمل، والكظم والتوكل، أياً ما كانت الصعاب وكيفما تراكبت الخطوب.

في رحاب المدينة المنورة^(١) حيث بيت النبوة ومهد الرسالة، وفي إحدى ليالي شهر رمضان على الأرجح الأشهر^(٢) - ولعلها ليلة الجمعة^(٣) -، لتسع عشرة ليلة خلت منه^(٤)، أو في منتصفه^(٥)، أو الخامس منه^(٦)، أو كما قيل: لسبع عشرة ليلة مضت منه^(٧)، أو في اليوم العاشر من رجب^(٨)، ولد إمام الهدى محمد بن علي بن موسى بن جعفر (ع).

والمشهور لدى جمهور المؤرخين المعنيين بتواريخ الأئمة (ع) أن الولادة كانت في سنة ١٩٥ هـ^(٩)، كما أن المشهور المنصوص عليه في المصادر أن خروج الإمام الرضا (ع) إلى خراسان باستدعاء من المأمون

(١) بإجماع المصادر الآتي ذكرها.

(٢) الكافي: ٤٩٢/١ والإرشاد: ٣٣٩ وتهذيب الطوسي: ٩٠/٦ وكفاية الطالب:

٣١١ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و ٢ و ١١ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠.

(٣) إثبات الوصية: ١٨١ والمناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ وبحار

الأنوار: ١/٥٠ و ٢ و ٧ و ١١ و ١٣ و ١٥ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٤) إثبات الوصية: ١٨١ والمناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ والفصول

المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و ٢ و ٧ و ١١ ونور الأبصار: ١٤٧ وعمدة

الزائر: ٣٢٤.

(٥) المناقب: ٤٢٦/٢ ووفيات الأعيان: ٣١٥/٣ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤ وبحار

الأنوار: ١/٥٠ و ٢ و ٧ و ١٣ و ١٥ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٦) وفيات الأعيان: ٣١٥/٣ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤.

(٧) بحار الأنوار: ٣١٥/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٣.

(٨) المناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ وبحار الأنوار: ٧/٥٠ و ١١ و ١٣

وعمدة الزائرة: ٣٢٣.

(٩) الكافي: ٤٩٢/١ وإثبات الوصية: ١٨١ والإرشاد: ٣٣٩ وتهذيب الطوسي: ٦/

٩٠ وتاريخ بغداد: ٥٥/٣ والمناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ و ٧٥

وكفاية الطالب: ٣١١ ووفيات الأعيان: ٣١٥/٣ وتذكرة الخواص: ٣٦٨ ومنهاج

السنة: ١٢٧/٢ والفصول المهمة: ٢٤٨ والوافي بالوفيات: ١٠٥/٤ والنجوم

الزاهرة: ٢٣١/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و ٢ و ٧ و ١١

و ١٣ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٤٧ وعمدة الزائر: ٣٢٣.

كان في سنة ٢٠١هـ - وهي السنة التي أعلنت فيها ولاية العهد -، كذلك فإن الأرجح بل الصحيح في تاريخ وفاة الإمام الرضا وقوعها في سنة ٢٠٣هـ، ويكون مقتضى ذلك كله أن عمر الإمام الجواد يوم وفاة أبيه لا يتجاوز (سبع سنين وأشهرًا)^(١).

ولكننا على الرغم من شهرة هذا التاريخ كما أسلفنا، قد نجد في النفس ريباً وتردداً من قبوله وتصديقه، لأننا لم نقرأ في النصوص المأثورة ما يقنعنا بصحة ذلك أو يرجح لنا سلامته من السهو والوهم، ولعلنا نستطيع الزعم أن في مجموع الشواهد والقرائن ما يبعث على الشك القوي فيما ورد في تحديد التاريخ المذكور، بسبب التضارب في الأقوال والاختلاف في المعلومات، بنحوٍ يحمل الباحث على الحيرة والتردد، وخصوصاً عندما تردنا الإشارة إلى وجود هذا الاختلاف فيه منذ صدر القرن الرابع الهجري في قول المؤرخ المسعودي: (أهل الإمامة اختلفوا في مقدار سنّه عند وفاة أبيه)^(٢)، وربما يحتمل حصول تصحيف أو تحريف في الرواية الأولى لتاريخ الولادة كأن تكون خمساً وثمانين بعد المائة - مثلاً - فصُحِّفت إلى خمس وتسعين - خصوصاً إذا علمنا أنها ربما تُرسم يومذاك (وثمانين) -، ثم سرى هذا التصحيف في المصادر الناقلة عن الرواية الأولى جيلاً بعد جيل.

وحدّث الكليني والصدوق: أن الإمام الرضا (ع) لما خرج إلى خراسان (كان لأبي جعفر (ع) سبع سنين)^(٣)، ولكن ذلك لا يلتئم مع ما روي من أن الإمام الرضا لما حج قبل سفره إلى خراسان كان ابنه محمد معه في حجّه هذا، وكان (على عنق موقِّ الخادم يطوف به) (وله في ذلك

(١) إثبات الوصية: ١٨٥ - ١٨٦ والإرشاد: ٣٣٩.

(٢) مروج الذهب: ٨/٤.

(٣) الكافي: ٤٨٨/١ وعيون أخبار الرضا: ٢٨٥ وبحار الأنوار: ١٣٣/٤٩.

الوقت سنة^(١)، كما أن ذلك لا يلتئم مع ما رواه أحمد بن محمد بن أبي نصر ومحمد بن سنان وكانا بمكة (وأبو الحسن الرضا (ع) بها)، فقالا له: (جعلنا الله فداك، نحن خارجون وأنت مقيم، فإن رأيت أن تكتب لنا إلى أبي جعفر (ع) كتاباً نلم به، فكتب إلينا، فقدمنا - إلى آخر الرواية -^(٢).

فهل كان أبو جعفر مع أبيه في الحج أم كان في المدينة؟، وهل كان له في ذلك الوقت من العمر سنة أم كان في عمر المكاتب والمراسلة؟ وهل يمكن قبول رواية كونه حينئذ (على عنق موقف يطوف به) مع رواية أن أبا جعفر (ع) كان (يدبر أمر الرضا (ع) بالمدينة)^(٣) ومع رواية أمية بن علي التي يقول فيها: (كنتُ بالمدينة، وكنتُ أختلف إلى أبي جعفر (ع)، وأبو الحسن بخراسان، وكان أهل بيته وعمومة أبيه يأتونه ويسلمون عليه)^(٤). وهل ينسجم ذلك مع ما روى محمد بن أبي عباد - وكان يكتب للرضا (ع) بخراسان وقد ضمّه إليه الفضل بن سهل - من أن الرسائل والمكاتبات كانت مستمرة بين الإمام الرضا وابنه أبي جعفر (ع)، وقال: (وترد كتب أبي جعفر (ع) في نهاية البلاغة والحسن)^(٥).

ثم يبرز أمامنا موضوع زواج الإمام في حياة أبيه الرضا (ع) بابنة المأمون، وقد ذكر الطبري وآخرون^(٦) أنه كان في سنة ٢٠٢ هـ، ولكننا لم نتيقن صحة ذلك ولم نجد دليلاً يبعث على الاطمئنان به، وربما يقال أنه

(١) إثبات الوصية: ١٧٥ و ١٨٢ وبحار الأنوار: ١٢٠/٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٧/٥٠.

(٣) إثبات الوصية: ١٨٣.

(٤) بحار الأنوار: ٦٣/٥٠.

(٥) بحار الأنوار: ١٨/٥٠.

(٦) تاريخ الطبري: ٥٦٦/٨ وفتوح ابن أعثم: ٣٢٢/٨ ومروج الذهب: ٣٥٠/٣ وتذكرة الخواص: ٣٦١ وكامل ابن الأثير: ١٩٣/٥ والبداية والنهاية: ٢٤٩/١٠ وشذرات الذهب: ٣/٢.

مجرد عقدٍ شرعي فرضته الظروف السياسية الحادثة فتمّ في خراسان بحضور الإمام الرضا (ع) وغياب الزوج بالمدينة المنورة، أو أنه تعبير عن هوى وعزمٍ في نفس المأمون لتدعيم الرابطة بين بني علي وبني العباس. وخالف ابن قتيبة هذه الروايات - وتابعه آخرون من المؤرخين كما يأتي في الفصل التالي - فذكر أن الزواج كان في سنة ٢٠٧هـ^(١). وتردّد سبط ابن الجوزي في ذلك فقال: (واختلفوا هل زوّجه بها قبل وفاة أبيه أو بعده، فيه قولان)^(٢).

وورد في عدة روايات تاريخية: أن المأمون لما عزم على أن يزوج ابنته الإمام الجواد (ع) كان الإمام يومذاك في سن التاسعة وقيل: العاشرة وقيل: الحادية عشرة^(٣)، ولكن تلك الروايات لم تحدد السنة التي تمّ فيها ذلك، ولم تعين المكان الذي شهده وهل كان خراسان أو بغداد.

وجاء في إحدى روايات سبط ابن الجوزي: أن المأمون قد عزم (بعد موت علي بن موسى أن يعهد إلى محمد بن علي بن موسى الرضا، وإنما منعه من ذلك شغبُ بني العباس عليه) وخوفُ الانقسامات والفتن^(٤) كما جاء في النص، من غير إشارة إلى صغر السن أو عدم الأهلية في نظر العباسيين بسبب ذلك.

وهكذا يبدو في ضوء تضارب الروايات واختلافها الكبير أننا لا نستطيع القبول بتاريخ الولادة المشهور وتصحيحه على وجه الجزم واليقين، بل ينبغي القول بأنه كان أسبق من ذلك بعدة سنوات لا يعلم عددها إلا الله تعالى.



(١) المعارف: ٣٩١.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٦٨.

(٣) الإرشاد: ٣٤٢ والاختصاص: ٩٨ وبحار الأنوار: ٣٨١/١٠.

(٤) تذكرة الخواص: ٣٦٥ - ٣٦٦.

ومهما يكن من أمر تاريخ الولادة وما قد يقال فيه، فقد كانت إطلالة هذا الوليد الكريم مدعاة لسرور آل محمد (ص) وبهجته الغامرة، وكان فرح الإمام الرضا (ع) واهتمامه بقدم هذا الشبل الغالي المؤمل بالغاً منتهاه، ورؤي عن السيدة حكيمة بنت الإمام موسى بن جعفر (ع) أنها قالت: (حضرت ولادة الخيزران أم أبي جعفر، وقد دعاني الرضا (ع) فقال: يا حكيمة احضري ولادتها، وادخلي واياها والقابلة بيتاً. ووضع لنا مصباحاً...) ^(١)، كما روي في بيان ابتهاج الإمام الرضا (ع) بوليدته: أنه بقي يراقبه ويناغيه في مهده طيلة ليلته ^(٢).

وبعد إجراء مراسيم السنّة ومستحباتها الماثورة أعلم الرضا (ع) الجميع أنه سمّاه محمداً وكناه أبا جعفر ^(٣)، و«تقدم في آبائه (ع) أبو جعفر محمد وهو الباقر بن علي، فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه، فعرف بأبي جعفر الثاني» ^(٤) تمييزاً بينه وبين جده أبي جعفر الأول (ع).

واشتهر هذا الوليد منذ أول نشأته بلقبه (الجواد) حتى أصبح معروفاً به في مصادر التاريخ ^(٥) وبمثابة الاسم الثاني له على ألسن الناس، كما كان من ألقابه: المرتضى، والقانع، والتقني، والمنتجب

(١) المناقب: ٤٣٧/٢ وبحار الأنوار: ١٠/٥٠.

(٢) إثبات الوصية: ١٨١ وبحار الأنوار: ١٥/٥٠.

(٣) تاريخ بغداد: ٥٤/٣ وتهذيب الطوسي: ٩٠/٦ والمناقب: ٤٢٦/٢ وعمدة الطالب: ١٨٧ وشذرات الذهب: ٤٨/٢ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وينابيع المودة: ٣٨٥.

(٤) مطالب السؤول: ٧٤/٢ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ١٢/٥٠ و١٣ ونور الأبصار: ١٤٧.

(٥) وفيات الأعيان: ٣١٥/٣ وتذكرة الخواص: ٣٦٨ ومنهاج السنة: ١٢٧/٢ وعمدة الطالب: ١٨٧ والوافي بالوفيات: ١٠٥/٤ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٣ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ١١/٥٠ وتاريخ الخميس: ٣٣٦/٢.

أيضاً^(١)، ولكن (أشهرها الجواد)^(٢).



أمّا أمّه فقد كانت أمّ ولدٍ نوبيّة^(٣) مَرِيَسِيَّة^(٤) في الأصح الأشهر وزعم بعضهم أنها حبشية^(٥)، وقيل: هي روميّة^(٦) ولم نجد في المصادر ما يؤيد كونها حبشية أو رومية، وروى بعضهم أنها كانت من أهل بيت مارية القبطية أمّ إبراهيم بن رسول الله (ص)^(٧).

وكان اسم هذه الأمة الصالحة سَبِيكَة^(٨)، وُضِّحَ في بعض المصادر إلى سُكِينَة^(٩)، وقيل: كان اسمها دُرَّة^(١٠)، وقيل: ريحانة^(١١)،

(١) الإرشاد: ٣٥١ والمناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ والوافي بالوفيات: ١٠٥/٤ والنجوم الزاهرة: ٢٣١/٢ وبحار الأنوار: ٥٠/١٢ و١٣ و١٦.

(٢) كفاية الطالب: ٣١١ والفصول المهمة: ٢٤٨ ونور الأبصار: ١٤٧ وينابيع المودة: ٣٨٥.

(٣) الكافي: ٤٩٢/١ والإرشاد: ٣٣٩ والمناقب: ٤٢٦/٢ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و٢ و٧ و١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٤) المناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ٧/٥٠ و١١ و١٢ ونور الأبصار: ١٤٧.

وقال ياقوت في معجم البلدان: ٤٠/٨ (مريسة: جزيرة في بلاد النوبة كبيرة يجلب منها الرقيق).

(٥) المحبر: ٣٠٨.

(٦) عقيدة الشيعة: ١٩٧.

(٧) الكافي: ٤٩٢/١ وتهذيب الطوسي: ٩٠/٦ والمناقب: ٤٢٦/٢ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و٢ و٧ و١١ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٨) الكافي: ٤٩٢/١ وإثبات الوصية: ١٨١ والإرشاد: ٣٣٩ والمناقب: ٤٢٦/٢ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و٢ و٧ و١٣.

(٩) مطالب السؤل: ٧٤/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٤٨ وبحار الأنوار: ١١/٥٠ و١٢ ونور الأبصار: ١٤٧.

(١٠) المناقب: ٤٢٦/٢ وبحار الأنوار: ٧/٥٠ و١٣.

(١١) المناقب: ٤٢٦/٢ وبحار الأنوار: ٧/٥٠ و١١ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

وجاء في عدد من كتب السلف: أن الإمام الرضا (ع) قد سماها (خيزران)^(١)، كما ورد أنها (كانت أفضل نساء زمانها)^(٢).



ونشأ هذا الوليد السعيد في بيت الوحي ومستقر التنزيل، حيث كان مختلف الملائكة ومهبط الروح الأمين، وحيث أنزل الله تعالى أعظم شرائعه وآخر كتبه على خاتم أنبيائه وسيد رسله، وحيث كرم رب العزة أهل ذلك البيت المبارك أفضل تكريم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، واختارهم بإرادته وانتقائه لإمامة الدين وولاية الأمر، كما نص على ذلك نبيه المصطفى الصادق بالحق والمبلغ للغيب، وهو الذي لا ينطق عن الهوى ولا يخرج على أمر الله ولا يتعدى حدود وحي السماء.

إنه ابن الأئمة المنتجبين، وسليل الأئمة الميامين، وأحد حلقات تلك السلسلة الذهبية المشار إليها بالبنان في تاريخ الإسلام. وقد دلنا النصوص الثابتة التي تضمنتها كتبنا السابقة المعنوية بسير آباءه الأكارم - وهم الصفوة المختارة من أهل الأرض، علماً ودينياً، وزهداً وتقياً، وهدياً وصلاحاً، وسلوكاً وأخلاقاً - أنهم كانوا المؤهلين دون غيرهم باعتراف القريب والبعيد والمؤلف والمخالف، للإمامة الحقة وولاية الأمر الشرعية كما أرادها الله تعالى لعباده المؤمنين، وأن أولئك الذين تقمصوا الخلافة بالقوة والقهر أو بالخداع والمكر أو بالإغراء وشراء الذمم لم يكونوا خلفاء الرسول وأئمة الدين وإن زعموا ذلك، لفقدانهم صفات التأهيل المقررة في مدونات الفقه الإسلامي والأحكام السلطانية.

(١) الكافي: ٤٩٢/١ وتهذيب الطوسي: ٩٠/٦ والمناقب: ٤٢٦/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و ٢ و ٧ و ١١ و ١٣ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠.

(٢) إثبات الوصية: ١٨١.

وهكذا فتح محمد بن علي (الثاني) عينيه على الدنيا في تلك الأجواء النقية المطهرة، وتربى وترعرع في تلك الأحضان الدافقة بالحب والحنان، وحبا وسار على ذلك الصعيد المبارك المقدس، ونما وشبّ في تلك البيئة الصالحة المصفّاة، حتى أصبح ذلك الشاب المتألّيء الذي تتطلع إليه النفوس قبل العيون، وتتملاه البصائر قبل الأبصار، وتنجذب إليه الأفئدة قبل الأسماع والأنظار.



ولما بلغ عمر الزواج والاقتران اختار إحدى أمهات الأولاد شريكة لحياته.

ورُزق من الذرية ابنيّه علياً (الإمام الهادي) وموسى^(١) وابنتيه فاطمة وأمامة^(٢)، ونصّ بعض المؤرخين - ومنهم الشيخ المفيد - أنه لم يخلف ذكراً غير الولدين المتقدمين^(٣)، وزعم بعضهم أن له ولداً اسمه الحسن^(٤)، كما قيل أن له من البنات أيضاً حكيمة وخديجة^(٥).
أما زوجته أم الفضل بنت المأمون فلم يُرزق منها ولداً^(٦).



(١) الإرشاد: ٣٥١ والمناقب: ٤٢٧/٢ وعمدة الطالب: ١٨٨ والفصول المهمة:

٢٥٨ وبحار الأنوار: ٣/٥٠ و٨ و١٣ و١٥ ونور الأبصار: ١٤٩ وينابيع المودة:

٣٦٥ و٣٨٥.

(٢) الإرشاد: ٣٥١ والمناقب: ٤٢٧/٢ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الأنوار: ٥٠/

٣ و٨ و١٣ ونور الأبصار: ١٤٩.

(٣) الإرشاد: ٣٥١ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٣/٥٠.

(٤) ينابيع المودة: ٣٨٥.

(٥) المناقب: ٤٢٧/٢ وبحار الأنوار: ٨/٥٠ و١٣.

(٦) المناقب: ٤٢٧/٢ وبحار الأنوار: ٨/٥٠.

وعاصر هذا الفتى اليافع في خلال تلك السنوات المعدودة المحدودة بين ولادته وإمامته، هموم تلك الحقبة الحافلة بألوان الصدمات والمفاجآت، منذ استدعى المأمون أباه الإمام الرضا (ع) إلى خراسان، ليفرض عليه ولاية عهده من بعده ويلزمه بقبول ذلك على كل حال، ثم ما صاحب هذه الولاية التي اقتضتها ظروف الخليفة الطارئة وأملتها مصالح الحكم الآتية، من مظاهر خداعة ومراسيم مصطنعة، أريد بها إيهام الجماهير بصدق نوايا الخليفة وسلامة دوافعه إلى ذلك. ثم المفاجأة بوفاة الإمام الرضا (ع) الموقّته بدقّة مع شروع المأمون بالسفر إلى العراق وعزمه على استرداد بغداد من سيطرة خصومه، تلك الوفاة التي قيل فيها ما قيل من دسّ السم وتعمد القتل كي يصفو الجو للخليفة ويصبح بإمكانه مطالبة ذوي قرباه المتسلطين على بغداد بالعودة إلى طاعته بعد زوال سبب تمردهم وجفائهم له بموت ولي العهد العلوي الذي أثارت ولايته حفيظتهم وحفيظة أنصارهم فسارعوا إلى تنصيب شيخ المغنّين إبراهيم بن المهدي خليفة لهم.

لقد عاصر الإمام الجواد (ع) وهو في مقتبل العمر كلّ هذه الأحداث المريرة، وواكب تطورها السريع الذي أدت سرعته إلى فضح النوايا وكشف الأسرار، وأبرزت للعيان خطة المأمون التي أراد بها ضمان استقرار العرش والاطمئنان على دوام سلطان بني العباس والقضاء على الخصوم الثائرين هنا وهناك في أطراف العالم الإسلامي بسحب ورقة دعوتهم إلى الرضا من آل محمد (ص)، كما تقدم بيانه بالتفصيل في كتابنا المعنّي بسيرة الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

وكان الله في عون هذا الشاب الطالع وهو يواجه - منذ أيام صباه الأولى - أمواج الحياة وعواصفها الهوجاء، وفتن الأعداء ومؤامراتهم النكراء، وشدائد الزمن وأعاصيره العاتية السود.

الإمام محمد بن علي الجواد

بَيْتُ إِمَامَتِهِ وَشَهَادَتِهِ

وهناك اتفاق لا يكاد يعتريه الريب على أن محمد بن علي الثاني هو الإنسان الفريد الذي اجتمعت فيه يومذاك - بمقتضى النص والصفات والملكات - كل خصائص الإمامة الدينية ومؤهلات الولاية الشرعية.

وعلى الرغم من جميع مظاهر الحب والاحترام المتبادل بين الإمام وحكام بني العباس ومحاولة توكيد الصلة بتزويجه ابنة المأمون، فقد استُدعي الإمام إلى بغداد من قبل المعتصم، ثم سرعان ما توفي وهو في ذروة شبابه وعنفاونه في ظروف غامضة تبعت على الشك والاتهام، وتداول بعض المؤرخين القول بأن زوجته قد دست إليه السم وقيل إن ذلك كان بتحريض من الخليفة. وعند الله تجتمع الخصوم.



أصبح محمد بن علي الثاني (ع) منذ وفاة أبيه في سنة ثلاث ومائتين إمام الشريعة للمؤمنين، ونبراس الهداية للمسترشدين، وولي الأمر المتفرد في شؤون الدين.

واختصر الباحث ابن شهر آشوب السروي^(١) مجموع الشواهد الدالة على حصر الإمامة في هذا الرجل دون غيره من معاصريه بثلاث نقاط رئيسة هي:

- ١ - نصُّ أبيه عليه كما سمع الثقات منه ونقلوا عنه .
- ٢ - وضوح القول - إسلامياً - بإمامة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت بلا زيادة ولا نقصان تطبيقاً للنص النبوي المتواتر .
- ٣ - وجوب كون الإمام أعلم الناس بالشرع وأفقههم بأحكام الدين، وثبوت ذلك للإمام الجواد باعتراف خصومه وإقرارهم بعد اختبارهم إياه ومحاورتهم معه .

وعندما نريد فحص هذه الأدلة الثلاثة والخوض في مجمل أبعادها الدينية للتأكد من انطباقها كاملة على الإمام الجواد، نجد أولها - وهو نص أبيه عليه - ماثلاً للعيان. وإنما صح اعتبار ذلك النص دليلاً من الأدلة - إن لم يكن بمفرده كافياً في مقام البرهنة - لأن هذا الأب كان الإمام المسلم الإمامة باعتراف جميع ذوي الرأي في زمانه بمن فيهم الخليفة نفسه، كما شرحنا ذلك بالتفصيل في كتابنا المعني بسيرته^(٢)، ولهذا يكون المعين من قبيله للإمامة هو الإمام دون غيره على وجه القطع واليقين.

وإذا كان هناك من يدور في خلدته أو يتحدث بصريح القول معترضاً على هذه الوراثية، فإننا نحيله على ما هو معروف ومألوف على امتداد القرون والأزمان من إقرار عامة المسلمين بقبول نصِّ السابق على اللاحق

(١) المناقب: ٤٢٧/٢.

(٢) كتابنا الإمام علي بن موسى الرضا: ٤٧/٢٨.

والإذعان لذلك بلا رفض أو تردد، منذ نص الخليفة أبو بكر على عمر من بعده فجعل ذلك حجة متداولة ومنهجاً ثابتاً لمعظم الخلافات الموروثة التي تلقفتها الأيدي المتعاقبة في العهود الأموية والعباسية والتركية العثمانية، حيث اكتفى السواد الأعظم من المسلمين بذلك التعيين، من دون بحث أو تدقيق في أهلية القائمين به من حيث اجتماع الشروط الشرعية فيهم عدا كونهم المتلقين سلطانهم من أسلافهم الحاكمين المتقدمين.

وعلى كل حال، فحسبنا في موردنا هذا أن نكون عالمين بأن الإمام المسلمم الأهلية في يومه، والمجمع على دينه وعلمه وورعه وتقواه، قد نص على ابنه بالإمامة أمام أصحابه وخواصه والمقربين إليه، وأورد المؤرخون والمحدثون بعضاً من تلك الروايات وأسماء عدد من رواتها المشهود لهم بالصدق والدين والصلة الوثقى بالإمام الرضا (ع)، والتصريح بسماع ذلك منه مكرراً ومنذ أيام طفولة ابنه وصباه^(١).

وفي رواية الكليني والمفيد بسندهما عن صفوان بن يحيى قال:

«قلت للرضا (ع): قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر، فكنت تقول: يهب الله لي غلاماً. فقد وهب الله لك وأقر عيوننا به، فلا أرانا الله يومك، فإن كان كونٌ فإلى من؟ فأشار بيده إلى أبي جعفر وهو قائم بين يديه، فقلت له: جعلت فداك، هذا ابن ثلاث سنين!، فقال: وما يضره من ذلك، فقد قام عيسى (ع) بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين»^(٢).

(١) يراجع في تفاصيل ذلك: الكافي: ١/ ٣٢٠ - ٣٢٣ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و عيون أخبار الرضا: ٣٥١ والإرشاد: ٣٤٠ - ٣٤٢ والمناقب: ٢/ ٤٢٧ - ٤٢٩ والفصول المهمة: ٢٤٧ - ٢٤٨ وبحار الأنوار: ١٨/ ٥٠ - ٣٦.

(٢) الكافي: ١/ ٣٢١ - ٣٢٢ و ٣٨٣ - ٣٨٤ والإرشاد: ٣٤٠.

وجاء في رواية أخرى عن الخيرانبي عن أبيه قال:

(كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن الرضا (ع)، فقال قائل: يا سيدي إن كان كونٌ فإلى من؟، قال: إلى أبي جعفر ابني. فكان القائل استصغر سنَّ أبي جعفر، فقال أبو الحسن (ع): إن الله سبحانه بعث عيسى ابن مريم رسولاً نبياً صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر)^(١).



وأما وضوح الإيمان إسلامياً بإمامة اثني عشر إماماً بلا زيادة أو نقصان فيكفيها فيه ما اتفقت كلمة المسلمين على روايته عن النبي (ص) الناطق بالوحي في الحديث الصحيح المتواتر الذي نصَّ فيه على أن (الأئمة من قريش) وأن عددهم (اثنا عشر) بالحصص والتحديد^(٢)، مما لا يمكن انطباقه بأي نحو من الأنحاء على غير أئمة أهل البيت الاثني عشر (ع)، ولا يلتئم بأي وجه من الوجوه مع تلك الأعداد الكبيرة من مدعي الإمامة والخلافة من أمويين وعباسيين وعثمانيين مضافاً إلى نصوص نبوية أخرى أخرجها الحفاظ المشهورون والمحدثون المعروفون، ومنها الخاصُّ الذي يحمل أسماء جميع أولئك الاثني عشر واحداً تلو واحد^(٣)، كما أن منها العام الذي يشمل كل الأئمة على

(١) إثبات الوصية: ١٨٥ والإرشاد: ٣٤٢.

(٢) ورد هذا الحديث والعدد المعين فيه في كثير من مصادر الحديث والتاريخ، ومنها صحيح البخاري: ٧٨/٩ و١٠١ وصحيح مسلم: ٣/٦ وسنن أبي داود: ٤٢١/٢ وسنن الترمذي: ٥٠١/٤ ومسنند أحمد بن حنبل: ١٢٨/٢ و١٢٩/٣ و١٨٣ و٤/٤٢١ و٨٦/٥ - ١٠٨ والمعجم الكبير: ٢/٢١٤ - ٢٨٦ ودلائل النبوة: ٥٢٠/٦. ونص على تواتره ابن حزم في الفصل: ٨٩/٤.

(٣) يراجع في ذلك ما أخرجه الحافظ القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: ٤٤٥.

الإجمال، كحديث الثقلين الذي أمر فيه النبي (ص) المسلمين بالتمسك بكتاب الله وعترته أهل بيته، وجعل العترة كالكتاب في وجوب الطاعة والاتباع^(١). وكحديث السفينة الذي شبه به النبي (ص) أهل بيته بسفينة نوح، ونصّ على أن (من ركبها نجا) و(من تعلق بها فاز) و(من تخلف عنها غرق)^(٢). وإلى غير ذلك من الأحاديث الصحيحة المشاكلة لما ذكرنا في المؤدي والمضمون.

وأما كونه أعلم الناس بالشرعية وأفقههم بأحكام الدين في عصره فهو الذي أدركه ذلك (الخلق الكثير) الذي قَدِمَ من سائر البلدان إلى المدينة المنورة بعد وفاة الإمام الرضا (ع)، سائلين وباحثين عن الخلف القائم مقامه، فعلموا أنه ابنه محمد الجواد (ع)، فدخلوا عليه مسلّمين معزّين، ووجهوا إليه أسئلتهم واستفساراتهم وربما كان فيها ما هو امتحاني يريدون به اختبار إمامته وكفايته، فأجابهم على ذلك كله بما أوضح لهم جليلة الأمر وحملهم على التصديق به بقناعة واطمئنان^(٣).

كما أن ذلك هو المستفاد من خلاصة ما وقفنا عليه في الأخبار والشواهد التاريخية مما صرحت به أقوال المتحدثين عنه واعترافات المتحاورين معه، وما أقر به المختبرون له بمحضر الخليفة وفي مجلسه ممن كانوا يريدون الوقعة به وتوهين شأنه في نظر سلطانهم وعموم الحاضرين ثم اضطروا إلى الإذعان لسمو مقامه في العلم والفضل، وإلى الخضوع للأمر الواقع الذي لم يجدوا مفرّاً من الاعتراف به.

(١) صحيح مسلم: ١٢٢/٧ وسنن الترمذي: ٦٦٢/٥ و٦٦٣ ومسند أحمد: ١٤/٣ و١٧ و٢٦ و٥٩ و٣٦٧/٤ و١٨٢/٥ و١٨٩ وحلية الأولياء: ٣٥٥/١ والصواعق المحرقة: ١٣٦.

(٢) تاريخ بغداد: ٩١/١٢ وذخائر العقبى: ٢٠.

(٣) إثبات الوصية: ١٨٥ - ١٨٦ وبحار الأنوار: ٨٥/٥٠ - ٨٩ - ٩٠.

ولخص ابن طلحة الشافعي جميع تلك الخصائص والمناقب التي امتاز بها الإمام الجواد في الفقه والورع ومكارم الأخلاق على الرغم من قصر حياته وصغر سنه فقال:

(وأما مناقبه فما اتسعت حلبات مجالها، ولا امتدت أوقات آجالها، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلة بقاءه... فقل في الدنيا مقامه، وعجل القدوم عليه بالزيارة حمامه)، وهو (وإن كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر، ومناقبه (ع) كثيرة)^(١).

وقال سبط ابن الجوزي:

(كان على منهاج أبيه في العلم والتقى والزهد والجود)^(٢).

وقال الداوودي:

(كان جليل القدر عظيم المنزلة)^(٣).

وقال الصفدي:

(كان من سروات آل بيت النبوة)^(٤).

وأجمل بعض المؤرخين تفاصيل مناقبه فقالوا:

(له حكايات وأخبار كثيرة)^(٥).

وروا في الحديث عن عبادته: أنه كان (يجيء في كل يوم مع الزوال إلى المسجد، فينزل في الصحن، ويصير إلى رسول الله (ص)

(١) مطالب السؤول: ٧٤/٢.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٦٨.

(٣) عمدة الطالب: ١٨٨.

(٤) الوافي بالوفيات: ١٠٥/٤.

(٥) وفيات الأعيان: ٣/٣١٥ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤.

ويسلم عليه، ويرجع إلى بيت فاطمة (ع) فيخلع نعليه ويقوم فيصلبي - إلى آخر النص -^(١).

كما ذكروا أنه قد اشتهر بين الناس بالكرم، وعُرف بسخاء اليد وكثرة العطاء، (ولهذا سُمي الجواد)^(٢).



وآدعى الولاية الدينية في أيام إمامة أبي جعفر الثاني اثنان من سلاطين بني العباس هما المأمون والمعتصم، فهل كانا أهلاً لذلك الادعاء العريض الذي أحاطا شخصيتهما به؟، وهل تجسّم فيهما - عملاً وسلوكاً - ما قرر فقهاء الأحكام السلطانية وجوب إحرازه في القائم بهذه المهمة الخطيرة المقدسة من صفات وملكات والتزامات؟

ذلك مما نريد معرفته بقناعة ووثوق في ضوء (رؤوس الأقلام) الآتية المعنية بهذين الرجلين الذين اتسحا ببرد الإمامة والخلافة في تلك الأيام، لنرى مدى أهليتهما واستحقاقهما التربع على عرش ولاية أمر المسلمين.

١ - عبد الله المأمون:

تولى أمر الخلافة بعد انتصاره على أخيه الأمين وقتله في سنة ١٩٨هـ^(٣)، وسرعان ما أعلن خلع أخيه القاسم بن الرشيد من ولاية العهد، فخلا المركز بعضاً من الوقت^(٤)، ثم اختار له الإمام عليّ بن

(١) الكافي: ٤٩٣/١.

(٢) منهاج السنة: ١٢٧/٢ والوافي بالوفيات: ١٠٥/٤.

(٣) مروج الذهب: ٣٢٨/٣ والفخري: ١٩١.

(٤) مروج الذهب: ٣٤٨/٣.

موسى الرضا (ع) تحت ضغط الظروف المحيطة به كما تقدم شرحه وبيانه في كتابنا السابق بالتفصيل .

وكان المأمون فيما قيل عنه: (فطناً شديداً كريماً) (مشاركاً في علوم كثيرة)^(١)، ولكن جلباب الخلافة الإسلامية الذي ارتداه ذلك الفطن المشارك في العلوم، لم يردعه عن ارتكاب المحرمات، ولم يمنعه من فعل المحظورات، وكانت قصص مجالس خمره ولهوه مأثورة ومعروفة^(٢)، ولعل أعجبها وأغربها ما رواه الطبري في أخبار زواج المأمون ببوران، في شهر رمضان من سنة عشر ومائتين، وقد أفطر الخليفة في إحدى تلك الأمسيات (هو والحسن والعباس حتى فرغوا من الإفطار وغسلوا أيديهم، فدعا المأمون بشراب، فأُتي بجام ذهب فصب فيه وشرب، ومد يده بجام فيه شراب إلى الحسن فتباطأ عنه الحسن لأنه لم يكن يشرب قبل ذلك، فغمز دينار بن عبد الله الحسن، فقال له الحسن: يا أمير المؤمنين! أشربه بإذنك وأمرك؟!، فقال له المأمون: لولا أمري لم أمدد يدي إليك. فأخذ الجام فشربه!!)^(٣).

ومات المأمون يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ^(٤).



٢ - محمد المعتصم:

أصبح القائم بأمر الخلافة إثر وفاة أخيه يوم الخميس لاثنتي عشرة

(١) الفخري: ١٩١ ومآثر الأناقة: ٢٠٩/١.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٧٨/٨ و٦٥٦ والأغاني: ١٣٠/١٠ و١٦١ و١٦٤ و٢٤٠.

(٣) تاريخ الطبري: ٦٠٦/٨ - ٦٠٧.

(٤) مروج الذهب: ٣/٣٢٨ و٣٦٥ والفخري: ١٩٥.

أو ثلاث عشرة بقيت من رجب سنة ٢١٨هـ^(١).

وكانت خلاصة ما قيل فيه: أنه (كان ذا شجاعة) (وبأس وشدة في قلبه) ولكنه عري من العلم (يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة)، وكان (إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل)^(٢).

وعُرف المعتصم بحب جمع الأتراك وشرائعهم من أيدي مواليهم، (فاجتمع له منهم أربعة آلاف، فألبسهم أنواع الديباج والمناطق المذهبة... وأبانهم بالزي عن سائر جنوده... وكانت الأتراك تؤذي العوام بمدينة السلام بجريها الخيول في الأسواق، وما ينال الضعفاء والصبيان من ذلك، فكان أهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأة أو شيخ كبير أو صبي أو ضرير. فعزم المعتصم على النقلة منهم... فلم يزل ينتقل... ويتقرى المواضع، فانتهى إلى موضع سامرا)، (فكان ذلك سبب بئانه سرّاً من رأى وتحوله إليها)^(٣).

وكان المعتصم فيما ذكر مؤرخوه شارباً للخمر^(٤)، مشاركاً في مجالس الطرب والغناء^(٥)، وبقي على هذه الحال حتى مات يوم الخميس لثمانية عشرة ليلة مضت أو بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين^(٦).

وعندما تتضح لنا السمات المميزة لكل من المأمون والمعتصم وما

(١) تاريخ الطبري: ٦٦٧/٨ ومروج الذهب: ٣/٤.

(٢) تاريخ الطبري: ١٢١/٩ ومروج الذهب: ٣/٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٢.

(٣) مروج الذهب: ٩/٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٣.

(٤) تاريخ الطبري: ١١٩/٩ والأغاني: ١٣٣/١٠ و٢١٠.

(٥) تاريخ الطبري: ١٢٢/٩.

(٦) تاريخ الطبري: ١١٨/٩ ومروج الذهب: ١٨/٤.

قيل فيهما من معاقرة الخمر والملاهي، والعبث بأموال المسلمين، والقتل عند الغضب بلا مبالاة. وما يقابل ذلك من سمات الإمام الجواد المميزة، وما ورد في علمه وعبادته وتقواه ومجموع صفاته المرتبطة بسمو ذاته، نكون قد انتهينا إلى نتيجة قطعية الحكم مسلمة الثبوت، يتجلى فيها الجواب الصريح المقنع على ما كنا نبحت عنه من خلال الأسئلة المتقدمة المعنوية بتحديد المؤهل من بين هؤلاء المذكورين للولاية الدينية في ذلك اليوم، ممن اجتمعت فيه الشروط المطلوبة في المرشح لإمامة المسلمين. وسنكون جميعاً على اتفاق لا يدخله الريب بأن الإمام الجواد هو الإنسان الجامع يومذاك لتلك الصفات والشروط، وأن اللذين ادعيا الإمامة في زمانه لم يكونا متطابقين مع تعاليم الإسلام في التصرف والعمل والسلوك، ولم يتمثل فيهما الحد الأدنى - بل ما هو أقل من الأدنى - من شروط الإمامة ومواصفاتها المجمع عليها، ديناً وفقهاً، وعلماً والتزاماً، وورعاً وفضائل أخلاق.



ونعود الآن - بعد الفراغ من الحديث عن أدلة إمامة محمد بن علي الثاني (ع) والتسليم بكونه الأوحى الذي لم يشاركه غيره من معاصريه فيما كان يتمتع به من مؤهلات الولاية الشرعية وملكانها الفذة، وما كان يتجمع فيه من وراثة علم النبوة وهدى الرسالة وعطاء الوحي والتنزيل - إلى عرضٍ شامل للملامح الرئيسة لعلاقاته بحكام عصره، ووقفه فاحصة على مجمل روابطه السلبية والإيجابية بهم خلال مدة إمامته القصيرة التي لم يمهلها فيها الأجل ولم يكتب له طول البقاء.

ولعل أول ما نحسُّ - ونحن نريد استكشاف هذه المسيرة منذ نقطة بدايتها يوم توفي الإمام الرضا (ع) وأصبح ابنه الإمام الشرعي بعده - أن المأمون قد سلك مع الإمام الجواد سبيل المودعة والمهادنة والوثام، تداركاً لأحداث الأمس التي اتجهت فيها الاتهامات إلى الخليفة بدس السم لولي عهده؛ بعد أن حقق مآربه في تلك التمثيلية الجيدة الحبك والإعداد كما أسلفنا شرحه في كتابنا السابق. ثم زاد المأمون في ذلك الوثام والسلام إلى حدِّ التظاهر على رؤوس الأشهاد بتعظيم الإمام الجواد وإجلاله؛ وإعلان الحب والتقدير له أمام وزرائه وأصحابه وحاشيته، حتى بلغت الحال في ذلك ما حدّث به الشيخ المفيد فقال:

«كان المأمون قد شُغِفَ بأبي جعفر (ع) لما رأى من فضله مع صغر سنّه، وبلوغه في العلم والحكمة والأدب وكمال العقل ما لم يساوه فيه

أحد من مشايخ أهل الزمان . . . وكان متوفراً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي:

إن المأمون لم يزل مشفقاً به لما ظهر له «من فضله وعلمه وكمال عظمته وظهور برهانه مع صغر سنّه»^(٢).

وجاء في عددٍ من المصادر أن اللقاء الأول بين المأمون والإمام قد حدث مصادفة في أحد أزقة بغداد، حينما مرَّ الخليفة ذات يوم في بعض تلك الأزقة وكان الصبيان يلعبون هناك والإمام الجواد واقف معهم، فلما شاهد الصبيان موكب المأمون تركوا لعبهم وفروا باستثناء الجواد الذي بقي واقفاً في مكانه ولم يفر معهم، وإلى آخر ما ورد في تلك القصة التي زعموا أنها كانت نقطة البداية في منطلق العلاقة بين الرجلين بما أثار الجواد من إعجاب المأمون به وإكباره له^(٣).

والحقُّ أن في النفس من هذه القصة شيئاً بل أشياء، ولن أستطيع قبولها وتصديقها وإن رواها غير واحد من المؤرخين، بل تكاد تكون أسطورة بيّنة الوضع والتلفيق، خصوصاً وقد ورد فيها أن الإمام يومذاك كان في سنِّ تسع سنين؛ وقيل في الحادية عشرة من العمر؛ وهو منهمك باللعب مع الصبيان أو بمشاهدة لعبهم في الأزقة!! ثم تضيف الروايات في تمة ذلك أن هذه القصة بما اشتملت عليه من كلام وحوار بين الإمام

(١) الإرشاد: ٣٤٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٢٣.

(٣) المناقب: ٤٣٣/٢ ومطالب السؤل: ٧٤/٢ - ٧٥ والفصول المهمة: ٢٤٨ -

٢٤٩ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٩١/٥٠ - ٩٢ وينابيع المودة:

٣٦٤ - ٣٦٥ ونور الأبصار: ١٤٧.

والخليفة كانت السبب في عزم المأمون على تزويج الإمام الجواد بابنته أم الفضل؛ إكراماً له وتعظيماً لما شهدته منه من حسن الجواب وسرعة البديهة.

ولعل الصحيح الراجح في تاريخ حدوث اللقاء الأول بين الرجلين ما رواه المسعودي^(١) من أن المأمون لما استقر به المقام ببغداد إثر استتباب أمرها له بعد عودته من خراسان استدعى الإمام الجواد (ع) من المدينة المنورة إلى عاصمة الخلافة، «وأنزله بالقرب من داره» والتقاه وتحدّث معه، فأعجب بعلمه وأدبه وسمو خلقه وظهور تقدمه على من سواه.

وحدّث سبط ابن الجوزي: أن إعجاب المأمون بالإمام قد حمله على التفكير بأن يعهد إلى ابن الرضا بولاية العهد، ثم «منعه من ذلك شغبُ بني العباس عليه»؛ وخشيته من الفتنة والنزاع الذي قد يؤدي إلى خروج الأمر من يد بني العباس وبني علي كليهما بسبب الاختلاف^(٢).



ومهما يكن من أمر، فالثابت المؤكد أن المأمون بعد استدعائه الإمام الجواد (ع) إلى بغداد وتكرار الملاقاة بينهما؛ عزم على إعادة تشييد ما انهار من جسور الروابط بينه وبين أهل البيت (ع)، وتوكيد العلاقة بين الطرفين بالتنفيذ العملي لفكرة زواج الإمام بابنته المعروفة بكنيتها أم الفضل، فبلغ الخبر أسماع العباسيين «فغلظ ذلك عليهم واستكبروه منه، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا (ع).

(١) إثبات الوصية: ١٨٦.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٦٥ - ٣٦٦.

فخاضوا في ذلك، واجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه فقالوا:

«نشذك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمت عليه من تزويج ابن الرضا، فإننا نخاف أن تُخرج به عتاً أمراً قد ملكناه الله؛ وتنزع منّا عزاً قد ألبسناه، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم قديماً وحديثاً، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبيدهم والتصغير بهم. وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت، حتى كفانا الله المهم من ذلك، فالله الله أن تردنا إلى غمّ قد انحسر عنا، واصرف رأيك عن ابن الرضا، واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره».

«فقال لهم المأمون: أما ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه، ولو أنصفتهم القوم لكانوا أولى بكم. وأما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم، وأعوذ بالله من ذلك، ووالله ما ندمتُ على ما كان مني من استخلاف الرضا، ولقد سألتُه أن يقوم بالأمر وأنزعه عن نفسي فأبى، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. وأما أبو جعفر محمد بن علي فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل، مع صغر سنّه والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي ما رأيتُ فيه».

«فقالوا: إن هذا الفتى وإن راقك منه هديُهُ فإنه صبيٌّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدب ويتفقه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك».

«فقال لهم: ويحكم!، إني أعرفُ بهذا الفتى منكم، وإن هذا من أهل بيتِ علمهم من الله وموآده وإلهامه... فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبين لكم به ما وصفتُ من حاله».

«قالوا: قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه، فحلّ

بيننا وبينه نُنصّب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة، فإن أصاب في الجواب عنه لم يكن لنا اعتراض في أمره، وظهر للخاصة والعامّة سديداً رأي أمير المؤمنين فيه، وإن عجز عن ذلك فقد كفينا الخطب في معناه».

«فقال لهم المأمون: شأنكم وذاك متى أردتم».

«فخرجوا من عنده، واجتمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم - وهو يومئذ قاضي الزمان - على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعادوا إلى المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع، فأجابهم إلى ذلك».

«فاجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، فأمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دستٌ يجعل له فيه مسورتان، ففعل ذلك، وخرج أبو جعفر... وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالس في دست متصل بدست أبي جعفر (ع)».

«فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر. فقال له المأمون: استأذنه في ذلك».

«فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي - جُعِلتُ فداك - في مسألة؟».

«قال له أبو جعفر (ع): سل إن شئت».

«قال يحيى: ما تقول في مُحْرَمٍ قَتَلَ صَيْدًا؟».

«فقال له أبو جعفر (ع): قتله في حِلٍّ أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً، قتله عمدًا أو خطأ، حرّاً كان المحرم أم عبداً، صغيراً كان أو كبيراً، مبتدئاً بالقتل أم معيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم من كبارها، مصرّاً على ما فعل أو نادماً،

في الليل كان قتله للصيد أم في النهار، محرماً كان بالعمرة إذ قتله أم بالحج؟».

«فتحير يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره».

«قال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي. ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟».

«ثم أقبل على أبي جعفر (ع) فقال له... اخطب لنفسك... فقد رضيتك لنفسي، وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قوم لذلك».

«قال أبو جعفر (ع): الحمد لله إقراراً بنعمته، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانيته، وصلى الله على محمد سيد بريته والأصفياء من عترته. أما بعد:

فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام، فقال سبحانه: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَانَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢]. ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المأمون، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد (ص) خمسمائة درهم جيداً، فهل زوجته يا أمير المؤمنين بها على هذا الصداق المذكور؟».

«قال المأمون: نعم؛ قد زوجتك يا أبا جعفر أم الفضل ابنتي على الصداق المذكور، فهل قبلت النكاح؟».

«قال أبو جعفر (ع): قد قبلت ذلك ورضيتُ به» (*).

(*) وروى الشيخ الصدوق نص خطبة الزواج هذه بألفاظ أخرى جاء فيها:

(لما تزوج أبو جعفر محمد بن علي الرضا (ع) ابنة المأمون، خطب لنفسه فقال: الحمد لله متمم النعم برحمته، والهادي إلى شكره بمنه، وصلى الله على محمد =

«فأمر المأمون أن يقعد الناس على مراتبهم من الخاصة والعامة»، وجاء الخدم «يجرؤون سفينة مصنوعة من الفضة مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجل، مملوءة من الغالية. فأمر المأمون أن تخضب لحي الخاصة من تلك الغالية، ثم مُدَّت إلى دار العامة فطَيَّبوا منها، ووضعت الموائد فأكل الناس، وخرجت الجوائز إلى كل قوم على قدرهم».

«فلما تفرق الناس وبقي من الخاصة مَنْ بقي، قال المأمون لأبي جعفر (ع):

إن رأيتَ أن تذكرَ الفقهَ فيما فضَّلته من وجوه قتل المحرم الصيد لنعلمه ونستفيده؟».

«فقال أبو جعفر (ع): إن المحرم إذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة. فإن أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً. فإذا قتل فرخاً في الحل فعليه حَمَلٌ قد فُطِمَ من اللبن، فإذا قتله في الحرم فعليه الحَمَلُ وقيمة الفرخ. وإن كان من الوحش وكان حمارَ وحش فعليه بقرة، وإن كان نعامة فعليه بدنة، وإن كان ظبياً فعليه شاة. فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة. وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدى فيه وكان إحرامه بالحج نحره بمنى، وإن كان إحرامه بالعمرة نحره بمكة.

= خير خلقه، الذي جمع فيه من الفضل ما فرقه في الرسل قبله، وجعل تراثه إلى من خصه بخلافته، وسلم تسليمًا. وهذا أمير المؤمنين زوجني ابنته على ما فرض الله عز وجل للمسلمات على المؤمنين من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وبذلت لها من الصداق ما بذله رسول الله (ص) لأزواجه وهو اثنتا عشرة أوقية ونش (أي نصف)، وعلي تمام الخمسمائة، وقد نحلتهما من مالي مائة ألف. زوجتني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى. قال: قبلتُ ورضيتُ. من لا يحضره الفقيه: ٢٥٢/٣.

وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء، وفي العمد له المأثم وهو موضوع عنه في الخطأ. والكفارة على الحرّ في نفسه؛ وعلى السيد في عبده، والصغير لا كفارة عليه، وهي على الكبير واجبة. والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة».

«فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر؛ أحسن الله إليك. فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك؟».

«فقال أبو جعفر (ع) ليحيى: أسألك؟».

«قال: ذلك إليك جعلت فداك، فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك».

«فقال له أبو جعفر (ع): أخبرني عن رجلٍ نظر إلى امرأة في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار حلّت له، فلما زالت الشمس حرمت عليه، فلما كان وقت العصر حلت له، فلما غربت الشمس حرمت عليه، فلما دخل عليه وقت عشاء الآخرة حلت له، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه، فلما طلع الفجر حلت له. ما حال هذه المرأة وبماذا حلت له وحرمت عليه؟».

«فقال له يحيى بن أكنم: والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ولا أعرف الوجه فيه، فإن رأيت أن تفيدناه».

«فقال أبو جعفر (ع): هذه أمةٌ لرجلٍ من الناس، نظر إليها أجنبي في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلما كان عند الظهر أعتقها فحرمت عليه، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلّت له، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلما كان وقت العشاء الآخرة كَفَّرَ عن الظهار فحلّت له، فلما كان في نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له».

«فأقبل المأمون على من حضره من أهل بيته فقال لهم: هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب؟ أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟».

«قالوا: لا والله، إن أمير المؤمنين أعلم بما رأى».

«فقال لهم: ويحكم!، أن أهل هذا البيت خُصُوا من الخلق بما ترون من الفضل، وأن صغر السن فيهم لا يمنعهم من الكمال...».

«قالوا: صدقت يا أمير المؤمنين. ثم نهض القوم».

«فلما كان من الغد حضر الناس وحضر أبو جعفر (ع)، وصار القواد والحجاب والخاصة والعامّة لتهنئة المأمون وأبي جعفر (ع)، فأخرجت ثلاثة أطباق من الفضة فيها بنادق مسك وزعفران معجون، في أجواف تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنية وإقطاعات، فأمر المأمون بنشرها على القوم في خاصته، فكان كل من وقع في يده بندقة أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فأطلق له، ووُضعت البدر فُنِثِرَ ما فيها على القواد وغيرهم. وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا، وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين»^(١).

وهكذا تم الزواج وتحققت المصاهرة ونفَّذَ المأمون ما كان قد عزم عليه من ذلك، ونُقل عنه في بيان منشأ إصراره على هذا الزواج قوله:

(١) النص بطوله وتفصيله في إثبات الوصية: ١٨٧ - ١٨٩ وتحف العقول: ٣٣٥ - ٣٣٨ والإرشاد: ٣٤٢ - ٣٤٧ والمناقب: ٤٢٧٢ - ٤٢٨ والاحتجاج: ٢ / ٤٦٩ - ٤٧٧.

ويراجع أيضاً في محاوراة الإمام ويحيى بن أكثم: تذكرة الخواص: ٣٦٨ - ٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٤٩ - ٢٥٢ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وينابيع المودة: ٣٦٤ - ٣٦٥.

«إني أحببتُ أن أكون جداً لمرءٍ وكدَّ رسولُ الله (ص) وعليُّ بن أبي طالب (ع)»^(١).

ثم غادر الإمام بزوجته بغداد - بعد أن أقام فيها بعض الوقت كما ترشدنا الشواهد التاريخية^(٢) - ليسكن معها المدينة المنورة حيث مسقط رأسه وشامخ بيته، وحدث الطبري أن خروجه من بغداد كان في أيام الحج فقصد مكة المكرمة حاجاً ثم أتى منزله بالمدينة^(٣)، وقيل أن المأمون كان «ينفذ إليه في السنة ألف ألف درهم»^(٤).

ويظهر من بعض الروايات أن هذه السيدة العباسية المدللة لم تكن سعيدة بحياتها الجديدة في دار الزوجية، وهي المعتادة من قبل على أبهة الملك وترف العيش، وروى بعض المؤرخين: أنها «كتبت إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر (ع) وتقول:

إنه يتسرّى عليّ ويغيرني. فكتب إليها المأمون: يا بنيّة؛ إننا لم نزوجك أبا جعفر لنحرّم عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها»^(٥).



وامتدت هذه العلاقة الوادعة الطيبة بين الإمام والمأمون طيلة حياة

(١) تاريخ يعقوبي: ١٨٢/٣.

(٢) الوافي بالوفيات: ١٠٥/٤ - ١٠٦ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٣ - ١٠٤.

(٣) تاريخ الطبري: ٦٢٣/٨.

(٤) منهاج السنة: ١٢٧/٢ والعيبر: ٣٠٠/١ والنجوم الزاهرة: ٢٣١/٢ و امرأة الجنان: ٨٠/٢ وشذرات الذهب: ٤٨/٢.

(٥) الإرشاد: ٣٤٧ والمناقب: ٤٢٩/٢ والفصول المهمة: ٢٥٢ والصواعق المحرقة: ١٢٣ ونور الأبصار: ١٤٨ وينابيع المودة: ٣٦٥.

الأخير، واتسمت بالاحترام الكبير والتقدير المتبادل والإجلال المناسب لسمو مقام الإمام وعلو قدره، بل قيل: إن المأمون كان «يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته»^(١).

ويقول المستشرق دونالدسن: إن من الملاحظ «أنه لم يتعرض أحدٌ خاصةً إلى الإمام التقي، فلم يوقف أو يزعج طول مدة حكم المأمون»^(٢).

ثم توفي المأمون في سنة ٢١٨هـ، وآلت الخلافة من بعده إلى أخيه المعتصم، فأظهر في بدء الأمر الاهتمام بالإمام وأخباره، و«جعل يتفقد أحواله»، وأمر وزيره الزيات - كما روى السروي - أن ينفذ إليه الإمام وزوجه أم الفضل، ففعل الوزير ما كان ينبغي من الإعداد وتهيئة الوسائل^(٣). وخرج الإمام إلى مكة المكرمة حاجاً ومعه أم الفضل، ثم انصرف من هناك إلى بغداد^(٤).

وروى بعض الرواة: أن الإمام - لما همَّ بالخروج إلى الحج ومن ثمَّ إلى العراق - كان ابنه أبو الحسن عليّ صغيراً، «فخلّفه في المدينة، وسلّم إليه الموارد والسلاح، ونصّ عليه بمشهد ثقاته وأصحابه»^(٥). وكان نفسه قد حدثه بأنه لن يعود إلى المدينة من هذه الرحلة.

ويستفاد من بعض النصوص التاريخية أن عدداً غير قليل من أصحاب الإمام قد رافقوه في سفر الحج هذا، وأن مائدة كانت تمدُّ

(١) الإشاد: ٣٤٧.

(٢) عقيدة الشيعة: ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) المناقب: ٤٣٠/٢.

(٤) إثبات الوصية: ١٩٠.

(٥) بحار الأنوار: ١٦/٥٠.

بأمره في كل يوم لإطعام الحجيج، وأن أحد الحجاج - وكان سجستانياً - قد استغل هذه الفرصة فقال للإمام وهو معه على المائدة:

«إن والينا - جُعِلت فداك - رجل يتولاكم... وعليّ في ديوانه خراج، فإن رأيتَ أن تكتب إليه بالإحسان إليّ»، فقال الإمام: «لا أعرفه»، فقال السجستاني: «إنه على ما قلتُ من محبيكم أهل البيت، وكتابك ينفعني عنده»، فأخذ الإمام القرطاس وكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن موصل كتابي هذا ذكر عنك مذهباً جميلاً، وأن مالك من عملك ما أحسنتَ فيه، فأحسِن إلى إخوانك، واعلم أن الله عز وجل سائلك».

قال الراوي: «فلما وردتُ سجستان سبق الخبر إلى الحسين بن عبد الله النيسابوري - وهو الوالي -، فاستقبلني على فرسخين من المدينة، دفعتُ إليه الكتاب فقبله ووضعه على عينيه، وقال لي: حاجتك؟ فقلت: خراجُ عليّ في ديوانك. قال: فأمر بطرحه عني»^(١).

وعلى كل حال، فقد شدَّ الإمام رحاله بعد فراغه من الحج متوجهاً إلى بغداد، وكان قدومه إليها لليلتين بقيتا من المحرم سنة ٢٢٠ هـ^(٢).



وما إن بلغ الإمام الجواد (ع) بغداد وشاع خبر قدومه؛ حتى كان - كما هو المنتظر - موضع اهتمام رجال الفقه والحديث، ومطمح أنظار

(١) بحار الأنوار: ٨٦/٥٠.

(٢) الإرشاد: ٣٤٨ و ٣٥١ والمناقب: ٤٢٧/٢ والفصول المهمة: ٢٥٧ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٨/٥٠ ونور الأبصار: ١٤٩ وينابيع المودة: ٣٦٥.

أهل الإيمان والدين، ومفزع طلاب العلم والمعرفة في أحكام القرآن ومسائل الشريعة، حتى جاء في إحدى الروايات - ونسوقها مثلاً على اللجوء إلى الإمام في المعضلات الفقهية -: إن سارقاً حضر عند المعتصم ذات يوم فأقر على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة أن يطهره بإقامة الحدّ عليه، فجمع المعتصم فقهاء البلاط لهذا الغرض في مجلسه وأحضر محمد بن عليّ معهم، وسألهم عن القطع في أي موضع يجب أن يكون؟

فأجاب ابن أبي داوود: «من الكرسوع».

فقال له الخليفة: «وما الحجة على ذلك؟».

فقال القاضي المذكور: «لأن اليد هي الأصابع والكفّ إلى الكرسوع، لقول الله في التيمم: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾. واتفق معه في ذلك قوم من الحاضرين، «وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق... لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦] في الغسل دل ذلك على أن حدّ اليد هو المرفق».

«فالتفت الخليفة إلى محمد بن عليّ (ع) فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟».

(فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين).

(قال: دعني مما تكلموا به، أي شيء عندك؟).

(قال: إنهم أخطأوا فيه السنة، فإن القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف).

قال الخليفة: (وما الحجة في ذلك؟).

قال الإمام: (قول رسول الله (ص): «السجود على سبعة أعضاء:

الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأجزاء السبعة التي يُسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وما كان الله لم يقطع).

(فأعجب المعتصم ذلك، وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف)^(١).

وهكذا كانت أيام مكث الإمام الجواد (ع) في بغداد حافلة بالفقه والعطاء، زاخرة بالثقيف والتعليم، وهي تشهد تصاعد مراجعة الناس له وانثيالهم عليه بالسؤال والمحاورة واقتباس العلم والمعرفة، حتى ثقل ذلك على الخليفة وحاشيته وذوي قرياه، ولكن الحفاظ على الاحترام والمجاملة ومظاهر الحفاوة كان مانعاً من إعلان هذا الحقد الكامن وإبراز ذلك الحسد المكتوم.

ثم سرعان ما توفي الإمام ولم يمر عام على قدومه بغداد من دون أن يُعلم أنه قد مرض أو أصابه طارئ من طوارئ الحياة، وحدث المسعودي: أن جعفر بن المأمون قد حرض أم الفضل - وكانت أخته لأمه وأبيه - على أن تدس السم إليه ففعلت ما طلب منها^(٢)، وروى عدد من المؤرخين: أن المعتصم هو الذي أمر أم الفضل بسمه^(٣)، واختار آخرون كلمة (يقال) أو (قيل) في وفاته مسموماً^(٤)، وجاء في إحدى

(١) بحار الأنوار: ٥/٥٠ - ٦.

(٢) إثبات الوصية: ١٩٠.

(٣) مروج الذهب: ٨/٤ والمناقب: ٤٢٧/٢ وبحار الأنوار: ٨/٥٠ و ١٠ و ١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٤) الإرشاد: ٣٥١ والفصول المهمة: ٢٥٨ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ٣/٥٠ و ١٣ ونور الأبصار: ١٤٩ وينابيع المودة: ٣٦٥.

الروايات: أن المعتصم أشار (على ابنة المأمون زوجته بأن تسمه، لأنه وقف على انحرافها عن أبي جعفر (ع) وشدة غيرتها عليه لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها لأنه لم يرزق منها ولداً، فأجابته إلى ذلك وجعلت سماً في عنب رازقي ووضعته بين يديه، فلما أكل منه ندمت وجعلت تبكي^(١).

ومهما يكن من أمر، وأياً ما كان سبب الوفاة، فقد اخترم الأجل المحتوم عمر الإمام الجواد (ع)، وارتفعت روحه المباركة إلى السماء لتحل في أعلى عليين، مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وكان ذلك باتفاق المؤرخين يوم الثلاثاء^(٢)، وإن لم يتفقوا على تحديد تاريخ ذلك اليوم، فذهب بعضهم - وهو القول الأشهر - إلى وفاته في آخر ذي القعدة الحرام^(٣)، وقيل: أنه توفي في الحادي عشر من شهر ذي القعدة^(٤)، وقيل: الخامس أو السادس من ذي الحجة^(٥).

غير أنهم يكادون يجمعون على وقوع ذلك في سنة ٢٢٠ هـ^(٦)، وإن

(١) بحار الأنوار: ١٧/٥٠.

(٢) الكافي: ٤٩٧/١ وإثبات الوصية: ١٩٠ وتاريخ بغداد: ٥٥/٣ ووفيات الأعيان: ٣١٥/٣ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الأنوار: ٣/٥٠ و١١ و١٢ و١٥ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٣) الكافي: ٤٩٢/١ والإرشاد: ٣٤٨ و٣٥١ وتهذيب الطوسي: ٩٠/٦ والمناقب: ٢/٤٢٦ والفصول المهمة: ٢٥٧ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و٢ و٧ و١٥ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٤٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٤) بحار الأنوار: ١٥/٥٠ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٥) الكافي: ٤٩٧/١ وإثبات الوصية: ١٩٠ ومروج الذهب: ٧/٤ وتاريخ بغداد: ٣/٥٥ والمناقب: ٤٢٦/٢ ووفيات الأعيان: ٣/٣١٥ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ ومطالب السؤل: ٧٥/٢ والفصول المهمة: ٢٥٨ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و٢ و٧ و١١ و١٢ و١٣ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(٦) الكافي: ٤٩٢/١ و٤٩٧ وإثبات الوصية: ١٩٠ والإرشاد: ٣٣٩ و٣٥١ وتهذيب =

شد بعضهم فذكر أنها سنة ٢١٩هـ^(١) أو في أيام خلافة الواثق العباسي^(٢).

وشيعت بغداد - بكل طبقاتها - جثمان الإمام الطاهر إلى مقابر قريش فدفن إلى جنب جده الإمام موسى بن جعفر (ع)^(٣) حيث مثوهما الزاهر ومرفدهما المقدس الذي أصبح محجة لزيارة الناس من كل حدب وصوب، ومعلماً بارزاً يزهى حتى اليوم بصرحه الشامخ وقبته الذهبيتين وبنائه الحاوي لبدائع الفن والرياسة والزركشة، وروائع ضروب التطعيم الفضي والزجاجي البالغ أسمى مراتب الجمال المدهش والحسن الأخاذ^(٤).

ولم يفث المؤرخين والرحالة زيارة هذا المشهد ووصفه جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر^(٥)، وشارك الشعراء في هذا المضممار بمدائحهم البليغة وقصائدهم العامرة، وكان منهم الشاعر الموصللي عبد الغفار الأخرس الذي صحب هدية السلطان العثماني للمشهد وأنشد قصيدة في الاحتفال الذي أقيم بهذه المناسبة قال فيها:

= الطوسي: ٩٠/٦ وتاريخ بغداد: ٥٥/٣ والمناقب: ٤٢٦/٢ ووفيات الأعيان: ٣/٣١٥ وكفاية الطالب: ٣١١ وكامل ابن الأثير: ٢٣٧/٥ ومنهاج السنة: ١٢٧/٢ والعبير: ٣٠٠/١ وتاريخ أبي الفدا: ٣٣/٢ وتذكرة الخواص: ٣٦٨ ومطالب السؤل: ٧٥/٢ والفصول المهمة: ٢٥٨ والوافي بالوفيات: ١٠٥/٤ ومرآة الجنان: ٨١/٢ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وشذرات الذهب: ٤٨/٢ وبحار الأنوار: ١/٥٠ و٢ و٧ و١١ و١٢ و١٣ و١٥ وتاريخ الخميس: ٣٣٦/٢ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونيابيع المودة: ٣٦٥ و٣٨٥ ونور الأبصار: ١٤٩ وعمدة الزائر: ٣٢٤.

(١) مروج الذهب: ٧/٤ ووفيات الأعيان: ٣/٣١٥ ومنهاج السنة: ١٢٧/٢ والنجوم الزاهرة: ٢٣١/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٤ وبحار الأنوار: ١٢/٥٠.

(٢) مروج الذهب: ٣٠/٤ والمناقب: ٤٢٧/٢ وبحار الأنوار: ١٣/٥٠.

(٣) نص على ذلك جميع من ترجم للإمام الجواد (ع).

(٤) و(٥) يراجع في تفصيل ذلك [المجلد الثالث عشر - موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمته - المؤلفات] [تاريخ المشهد الكاظمي].

يا من هدى هداة العبادا يا إمام الهدى ويا صفوة الله
حي هذا النادي وهذا المنادى يا ابن بنت الرسول يا ابن علي
إلى أن قال:

وكذا القدوة الإمام الجوادا طالبات موسى بن جعفر فيه
قد عرفنا التكوين والإيجادا أنتم علة الوجود وفيكم
وختمها بقوله:

زودونا من رفقكم إرفادا قد وفدنا آل النبي عليكم
ببياض الغفران هذا السوادا^(١) بسواد الذنوب جئنا لنمحو

ووصف الشاعر الموصلي عبد الباقي العمري الفاروقي ما في
المشهد من المرايا والقناديل والمعلقات فقال في بعض ما قال:

قد حكّت قلب صبّ أهل الطفوف حضرة الكاظمين منها المرايا
كبرت عن تشبيهها بالكفوف صبغتها يدُ التجلي بكف
فتراءت لطرفي المطروف وروت عن غدير خمّ صفاء
بصفوف تلوح إثر صفوف من قناديل عسجد زينوها
بأكف الألحاظ ذات قطوف روضة للصدر فيها ورود
هذه كعبة الجلال طفوفي^(٢) كلما زرتها أقول لعيني:

كذلك وصف الشاعر السيد حيدر الحلبي المشهد المقدس بقصيدة
طويلة غراء جاء فيها قوله مخاطباً صحن المشهد بمناسبة إعادة بنائه
وتعميره:

لك فخر المحارة انفلقت عن درتين استقلّتا الشمس نورا

(١) ديوان عبد الغفار الأخرس: ٧٩ - ٨١.

(٢) ديوان عبد الباقي العمري: ١١٦ - ١١٧.

وهما قبتان ليست لكلّ
حول كلّ منارتان من التبر
كبرت كل قبة بهما شأ
إلى أن قال:

يا لك الله ما أجلك صحناً
حرم آمنٌ به أودع الله
وكفى بالجلال فيك خفيرا
تعالى حجابهُ المستورا^(١)



(١) ديوان السيد حيدر الحلبي: ٣٥ - ٤١.

تُرَاثُ الْإِمَامَةِ

حينما روى المسلمون في كتب الحديث المعتمدة لديهم عن عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وغيرهم: أن النبي (ص) قام يوماً خطيباً في أصحابه (فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرهم به)، أو أنه (حدثهم بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة)، وأن هذا الحديث - كما نصَّ رواته - قد (حفظه مَنْ حفظه ونسيه من نسيه)^(١)، فإن هذه الروايات لم تكن في مجموعها كذباً واختلاقاً، ولا يصح وصف مضامينها بالوضع والتلفيق، وربما كان في طليعة ما يؤكد صحتها ما هو ثابت تاريخياً من التزام علي (ع) بتسجيل أخبار الغيب التي سمعها من النبي (ص) خلال امتداد عصر النبوة، وتدوين ذلك كله في (جفر) احتفظ به عنده - والجفر: جلد ولد الماعزة - إذ لم يكن لديهم يومذاك ما يكتبون فيه غير الجلود. وكان علي (ع) يخبر بتلك المغيبات كما تلقاها ووعاها من صاحب الرسالة الناطق عن الوحي، ويقول في الردِّ على من يتوهم فيه علم الغيب: بأنه (ليس هو بعلم غيب، وإنما تعلم من ذي علم، علمه الله نبيه فعلمنيه)^(٢).

كذلك أودع علي (ع) في جفر آخر جوامع (علم ما يحتاج الناس

(١) يراجع في هذه الأحاديث: صحيح البخاري: ١٢٩/٤ وسنن أبي داود: ٤١٠/٢ وسنن الترمذي: ٤٨٣/٤ ومسند أحمد: ٢٥٤/٤ و٣٨٥/٥ و٣٨٩ و٤٠١.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤٥/١ - ٢٤٦.

إليه) من شؤون (الحلال والحرام حتى أرش الخدش)^(١) مما تعلمه من رسول الله (ص) أيضاً واقتبسه من أحاديثه وأقواله، وهو الذي اشتهر بعد ذلك في لسان المؤرخين والمحدثين باسم (الجامعة)^(٢) تمييزاً بينه وبين الجفر المتقدم.

وروى حاجي خليفة^(٣) عن الشيخ كمال الدين محمد بن طلحة النصبيني الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢هـ: أن الأئمة من أولاد علي كانوا يعرفون الجفر رواية عن جدهم أمير المؤمنين (ع)، ويخبرون عما جاء فيه من أنباء الغيب وأحكام الدين، وهم يتوارثون ذلك كله ويحتفظون به منهلاً ينهلون منه، ومرجعاً يعودون إليه في معرفة مسائل الفقه وعلوم الشريعة.

وفي ضوء ذلك كله وجلاء دلالته ومعناه، ليس يخالجننا أي إحساس بعجب أو استغراب عندما نقف على المأثور عن الإمام الجواد وعلى ما قيل في سعة علمه وغزارة فضله، وعندما نلمس تدفق ذلك العطاء الفكري وامتداد آفاقه المترامية، على الرغم من صغر سن الإمام بالقياس إلى الحسابات المتداولة في أعمار الناس وما يمكن أن يتعلموه في مثل تلك المدة الزمنية من العمر.

وكان المنبع الأكبر لعلم الإمام الجواد (ع) بعد هذه الموارد المشار إليها من مدونات آبائه الغر الميامين، وقد رووها مسندة عن جدهم أمير المؤمنين (ع)^(٤) ما تعلمه ورواه مباشرة عن أبيه الإمام

(١) الكافي: ٢٣٩/١ و ٢٤٠ و ٢٤١ والإرشاد: ٢٩٢ والمناب: ٣٤٧/٢.

(٢) يراجع في تفاصيل (الجفر) و(الجامعة): الإمام جعفر بن محمد الصادق: ٢٤٠ - ٢٥٠ [المجلد السابق من سيرة الأئمة (ع)].

(٣) كشف الظنون: ٥٩١/١ - ٥٩٢.

(٤) وفيات الأعيان: ٣/٣١٥ و مرآة الجنان: ٢/٨١ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٣.

الرّضا (ع)^(١) خلال تلك السنوات القليلة التي عاشها في ظلاله، فاجتمع له ببركة هذين المنبئتين المقدّستين ما تسامى به شأنًا ومقامًا وتعالى شرفاً ورفعة، بما ضم من لباب علم النبوة وأسرار حقائق التنزيل، وما انتهى إليه بواسطة تلك السلسلة المباركة الزاهية عن جده الأعظم (ص) مما كان يحدث به عن لسان الوحي وبلاغ السماء وحكم الله في أمور العباد ومصالح البلاد.

ومن هنا كان تراث الإمامة المأثور عن الإمام الجواد (ع) بهذه الدرجة العليا من التقدير بل التقديس، وكان لزاماً علينا - انسجاماً مع تلك القدسية وسمو القدر - أن نتطلع إليه متعلمين مسترشدين، وأن نستجلي مراميه متأملين فاحصين، وأن نستعرض بوعي واستيعابٍ مجمل مطالبه الرئيسة وخطوطه البارزة العريضة، فيما أجاب به السائلين، وناقش به المحاورين، وأوضح به الإبهام لطالبي المعرفة من جمهور المسلمين.

وقد شملت تلك المأثورات الماثلة في مصادر السلف عدة جوانب من شؤون علم الكلام والتوحيد، وتفسير القرآن والحديث، ومسائل الفقه والأحكام، وقواعد الأخلاق والسلوك، وتلك هي الموضوعات الكبرى في الفكر الديني والثقافة الإسلامية. كما شملت تلك المأثورات أيضاً توجيهاته القيمة وإرشاداته الحكيمة في التنبيه على أهمية العلم ونفاسة قيمته في ذاته أولاً، وفي أثره الفاعل في حسن أداء العمل وإنجازه على أفضل وجوهه ثانياً، وكذلك التنبيه على أهمية العقل النير لكونه المجسّد لكمال الإنسان والبناني لإنسانيته الحقّة، بما يصقل الروح ويهذب النفس وينزه الجوارح من الخنى والسوء والفحشاء.

ويكفينا شاهداً على مضامين تلك التوجيهات والإرشادات ما رواه ابن الصباغ المالكي عن الإمام الجواد من نصوص ذهبية عُنت ببيان هذه الجوانب التي يجب أن يتنافس فيها المتنافسون، فقال (ع) في جملة ما قال: (الدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع).

(العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم).

(أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة والغنى والعلم والتوفيق).

(الجمال في اللسان، والكمال في العقل)^(١).



ونعود بعد هذا التمهيد الموجز إلى استعراض زبدة المطالب الفكرية والثقافية التي عُني الإمام بإيضاحها لسائله، وهي متعددة المجالات والمقاصد كما يعلم المطلعون، ويأتي في مقدمتها ما رُوي عنه في مسائل علم الكلام وما يتعلق بذلك من شؤون معرفة الله وتوجيهه ومن تحديد معاني الألفاظ المستعملة في التعبير عن أسماء الباري عز وجل وصفاته، ونسوق في المثال على هذا ما رواه أبو هاشم الجعفري فقال:

(كنتُ عند أبي جعفر الثاني (ع) فسأله رجل فقال: أخبرني عن الرب تبارك وتعالى وله أسماء وصفات في كتابه: أسماؤه وصفاته هي هو؟).

(فقال أبو جعفر (ع): إن لهذا الكلام وجهين، إن كنت تقول: هي هو - أي أنه ذو عدد وكثرة - فتعالى الله عن ذلك. وإن كنت تقول: هذه

(١) الفصول المهمة: ٢٥٥ - ٢٥٦.

الصفات والأسماء لم تزل فإن (لم تزل) محتمل معنيين، فإن قلت: لم تزل عنده في علمه وهو مستحقها فنعم، وإن كنت تقول: لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره، بل كان الله ولا خلق، ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه، وهي ذكره، وكان الله ولا ذكر.

والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل، والأسماء والصفات مخلوقات، والمعاني والمعنيّ بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا ائتلاف، وإنما يختلف ويأتلف المتجزىء، فلا يقال: الله مؤتلف، ولا: الله قليل ولا كثير، ولكنه القديم في ذاته، لأن ما سوى الواحد متجزىء، والله واحد لا متجزىء ولا متوهّم بالقلّة والكثرة، وكل متجزىء أو متوهّم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له، فقولك: إن الله قدير خبرت أنه لا يعجزه شيء، فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواه، وكذلك قولك: عالم، إنما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواه، فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع، ولا يزال من لم يزل عالماً).

(فقال الرجل: فكيف سمينا ربنا سميعاً؟).

(فقال: لأنه لا يخفى عليه ما يُدرّك بالأسماع، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس. وكذلك سمينا بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون أو شخص أو غير ذلك، ولم نصفه ببصر لحظ العين. وكذلك سمينا لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى، وموضع النشوء منها والعقل والشهوة للسفاد والحدب على نسلها وإقام بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والفقار، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف. وكذلك سمينا ربنا قوياً لا بقوة البطش

المعروف من المخلوق، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان، وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً. فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية ولا تبصار بصر، ومحرم على القلوب أن تمثله، وعلى الأوهام أن تحده، وعلى الضمائر أن تكوّننه. جل وعز عن أداة خلقه وسمات بريته، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^(١).

هكذا تحدث الإمام عن حقائق أسماء الله وصفاته، وهكذا أوضح دقائق ذلك بأوفى شرح وبيان، وجاء في بعض الروايات في هذا السياق المرتبط بأسماء الله تعالى وصفاته: أن أحد أصحابه سأله يوماً عن معنى الواحد فقال: (إجماع الألسن عليه بالوحدانية، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(٢) [الزخرف: ٨٧].

وسأله داود بن القاسم ذات يوم عن معنى الصمد، فقال: يعني (المصمود اليه في القليل والكثير) أي المقصود^(٣).

وسأله آخر فقال: هل يجوز أن يقال لله تعالى: إنه شيء؟، فقال: (نعم، ويخرجه عن حدّ التعطيل وحدّ التشبيه)^(٤)، ويعني بالتعطيل إنكار وجوده أو الشك فيه، وبالتشبيه مشاركة بعض الخلق في صفاته.



(١) الحديث بتمامه في الكافي: ١١٦/١ - ١١٧ ويعضه في الاحتجاج: ٤٦٧/٢ - ٤٦٨.

(٢) الكافي: ١١٨/١.

(٣) الكافي: ١٢٣/١.

(٤) الكافي: ٨٢/١.

وعندما نتنقل من موضوع التوحيد والصفات الإلهية إلى الإسلام والقرآن والسنة النبوية الشريفة وما أثر عن الإمام الجواد (ع) في ذلك كله، فإننا نوجز المأثور عنه في هذا الخصوص بما لفت الأنظار إليه من قدسية الإسلام وكرامة القرآن فيما رواه عبد العظيم الحسيني من حديث أبي جعفر الثاني (ع) عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين (ع) قال: قال رسول الله (ص).

«إن الله خلق الإسلام فجعل له عرساً وجعل له نوراً وجعل له حصناً وجعل له ناصرًا: فأما عرسته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي - إلى آخر الحديث -»^(١).

كما نوجز حديثه عن السنة النبوية - وهي المصدر الأكبر لتعاليم الدين بعد القرآن المجيد - بما أوضح به الحد الفاصل والميزان العادل، لمعرفة صدق الحديث المنسوب وكذبه، في هدى ما رواه عن آبائه عن جده رسول الله (ص) في حجة الوداع حيث قال: «قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر بعدي، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»^(٢). فإذا أتاكم الحديث عني فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به».

وكان الإمام بذلك يجيب يحيى بن أكثم إذ سأله: (ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي: أنه نزل جبرئيل على رسول الله (ص)

(١) الكافي: ٤٦/٢.

(٢) يراجع في هذا الحديث: صحيح البخاري: ٣٧/١ و ٩٧/٢ وسنن أبي داود: ٢/

٢٨٧ وسنن ابن ماجه: ١٣/١ - ١٤ والترمذي: ٣٥/٥ - ٣٦ ومسنند أحمد: ١/

٤٧ و ٨٣ و ١٢٣ و ١٥٠.

وقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقرؤك السلام ويقول لك: سل أبا بكر هل هو عني راض فأني عنه راض. فاستشهد الإمام في جوابه بالحديث النبوي السالف الذكر ثم قال: (ليس يوافق هذا الخبر كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ، فَسَهُ وَحَنُّ أَوْزُبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، فالله عز وجل خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سره!، هذا مستحيل في القول).

وقال (ع) في جواب ابن أکثم لما سأله عما روي في فضائل الخليفين الأولين من كونهما سيدي كهول أهل الجنة: (هذا الخبر محال أيضاً، لأن أهل الجنة كلهم يكونون شباناً ولا يكون فيهم كهل، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قاله رسول الله (ص) في الحسن والحسين (ع) بأنهم سيذا شباب أهل الجنة).

وكذلك كان جوابه (ع) لابن أکثم أيضاً لما سأله عما يروي أن النبي (ص) قال: ما احتبس عني الوحي قط إلا ظننته قد نزل على آل الخطاب. فقال (ع): (وهذا محال أيضاً، لأنه لا يجوز أن يشك النبي في نبوته، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاها الله تعالى^(١)).



أما تراثه في الفقه والأحكام الشرعية فغير قليل، وقد شمل أبواباً مختلفة من مسائل الفقه وفروعه مما لا مجال لعرضه في هذا المختصر، ويستطيع الراغب في الوقوف على ذلك مراجعة كتب الحديث وفي

(١) الاحتجاج: ٤٧٧/٢ - ٤٨٠. ويراجع في نصوص تلك المزاعم المنسوبة إلى النبي (ص): تاريخ بغداد: ١٠٦/٢ و ١١٨/٧ و ١٩٢/١٠ والجزء الخامس من كتاب الغدير وخصوصاً ص ٣١٢ و ٣١٦ منه.

مقدمتها الكتب الأربعة المعروفة: الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ وكتاب من لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ وكتابا التهذيب والاستبصار لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، وقد ضمت هذه المصادر الأربعة الرئيسة - وكذلك الكتب الأخرى المعنية بالأحاديث الفقهية - شيئاً وافراً من المرويات عن الإمام الجواد (ع) في شؤون العبادات والمعاملات والإيقاعات والعقود.

وكانت تلك الروايات في معظمها مسندة سماعاً من فم الإمام نفسه، وإن ورد فيها ما سئل عنه الإمام مكاتبة فأجاب عليه كتابة أيضاً^(١).



ثم أثرت عن الإمام (ع) من قبل ذلك وبعده تعليمات وتوجيهات في ميادين صقل الروح وتهذيب النفس وتعميق العلاقة بين العبد وربه بالتسليم له والتوكل عليه والاستعانة به في التماس الحاجات وحل المشكلات وتسهيل المعضلات، وجاء في جملة تلك الإرشادات والتوجيهات أدعية وأذكار حثَّ الإمامُ المؤمنين على ترديدها كل صباح ومساءً، لقضاء الحوائج وتيسير عقد الأمور، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾ [الفرقان: ٧٧]. وكان من أمثلة ذلك ما رواه محمد بن الفضيل قال:

(كتبْتُ إلى أبي جعفر الثاني (ع) أسأله أن يعلمني دعاءً، فكتب إليّ: تقول إذا أصبحتَ وأمسيْتَ: (الله الله ربي الرحمن الرحيم لا

(١) يراجع في ذلك كتاب الكافي: ٢٠٥/٣ و٢١٨ و٢٦٣ و٢٨٢ و٣٩٩ و٤٠٧ - ٤٠٨

أشرك به شيئاً)، وإن زدت على ذلك فهو خير، ثم تدعو بما بدا لك في حاجتك، فهو لكل شيء بإذن الله تعالى^(١).

وكان من أمثلة ذلك أيضاً ما حدث به محمد بن الفرج قال:
 (كتب إليّ أبو جعفر بن الرضا (ع) بهذا الدعاء وعلمنيه وقال: من
 قاله في دبر صلاة الفجر لم يلتمس حاجة إلا تيسرت له وكفاه الله ما
 أهمه:

(بسم الله وبالله، وصلى الله على محمد وآله، وأفوض أمري إلى
 الله إن الله بصير بالعباد، فوقاه الله سيئات ما مكروا، لا إله إلا أنت
 سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك
 تنجي المؤمنين، حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم
 يمسسهم سوء، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، -
 إلى آخر الدعاء -).

وأضاف الإمام إلى ما تقدم مخاطباً محمد بن الفرج:
 (إذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقال: (رضيتُ بالله رباً، وبمحمد
 نبياً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن كتاباً، وبفلان وفلان أئمة - إلى آخر
 الدعاء -).

ثم علّمه الإمام (ع) ما كان يقوله النبي (ص) إذا فرغ من صلاته:
 (اللهم اغفر لي ما قدمت وأخرتُ وما أسررت وما أعلنتُ، وإسرافي
 على نفسي، وما أنت أعلم به مني... اللهم إني أسألك خشيتك في
 السر والعلانية، وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر
 والغنى - إلى آخر الدعاء -)^(٢).

(١) الكافي: ٥٣٤/٢.

(٢) يراجع في النصوص الكاملة لهذه الأدعية كتاب الكافي: ٥٤٧/٢ - ٥٤٩.

هذه مقتطفات موجزة ومقتبسات ملتقطة من تراث الإمام الجواد (ع) الذي كان وما زال منهلاً سائغاً رويّاً من مناهل الاستنباط والمعرفة، بل مصدراً أساسياً من مصادر الاجتهاد والتشريع في الإسلام، بحكم اتصاله - بواسطة الأئمة المطهرين - بوحى الله المنزل وسنة نبيه المرسل، وقد رجع إليه وأفاد منه الطلاب الدارسون والفقهاء الراغبون في الوقوف على اللباب الديني الأصيل، قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل.

وكلمة حق يجب أن تقال:

إن الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام على تراثه العظيم وما حمل من فكر وعطاء، إنما يعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له الذين سمعوا منه ذلك فحدّثوا به وأبلغوه إلى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالإفادة منه والاطلاع عليه والاهتداء بأنواره الدالة على سواء السبيل، ونخص منهم بالذكر أولئك النوابغ الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات تحفظها من الضياع وتحميها من النسيان، وكان فيهم من بوّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من جمع ما سمع في مجموعاتٍ أُطلق عليها في فهارس ذلك العصر اسمُ (النوادر) أو (كتاب مسائل).

ونورد فيما يأتي - رعاية لما التزمنا به من الاختصار والإيجاز - جريدة تحوي أسماء الرواة عن الإمام الجواد (ع) ومن نصّ المؤرخون

على مَنْ كان منهم من أصحاب الكتب والمدونات، كما نورد أيضاً ما ذكر المترجمون لهم من أسماء مؤلفاتهم ومصنفاتهم، معلنين الاعتراف لهم باليد البيضاء والإحسان المشكور على جميع طلاب العلم والشريعة المستفيدين من ذلك كله على كر السنين، ومسجلين أسمى مشاعر التقدير والإكبار لهم بحكم كونهم بعضاً من تلك الطلائع المتقدمة في الجمع والتدوين في التاريخ العربي الإسلامي، ومن جملة ذلك الرعيل السباق من رواد هذا الميدان في أوائل المائة الهجرية الثالثة(*):

- ١ - إبراهيم بن داوود اليعقوبي.
- ٢ - إبراهيم بن شيبه الأصبهاني، وأصله من قاسان.
- ٣ - إبراهيم بن محمد الهمداني.
- ٤ - إبراهيم بن مهرويه، من أهل جسر بابل.
- ٥ - إبراهيم بن مهزيار.
- ٦ - أحكم بن بشار المروزي.
- ٧ - أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص الأشعري، القمي، أبو علي، له مؤلفات، منها:

(*) عُني الباحث المرحوم الشيخ عناية الله على القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري، بجمع كتاب رجال الكشي (من مؤلفي النصف الأول من القرن الرابع) وكتاب رجال ابن الغضائري (من مؤلفي النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠هـ وكتاب الرجال وكتاب الفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، فأورد هذه الكتب بألفاظها مع تمييز نص كل واحد منها منفرداً مستقلاً عن غيره، وسمى هذا المجموع (مجمع الرجال) وهو مطبوع في سبعة أجزاء.

وقد رجعت إلى هذا الكتاب - بما تضمن من نصوص تلك الكتب - في ضبط أسماء المؤلفين الرواة عن الإمام الجواد (ع) وفي تبيين أسماء كتبهم ورمزنا له (بمجمع)، كما رجعت في ذلك إلى فهرست ابن النديم أيضاً.

- أ - كتاب علل الصلاة - كبير - .
- ب - كتاب علل الصوم - كبير - (مجمع : ١/٩٦).
- ٨ - أحمد بن حماد المروزي .
- ٩ - أحمد بن عبد الله الكوفي .
- ١٠ - أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر البزنطي، أبو جعفر، وقيل :
أبو علي، وهو من الرواة عن الإمام الرضا (ع) أيضاً، وذكرنا
مؤلفاته هناك .
- ١١ - أحمد بن محمد بن بندار .
- ١٢ - أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي
البرقي، الكوفي، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٧٤هـ أو ٢٨٠هـ،
صنف كتباً كثيرة، منها :
- أ - كتاب الإبلاغ .
- ب - كتاب الأجناس والحيوان .
- ج - كتاب الاحتجاج .
- د - كتاب أحكام الأنبياء والرسل .
- هـ - كتاب أخبار الأصم .
- و - كتاب اختلاف الحديث .
- ز - كتاب أخص الأعمال .
- ح - كتاب الإخوان .
- ط - كتاب أدب المعاشرة .

- ي - كتاب أدب النفس .
- ك - كتاب الأركان .
- ل - كتاب الأزاهير .
- م - كتاب الأشكال والقرائن .
- ن - كتاب أفاضل الأعمال .
- س- كتاب الأفانين .
- ع - كتاب الامتحان .
- ف - كتاب الأمثال .
- ص - كتاب الأمم .
- ق - كتاب الأوائل .
- ر - كتاب الأوامر والزواجر .
- ش- كتاب بدء خلق إبليس والجن .
- ت - كتاب البلدان والمساحة .
- ث - كتاب بنات النبي (ص) وأزواجه .
- خ - كتاب التاريخ .
- ذ - كتاب التأويل .
- ض - كتاب التبصرة .
- ظ - كتاب التبيان .
- غ - كتاب التجمل .

- ب أ - كتاب التحذير .
- جأ - كتاب التخويف .
- دأ - كتاب التراحم والتعاطف .
- هأ - كتاب الترغيب .
- وأ - كتاب التسلية .
- زأ - كتاب التعازي .
- ح أ - كتاب التعويض .
- ط أ - كتاب التفسير .
- ي أ - كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه .
- ك أ - كتاب التهاني .
- ل أ - كتاب التهذيب .
- م أ - كتاب الثواب .
- ن أ - كتاب ثواب القرآن .
- س أ - كتاب جداول الحكمة .
- ع أ - كتاب الجمل .
- ف أ - كتاب الحيوّة .
- ص أ - كتاب الحقائق .
- ق أ - كتاب الحياة - وهو كتاب النور والرحمة - .
- رأ - كتاب الحيل .

- ش أ - كتاب الخصائص .
- ت أ - كتاب خلق السماء والأرض .
- ث أ - كتاب الدعاء .
- خ أ - كتاب الدعابة والمزاح .
- ذ أ - كتاب الدواجن والرواجن .
- ض أ - كتاب ذكر الكعبة .
- ظ أ - كتاب الرؤيا .
- غ أ - كتاب الرفاهية .
- ب ب - كتاب الرواية .
- ج ب - كتاب الرياضة .
- د ب - كتاب الزجر والفال .
- ه ب - كتاب الزهد والمواعظ .
- و ب - كتاب الزي .
- ز ب - كتاب الزينة .
- ح ب - كتاب السفر .
- ط ب - كتاب الشعر والشعراء .
- ي ب - كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل .
- ك ب - كتاب الشوم .
- ل ب - كتاب الصفوة .

- م ب - كتاب صوم الأيام .
ن ب - كتاب الصيانة .
س ب - كتاب الطب .
ع ب - كتاب طبقات الرجال .
ف ب - كتاب الطيب .
ص ب - كتاب الطيرة .
ق ب - كتاب العجائب .
ر ب - كتاب العقاب .
ش ب - كتاب العقل .
ت ب - كتاب العقوبات .
ث ب - كتاب العلل .
خ ب - كتاب العيافة والقيافة .
ذ ب - كتاب العين .
ض ب - كتاب الغرائب .
ظ ب - كتاب الفراسة .
غ ب - كتاب الفروق .
ب ج - كتاب فضل القرآن .
ج ج - كتاب الفهم .
د ج - كتاب القريب .

هـ ج - كتاب ما خاطب الله به خلقه .

و ج - كتاب المآثر والأنساب .

ز ج - كتاب المآكل .

ح ج - كتاب الماء .

ط ج - كتاب المحاسن .

ي ج - كتاب المحبوبات والمكروهات .

ك ج - كتاب مذام الأخلاق .

ل ج - كتاب مذام الأفعال .

م ج - كتاب المراشد .

ن ج - كتاب المرافق .

س ج - كتاب المساجد الأربعة .

ع ج - كتاب المستحبات .

ف ج - كتاب مصابيح الظلم .

ص ج - كتاب المصالح .

ق ج - كتاب المعارض .

ر ج - كتاب المعاني والتحريف .

ش ج - كتاب المعيشة .

ت ج - كتاب مغازي النبي (ص) .

ث ج - كتاب مكارم الأخلاق .

- خ ج - كتاب المكاسب .
- ذ ج - كتاب المنافع .
- ض ج - كتاب المواهب والحفظ .
- ظ ج - كتاب النجاة .
- غ ج - كتاب النجوم .
- ب د - كتاب النحو .
- ج د - كتاب النساء .
- د د - كتاب النوادر .
- هـ د - كتاب الهداية . (الفهرست : ٢٧٧ ومجمع : ١/١٣٩ - ١٤٣) .
- ١٣ - أحمد بن محمد بن عبيدالله الأشعري : له كتاب نوادر . (مجمع : ١/١٥١) .
- ١٤ - أحمد بن محمد بن عيسى الأشعري : من الرواة عن الإمام الرضا (ع) أيضاً، وذكرنا مؤلفاته في كتابنا الإمام علي بن موسى الرضا (ع) .
- ١٥ - إدريس بن عبدالله بن سعد الأشعري القمي ، أبو القاسم : له كتاب مسائل . (مجمع : ١/١٧٨) .
- ١٦ - إسحاق بن محمد بن إبراهيم الحضيبي .
- ١٧ - أيوب بن نوح بن درّاج الكوفي .
- ١٨ - جعفر الجوهري .
- ١٩ - جعفر بن داوود اليعقوبي .

- ٢٠ - جعفر بن محمد الهاشمي الصيرفي .
- ٢١ - جعفر بن محمد بن يونس الأحول .
- ٢٢ - جعفر بن يحيى بن سعد الأحول .
- ٢٣ - الحسن بن راشد البغدادي، أبو علي .
- ٢٤ - الحسن بن سعيد بن حماد بن سعيد الأهوازي .
- ٢٥ - الحسن بن عباس بن حراش (أو حريش) الرازي: له كتاب ثواب قراءة إنا أنزلناه . (مجمع: ١١٨/٢ - ١١٩) .
- ٢٦ - الحسن بن علي بن أبي عثمان، أبو محمد، الكوفي، الملقب بالسجادة . له كتاب نوادر . (مجمع: ١٢٤/٢ - ١٢٥) .
- ٢٧ - الحسن بن يسار (أوبشار) .
- ٢٨ - الحسين بن أسد .
- ٢٩ - الحسين بن داوود اليعقوبي .
- ٣٠ - الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهران الأهوازي، وأصله من الكوفة، وله مؤلفات كثيرة، وهو من أصحاب الرضا (ع) أيضاً، وتقدم ذكر مؤلفاته في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع) .
- ٣١ - الحسين بن سهل بن نوح .
- ٣٢ - الحسين بن علي القمي .
- ٣٣ - الحسين بن محمد القمي .
- ٣٤ - الحسين بن مسلم .

- ٣٥ - حفص الجوهري .
- ٣٦ - خلف بن سلمة البصري .
- ٣٧ - داوود بن القاسم الجعفري، أبو هاشم، من ولد جعفر بن أبي طالب: له كتاب. (مجمع: ٢/٢٨٩).
- ٣٨ - داوود بن مهزيار، أخو علي .
- ٣٩ - زكريا بن آدم بن عبد الله بن سعد الأشعري القمي، له من المؤلفات:
- أ - كتاب .
- ب - مسائل. (مجمع: ٣/٥٦ - ٥٧).
- ٤٠ - سعد بن سعد بن الأحوص بن سعد بن مالك الأشعري القمي، له:
- أ - كتاب .
- ب - مسائل. (مجمع: ٣/١٠٢ - ١٠٣).
- ٤١ - سهل بن زياد الآدمي الرازي، أبو سعيد، له من المؤلفات:
- أ - كتاب التوحيد .
- ب - كتاب النوادر. (الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ٣/١٨٠).
- ٤٢ - شادان بن الخليل النيسابوري، والد الفضل بن شادان .
- ٤٣ - صالح بن أبي حماد، أبو الخير .
- ٤٤ - صالح بن محمد الهمداني .
- ٤٥ - صفوان بن يحيى البجلي، أبو محمد، بياع السابري، المتوفى سنة

٢١٠هـ، وكان من الرواة عن الإمام الرضا (ع) أيضاً، وذكرنا مؤلفاته في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

٤٦ - العباس بن عمر الهمداني .

٤٧ - عبد الجبار بن المبارك النهاوندي :

له كتاب . (مجمع : ٦٦/٤).

٤٨ - عبد الرحمن بن أبي نجران الكوفي ، له مؤلفات متعددة ، منها :

أ - كتاب البيع والشراء .

ب - كتاب القضايا .

ج - كتاب المطعم والمشرب .

د - كتاب النوادر .

هـ - كتاب يوم وليلة . (مجمع : ٧٣/٤ - ٧٤).

٤٩ - عبدالله بن الصلت ، القمي ، أبو طالب :

له كتاب التفسير . (مجمع : ٧/٤ - ٨).

٥٠ - عبدالله بن محمد الحضيبي (أو الحصيني) :

له كتاب مسائل . (مجمع : ٤٨/٤).

٥١ - عبدالله بن محمد بن حماد الرازي .

٥٢ - عبدالله بن محمد بن سهل بن داوود .

٥٣ - علي بن أسباط بن سالم المقرئ الكوفي ، أبو الحسن ، له من المؤلفات :

أ - كتاب التفسير .

- ب - كتاب الدلائل .
- ج - كتاب المزار .
- د - كتاب النوادر . (مجمع : ١٦٥/٤ - ١٦٦) .
- ٥٤ - علي بن بلال البغدادي .
- ٥٥ - علي بن حديد بن حكيم .
- ٥٦ - علي بن حسان القصير الواسطي، المعمر، أبو الحسين، المعروف بالمُنَمَس . له كتاب . (مجمع : ١٧٧/٤) .
- ٥٧ - علي بن الحكم الكوفي :
- له كتاب : (مجمع : ١٩٢/٤) .
- ٥٨ - علي بن عبد الله القمي .
- ٥٩ - علي بن عبد الله المدائني .
- ٦٠ - علي بن محمد بن علي العلوي الحسني .
- ٦١ - علي بن محمد القلانسي .
- ٦٢ - علي بن مهزار الأهوازي، وهو من أصحاب الرضا (ع) أيضاً، وتقدم ذكر مؤلفاته في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع) .
- ٦٣ - علي بن ميسر (أو ميسرة) .
- ٦٤ - علي بن نصر .
- ٦٥ - علي بن يحيى، أبو الحسين .
- ٦٦ - القاسم بن الحسين البيزنطي، صاحب أيوب بن نوح .
- ٦٧ - محمد بن إبراهيم الحضيني .

- ٦٨ - محمد بن أبي يزيد (أو: أبي زيد) الرازي، وأصله من قم.
- ٦٩ - محمد بن إسماعيل بن بزيع، وهو من الرواة عن الإمام الرضا (ع)، وتقدم ذكر كتابه في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع).
- ٧٠ - محمد بن الحسن بن شمون البصري المعمر، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٥٨هـ، وله من المؤلفات:
- أ - كتاب السنن والآداب.
- ب - كتاب المعرفة.
- ج - كتاب مكارم الأخلاق.
- د - كتاب نوادر. (مجمع: ١٨٧/٥ - ١٨٨).
- ٧١ - محمد بن الحسن بن محبوب.
- ٧٢ - محمد بن الحسن الواسطي.
- ٧٣ - محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات الكوفي، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٦٢هـ، له من المؤلفات:
- أ - كتاب الإمامة.
- ب - كتاب التوحيد.
- ج - كتاب الرد على أهل القدر.
- د - كتاب اللؤلؤة.
- هـ - كتاب المعرفة والبداء.
- و - كتاب النوادر.

ز - كتاب وصايا الأئمة (ع). (مجمع: ١٩٦/٥).

٧٤ - محمد بن حمزة.

٧٥ - محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي، أبو عبد الله، وقيل: أبو الحسن، وكان من أصحاب الإمام الرضا (ع) والرواة عنه، وله مؤلفات كثيرة ذكرنا أسماءها في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

٧٦ - محمد بن سالم بن عبد الحميد.

٧٧ - محمد بن سنان الزاهري الخزاعي، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٢٠هـ، وكان من الرواة عن الإمام الرضا (ع)، وله مؤلفات ذكرناها في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

٧٨ - محمد بن عبد الجبار.

٧٩ - محمد بن عبد الله المدائني.

٨٠ - محمد بن عبد الله بن مهران الكرخي، أبو جعفر، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب التبصرة.

ب - كتاب القباب (كذا).

ج - كتاب مقتل أبي الخطاب.

د - كتاب الملاحم.

هـ - كتاب الممدوحين والمذمومين.

و - كتاب مناقب أبي الخطاب.

ز - كتاب النوادر. (مجمع: ٢٥٠/٥).

- ٨١ - محمد بن عبدة، أبو بشر.
- ٨٢ - محمد بن الفرج الرخجي:
له كتاب مسائل. (مجمع: ٢١/٦).
- ٨٣ - محمد بن نصير.
- ٨٤ - محمد بن الوليد الكرمانى البجلي، الخزاز (أو الخرار) (أو الخراز)، أبو جعفر:
له كتاب نوادر. (مجمع: ٦٤/٦ - ٦٥).
- ٨٥ - محمد بن يونس بن عبد الرحمن.
- ٨٦ - المختار بن زياد العبدي البصري.
- ٨٧ - مروك بن عبيد بن أبي حفصة:
له كتاب نوادر. (مجمع: ٨٤/٦).
- ٨٨ - مصدق بن صدقة.
- ٨٩ - معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي، له من المؤلفات:
- أ - كتاب الحدود.
- ب - كتاب الحيض.
- ج - كتاب الديات.
- د - كتاب الطلاق.
- هـ - كتاب الفرائض.
- و - كتاب النكاح.
- ز - كتاب نوادر. (مجمع: ٩٨/٦).

٩٠ - منذر بن محمد بن المنذر بن سعيد بن أبي الجهم قابوس، أبو القاسم، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب جامع الفقه.

ب - كتاب الجمل.

ج - كتاب صفين.

د - كتاب الغارات.

هـ - كتاب النهروان.

و - كتاب وفود العرب إلى النبي (ص). (مجمع: ١٤١/٦).

٩١ - منصور بن العباس الكوفي أو البغدادي: أبو الحسين، وكانت داره بباب الكوفة ببغداد:

له كتاب كبير في النوادر. (مجمع: ١٤٤/٦).

٩٢ - موسى بن داوود المنقري.

٩٣ - موسى بن داوود اليعقوبي.

٩٤ - موسى بن عبد الله بن عبد الملك بن هشام.

٩٥ - موسى بن عمر بن بزيع الكوفي:

له كتاب. (مجمع: ١٥٨/٦).

٩٦ - موسى بن القاسم بن معاوية بن وهب البجلي، كان من الرواة عن الإمام الرضا (ع)، وله مؤلفات وردت أسماؤها في كتابنا: الإمام علي بن موسى الرضا (ع).

٩٧ - نوح بن شعيب البغدادي، وقيل: هو نوح بن صالح.

٩٨ - هارون بن الحسن بن محبوب بن وهب بن جعفر بن وهب
البيجلي:

له كتاب نوادر. (مجمع: ٢٠٠/٦).

٩٩ - يزداد.

١٠٠ - أبو جعفر البصري، ولعله محمد بن الحسن بن شمون المتقدم
الذكر.

١٠١ - أبو الحصين بن الحصين الحضيبي أو الحصيني.

١٠٢ - أبو خدّاش المهري البصري.

١٠٣ - أبو سارة.

١٠٤ - أبو سكينّة الكوفي.

١٠٥ - أبو مساور (أو أبو مشاور).

١٠٦ - زهراء أم أحمد بن الحسين البغدادي.

١٠٧ - زينب بنت محمد بن يحيى.



وبعد..

فهذا هو محمد بن علي الثاني (ع) في قمم علائمه وسماوات مجده، وفي سامق مقامه وشامخ سؤدده، وفي توهج لمعانه وتبلج أضوائه. وذلك هو نثار علمه المأثور الناطق، وعباب فضله المواج الهادر، وسمو مواهبه المشرقة المتألقة. وتلك هي مراتبه الفذة الباهرة في الحياة الدنيا، ودرجاته الرفيعة الخالدة في جنات الفردوس مع النبيين والصديقين. فمن يدانيه في جميع ذلك - يا تُرى - أو يوازيه؟، وأي إنسان في عصره استطاع أن يجمع في مطاوي ذاته كل هذه الصفات والسمات، وأن تتلأأ في مباهج قسماته كل هذه المعاني والدلالات؟

إنه وارث المصطفى (ص) سيد خلق الله وخاتم المرسلين، وابن الإمام الرضا من آل محمد المنتجبين، وحفيد (العبد الصالح كاظم الغيظ) ابن الصالحين الكاظمين، وسليل الحلقات الذهبية المترابطة التواصل: من (صادق القول) و(باقر العلم) و(زين العابدين) إلى (سيد شباب أهل الجنة) و(قائد الغر المحجلين أمير المؤمنين) سلام الله عليهم أجمعين.

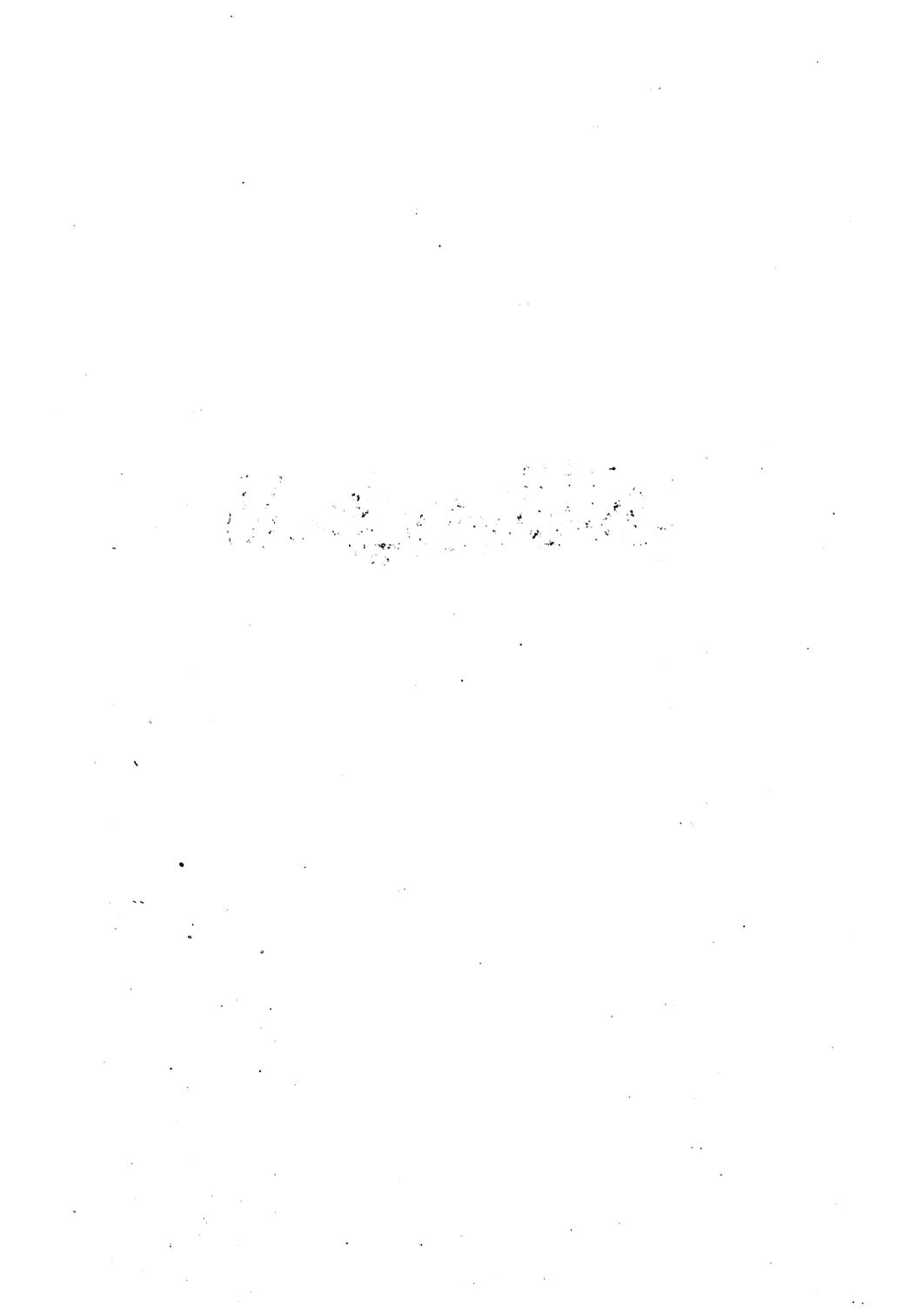
إنه خلاصة أولئك الذين آتاهم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، وكرمهم بما لم يكرم به غيرهم من السابقين واللاحقين، فطأطأ كل شريف لشرفهم، وبخع كل متكبر لمجدهم، وخضع كل جبار لفضلهم،

وأشرفت الأرض بنورهم، وفاز الفائزون بالتمسك بولايتهم وانتهاج نهجهم. فصلوات الله الطيبات وتحياته المباركات تغدو وتروح عليهم جميعاً أولاً وأخيراً، وفي البدء والختام.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، عليه توكلنا وبه نستعين، وسبحانه وتعالى عما يشركون، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.



الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرض موجز لسيرة الإمام العاشر من أئمة الهدى المنتجبين المطهرين، معدن العلم ونبراس الحق ومنار الشريعة ومهوى أفئدة المؤمنين، علي (الهادي) بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته)، متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية، ومنها الولادة والنشأة، والكنية واللقب، والزوج والولد، مع وقفة تمهل وتأمل في روايات تاريخ الولادة وما يمكن أن يحوم حولها من شك وتردد، وإشارات عابرة إلى بعض ما قاسى هذا الشاب اليافع في تلك الحقبة الأولى من عمره من آلام وصعاب، وما تفاقم منها شدة وعنفاً في حادث استدعاء أبيه إلى بغداد ثم وفاته المفاجئة وما قيل في سببها من دس سمّ وسوء قصد.

وعقدت الفصل الثاني منها على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته) شارحاً فيه الأدلة على إمامته في ضوء الأحاديث النبوية العامة الموثقة الدلالة والسند، والنصوص الخاصة المأثورة عن أبيه المسلّم الإمامة في عصره، مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا إمامة بدونه. ثم عرضتُ ما تضافرت عليه الشهادات التاريخية بأهليته للإمامة وكفايته

لذلك وتفرد به بالمواصفات المطلوبة التي أجمع المحققون من فقهاء المسلمين على وجوب اجتماعها في القائم بهذا الأمر، إذ لا إمامة لدى جمهورهم غيرها. مع بيان مقتضب لمجمل سير من ادّعى الإمامة الدينية والولاية العامة في عصره، لغرض التوعية في المقارنة والتنبيه على حقائق الأمور.

ثم أوردت بشيء من الاستيعاب والتفصيل ما ذكر المؤرخون من علاقاته بحكام زمانه في مختلف جوانبها السلبية والإيجابية، وما عانى من بعضهم - وخصوصاً المتوكل - من أذى وحبس ومداهمة وإساءة تصرف، وفي طليعة ذلك جلبه من مدينة جده وفرض الإقامة الجبرية عليه في مدينة سر من رأى، وبقاؤه رهن تلك الإقامة المفروضة حتى وفاته التي روى غير واحد من المؤرخين أنها كانت بالسّم والقتل المتعمد، مع بيان ما ورد في تعيين يوم الوفاة وشهرها وستتها ومكان مرقد الشريف ومشهده المقدس.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي تلقته الأمة من الإمام الهادي (ع)، فاستعرضت ما هو ثابت ومؤكّد في تحديد مصادر علم الإمام ومنابع فقهه وفضله، واتصال ذلك بالمأثور النبوي والتبليغ السماوي المنزل على سيد الخلق وخاتم النبيين (ص). ثم أوردتُ شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الذهبي الخالد الذي يمثّل الفكر الإسلامي الناصع بأمانة وصدق، ويجسّد الهدى الديني القويم بدقة وعمق، وكان من تلك الأمثلة الاستشهاد ببعض ما روي عنه في تفسير ما غمض معناه من آيات القرآن الكريم والذكر الحكيم؛ وفي شرح مسائل التوحيد والرؤية والجبر والتفويض؛ وفي إعلانه البراءة من الغلو في الأئمة وإنكاره التطرف في النظرة إليهم؛ وفي شؤون أخرى تتعلق بالأخلاق والسلوك وتطهير النفس وتربية الذات والضمير. ثم ألحقت بالكتاب في

آخره - على نحو مستقل - نصّ رسالة الإمام (ع) في الرد على أهل الجبر والتفويض وإيضاح المراد من المنزلة بين المنزلتين .

ولما كان الفضل الأكبر في وقوفنا على ذلك التراث الزاهر - فيما أوردنا من شواهد وما لم نورد - إنما يعود حصراً لأولئك الرواة الذين شافهوا الإمام وسمعوا منه وحفظوا حديثه فنقلوه إلى الأجيال من بعدهم، فإننا نعد التعرف بهم حتى بمجرد سرد الأسماء تمةً ضرورية لا يصح إغفالها في هذا البحث، إن لم نقل بأنها جزء لا يتجزأ منه لمن أراد الإلمام بجميع أطراف الموضوع واستيفاء جوانبه الأساسية . وقد التزمت - لزيادة التعرف بهؤلاء الرواة - بذكر أسماء مؤلفات مَنْ كان منهم من أصحاب الكتب والمصنفات، عسى أن يكون في بيان ذلك بعض التعبير عن الامتنان لهؤلاء الرواد المتقدمين؛ وعن الاعتزاز بجهدهم المشكور في الحفاظ على ذلك التراث النفيس ورواية نصوصه؛ وعن الاحترام والتقدير لمشاركتهم الفاعلة في عملية البحث والتدوين في المائة الثالثة من الهجرة .



وفي الختام - كما في البدء - أكرّر حمد الله تعالى على نعمائه وآلائه، وأبتهل إليه عز وجل أن يسدّد الخطأ على الطريق، ويمدّد بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدّد وموفق ومعين .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

العراق - بغداد - الكاظمية

محمد حسن آل ياسين



الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

بَيْتُ وِلَادَتِهِ وَإِمَامَتِهِ

ولد علي بن محمد «في رحاب المدينة المنورة، وعلى صعيدها الطاهر درج وحباً، وفي بيوت التلاوة والتهليل نشأ ونما، وفي تلك الأجواء الحافلة بالفضل والعطاء شبَّ وتحرك، وبفضل ما منحه الله من المواهب والطاقات والملكات زقَّ نمير العلم والتهم زبدة المعرفة، فأصبح منذ سنوات شبابه المتفتح رمز التلاؤ الأخاذ الذي تشير إليه الأنامل وتتعد عليه الخناصر.

وعاصر منذ نعومة أظفاره الغضة كل هموم أيامه المكفرة الداكنة؛ فقابلها بأفضل ما تُقابل به المكاره من كظم الغيظ وقوة الصبر وجلادة التحمل. والعاقبة للمتقين الصابرين».



في رحاب المدينة المنورة، وفي أحضان قرية (صريا)^(١) الخضراء؛

(١) هكذا ورد اسم هذه القرية في بعض نصوص المؤرخين الذين ذكروا مكان ولادة الإمام علي بن محمد، كما في الإرشاد: ٣٥٢ والمناقب: ٤٤٢/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ وكشف الغمة: ١٩٠/٣ وبحار الأنوار: ١١٤/٥٠ و١١٥ و١٩٧. ولم أجد هذا الاسم فيما تسنَّى لي الوقوف عليه من كتب البلدان عامة أو الكتب =

حيث تقع بعض مزارع آل محمد (ص) ومستقرهم الريفي الهادي الذي كان يضمهم حينما يريدون الخلوة بأنفسهم لعبادة ربهم والابتعاد عن فتن مجتمعهم وضغوط الحياة المحيطة بهم، وفي يوم حافل بالسعادة والبركات وربما كان يوم الثلاثاء^(١) - وقيل: الأحد^(٢) -، للنصف من ذي الحجة^(٣) أو في رجب^(٤) سنة ٢١٢هـ^(٥) أو ٢١٤هـ^(٦) على ما هو مروى

= المعنية بالحجاز والمدينة المنورة خاصة، باستثناء ما جاء في بحار الأنوار: ٥٠/ ٨٩ - ٩٠ في نص طويل ورد في أثنائه أن صريا (قرية أسسها موسى بن جعفر (ع) على ثلاثة أميال من المدينة). أقول: ربما سميت هذه القرية (صَرِيًّا) لما فيها من كثرة المياه وغزارتها، وفي القاموس المحيط: (ناقة صَرِيًّا: مُحَقَّلَةٌ).

(١) المناقب: ٤٤٢/٢ وكشف الغمة: ٣(١٩٠) وبحار الأنوار: ٥٠(١١٤) و١١٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٢) وفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ ومرآة الجنان: ١٦٠/٢ والوفاي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩. أما رواية (الجمعة) الواردة في بحار الأنوار: ٥٠/ ١١٧ فلم أجدها في غيره.

(٣) الكافي: ٤٩٧/١ والإرشاد: ٣٥٢ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٤٤٢/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ وكشف الغمة: ٣(١٦٨) و١٩٠ وبحار الأنوار: ٥٠/١١٤ و١١٥ و١١٦ و١٩٧ و٢٠٦ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧. وروى بعضهم: أنه يوم عرفة، وقيل: يوم ٢٧ منه.

(٤) الكافي: ٤٩٧/١ وإثبات الوصية: ١٩١ و٢٠٣ وتاريخ بغداد: ٥٧/١٢ والمناقب: ٤٤٢/٢ ومطالب السؤل: ٧٦/٢ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ وكشف الغمة: ٣/ ١٦٦ و١٧٧ و١٩٠ وتذكرة الخواص: ٣٧٥ ومرآة الجنان: ١٦٠/٢ والفصول المهمة: ٢٥٩ والوفاي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩ وبحار الأنوار: ٥٠/١١٤ و١١٥ و١١٦ و١١٧ ونور الأبصار: ١٥١ وعمدة الزائر: ٣٢٧. وكان اليوم الثاني أو الخامس من رجب أو لثلاث عشرة ليلة مضت منه.

(٥) الكافي: ٤٩٧/١ والإرشاد: ٣٥٢ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٤٤٢/٢ وكامل ابن الأثير: ٥/٣٣٩ وكشف الغمة: ٣(١٦٨) و١٩٠ وكفاية الطالب: ٣١٢ وبحار الأنوار: ٥٠/١١٤ و١١٥ و١١٦ و١٩٧ و٢٠٦ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٦) الكافي: ٤٩٧/١ وإثبات الوصية: ١٩١ و٢٠٣ وتاريخ بغداد: ٥٧/١٢ والمناقب: =

في معظم المصادر^(١)، ولد الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر (ع).

وكان من المفروض على الباحث - وهو التابع لما تعرضه المصادر الماثلة أمامه - أن يقر بهذه التواريخ على نحو الإجمال وإن لم يكن كل واحد منها مورد الإجماع، لكثرة روايتها واشتهار ذكرها وكونها الإطار الذي لم ينص المؤرخون على غيره. ولكن المسعودي القريب العهد من عصر الإمام الهادي ذكر في تحديد عمره حين وفاته في سنة ٢٥٤هـ - وهو تاريخ مسلم مجمع عليه - أنه كان «ابن أربعين سنة، وقيل: ابن اثنتين وأربعين، وقيل أكثر من ذلك»^(٢)، مما يشعر باحتمال ولادته قبل سنة ٢١٢هـ، وخصوصاً في ضوء ما احتملنا أو رجحنا في تاريخ ولادة أبيه الإمام الجواد (ع) من كونه أسبق من ذلك التاريخ المعروف الوارد في معظم المصادر؛ بعدة سنوات ربما كانت عشراً أو قريباً من العشر^(٣).

وقد يساعدنا على هذا التردد في قبول تاريخ الولادة المشهور ما رواه المسعودي أيضاً في كتاب آخر من كتبه من أن علي بن محمد حُمل

= ٤٤٢/٢ ومطالب السؤل: ٧٦/٢ وفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ واللباب: ١٣٧/٢ وكشف الغمة: ١٦٦/٣ وتذكرة الخواص: ٣٧٥ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ ومرآة الجنان: ١٦٠/٢ والفصول المهمة: ٢٥٩ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩ وبحار الأنوار: ١١٤/٥ و١١٥ و١١٦ وينابيع المودة: ٣٨٦ ونور الأبصار: ١٥١ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(١) وهناك من روى أنه ولد في سنة ٢١٣هـ كما في وفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ ومرآة الجنان: ١٦٠/٢ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩.

(٢) مروج الذهب: ٨١١٣/٤

(٣) كتابنا: الإمام محمد بن علي الجواد من كتب هذا المجلد: ٢٩٧.

إلى المدينة من (صربيا) «وهو صغير في السنة التي حجَّ فيها أبو جعفر (ع) بابنة المأمون زوجته»^(١)، فإن كان المراد بذلك حجة أبي جعفر (ع) لما قدم بزوجه من العراق فهي في حوالي سنة ٢١٠هـ، لأن زواجه بابنة المأمون قد تم في سنة ٢٠٧هـ^(٢)، ثم أقام معها بعد الزواج ببغداد مدة وجيزة من الزمن لم نعرف عدد سنينها بالتحديد ولكنها لم تتجاوز ما أسلفناه قطعاً، ثم غادر بها عائداً إلى مسكنه الدائم في المدينة المنورة ومبتدئاً بحج بيت الله الحرام.

وأما إذا كان المراد من السنة المشار إليها حجته التي قام بها قبل خروجه الأخير إلى بغداد - وكانت ابنة المأمون معه أيضاً - فهي متأخرة عن التاريخ المذكور وفي أيام حكم المعتصم بل في سنة ٢١٩هـ على وجه التعيين، ويمكن تطابقها حينئذٍ مع الروايات الشهيرة المتقدمة في تاريخ الولادة في سنة ٢١٢هـ أو ٢١٤هـ.



ومهما كان الأمر، فقد أهلَّ هذا الوليد الطالع بوجهه الجميل (الأسمر)^(٣) على آل بيت النبوة ودوحة الرسالة، فعلت الابتهالات وانطلقت البشائر وعمت الأفراح، ثم بدأ إجراء مراسيم السنن المأثورة في الأيام الأولى للولادة في الشرع الإسلامي، من ذبح العقائق إلى حلق الشعر إلى التصدق بوزنه ذهباً أو فضة، وكذلك سائر ما تقتضيه هذه المناسبة السعيدة من تبادل التهاني ومباهج الإنس والحبور؛ بإطلاة هذه

(١) إثبات الوصية: ١٩١.

(٢) المعارف: ٣٩١.

(٣) ورد النص على سمة وجهه في الفصول المهمة: ٢٦٠ وبحار الأنوار: ١١٦/٥٠

ونور الأبصار: ١٥١.

الحلقة الذهبية الكريمة من حلقات تلك السلسلة الطيبة الطاهرة التي أصلها ثابت في أرض الحق والوحي والتنزيل، وفرعها مستطيل في سماء العز والمجد والسؤدد الأثيل.

وأعلن الإمام الجواد (ع) على أثر ولادة ابنه الحبيب أنه قد سماه (علياً) ليكون رابع (العليين) في أسماء الأئمة المطهرين، وأنه اختار له من الكنى (أبا الحسن) كنية خاصة له (دون غيرها)^(١)، وربما كان منشأ هذا الاختيار أنها كنية جده عليّ الأول أمير المؤمنين (ع)، ثم أضيف إلى هذه الكنية على ألسن الرواة ورجال الحديث ما يعينها بين الكنى المشابهة لأبائه الميامين فقليل له: (أبو الحسن الثالث)^(٢)، تمييزاً له عن كُنيّ بذلك من سلفه القريب الشامخ وهما أبو الحسن الأول - ويراد به الإمام الكاظم (ع) -؛ وأبو الحسن الثاني - ويراد به الإمام الرضا (ع).

أما ألقابه فأشهرها (الهادي)^(٣)، وقد عُرف به حتى أصبح كالبدليل عن اسمه، ثم لُقّب بالعسكري نسبة إلى العسكر وهي سُرٌّ من رأى^(٤)،

(١) جميع المصادر التي ترجمت له، وفي بعضها النص على كونها الكنية الوحيدة (لا غيرها).

(٢) المناقب: ٤٤٢/٢ وكشف الغمة: ١٩٠/٣ وبحار الأنوار: ١١٣/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٣) المناقب: ٤٤٢/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ ومعجم البلدان: ١٧٥/٦ ووفيات الأعيان: ٢٣٤/٢ وكشف الغمة: ١٦٨/٣ والبداية والنهاية: ١٥/١١ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ والعبر: ٣٦٤/١ والفصول المهمة: ٢٥٩ و٢٦٥ والوافي بالوفيات: ٧٢/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٧ وشذرات الذهب: ١٢٨/٢ وبحار الأنوار: ١١٣/٥٠ وتاريخ الخميس: ٣٤١/٢ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٥١ ونبأ المودة: ٣٦٥ و٣٨٥ و٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٤) إثبات الوصية: ١٩١ وتاريخ بغداد: ٥٦/١٢ والمناقب: ٤٤٢/٢ ومعجم البلدان: ١٧٥/٦ واللباب: ١٣٧/٢ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ وعمدة الطالب: ١٨٨ والنجوم الزاهرة: ٣٤٢/٢ ومرآة =

وكان من ألقابه الخاصة أيضاً (المتوكل) ولكنه التزم بإخفاء ذلك وأمر أصحابه أن يعرضوا عنه بعد أن أصبح لقب الخليفة الحاكم يومئذ^(١). كما روي أنه كان من ألقابه: (النقي، والناصر، والفتاح، والمرضى، والعالم، والفقير، والأمين، والمؤمن، والطيب، والزكي، والنجيب)^(٢).



ونشأ علي بن محمد (ع) نشأته المثلى المباركة في تلك البيوت القدسية التي لم تتردد في جنباتها غير أصداء التكبير والتهليل، ولم تتجاوب أرجاؤها إلا مع تلاوة الفرقان والذكر، ولم تعرف ليلها الطويلة وأسحارها البهيجة سوى ابتهالات التهجد والدعاء وهمهمات العشق الإلهي الأخاذ، ولم تشهد أيامها الزاهية سوى استقبال الباحثين عن الحقائق؛ من طالبي علم؛ وهواة حكمة؛ ودارسي شرع؛ ومتفهمي دين.

ولا غرابة حينئذٍ ولا عجب؛ أن يكون هذا الصبي الموهوب قد حرص - منذ عهده الأول باستلهم أجواء بيته وعطاء بيئته؛ ومنذ بدئه بالتقاط ما يدور بين أبيه الإمام المتدفق العلم وتلك الأعداد الوافدة عليه من السائلين المتطلعين إلى المعرفة في شتى مجالاتها المفتوحة على الفكر

= الجنان: ١٦١/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٨ - ١٠٩ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وشذرات الذهب: ١٢٨/٢ وبحار الأنوار: ١١٣/٥٠ وينايع المودة: ٣٦٥ و٣٨٥ و٣٨٦.

(١) المناقب: ٤٤٢/٢ ومطالب السؤل: ٧٦/٢ وكشف الغمة: ١٦٦/٣ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٥٩ وبحار الأنوار: ١١٣/٥٠ و١١٤ و١١٥ ونور الأبصار: ١٥١.

(٢) يراجع في هذه الألقاب كلاً أو بعضاً: المناقب: ٤٤٢/٢ ومطالب السؤل: ٢/٧٦ وكشف الغمة: ١٦٦/٣ و١٩٠ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ والفصول المهمة: ٢٥٩ وبحار الأنوار: ١١٣/٥٠ و١١٤ و١١٥ ونور الأبصار: ١٥١ وينايع المودة: ٣٦٥ و٣٨٥ و٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

الإنساني الواسع الآفاق - أن يرق ما يسمع زقاً، ويلتهم ما يصغي إليه التهاماً، ويستوعب جميع ذلك استيعاباً شاملاً، فيكون مُعدّاً منذ انطلاقة صباه الغض المتوهج؛ لما أراد الله تعالى له أن يكون، وأن يصبح بفضل هذه الملكات والمواهب ملء السمع والبصر، ومثار الإكبار والتقدير، ورمز التلاؤلؤ الأخاذ الذي تشير إليه الأنامل وتنعقد عليه الخناصر.

ثم تجاوز هذا الفتى سنَّ نشأته الأولى وبلغ عمر الزواج والاقتران، فاختر لنفسه إحدى السيدات المنزهات المرضيات شريكة لحياته، وكانت أم ولدٍ تسمى (حديث) أو (حديثة)^(١)، وقيل: أن اسمها (سوسن)^(٢) أو (سليل)، وجاء في بعض الأخبار: أنها لما أُدخلت على أبي الحسن (ع) قال: «سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس»^(٣).

وقد يكون من المحتمل أن يُنسب اختياره أمَّ الولد رفيقته لدربه وتفضيلها على حرائر قومه؛ إلى عظيم حبه ووافر إعجابه بوالدته الكريمة السيدة (سُمّانة)^(٤) وكانت أمَّ ولدٍ مغربيةً في رواية جمهور

(١) الكافي: ٥٠٣/١ والإرشاد: ٣٦٠ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٤٥٧/٢ وكشف الغمة: ١٩٩/٣ و٢٢٦ وبحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠ و٢٣٦ و٢٣٨ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٥٣ وعمدة الزائر: ٣٢٨.

(٢) الكافي: ٥٠٣/١ ومطالب السؤول: ٧٨/٢ وكشف الغمة: ١٩٧/٣ وتذكرة الخواص: ٣٧٦ والفصول المهمة: ٢٦٦ وبحار الأنوار: ٢٣٧/٥٠ ونور الأبصار: ١٥٣.

(٣) إثبات الوصية: ٢٠٥.

(٤) الكافي: ٤٩٨/١ والإرشاد: ٣٥٢ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٤٤٢/٢ ومطالب السؤول: ٧٦/٢ وكشف الغمة: ١٦٦/٣ و١٦٨ و١٧٧ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٥٩ وبحار الأنوار: ١١٤/٥٠ و١١٥ و١٩٨ و٢٠٦ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ و٩٩/٢٠ و٩٩/٢٠ و٩٩/٢٠ و٩٩/٢٠ و٩٩/٢٠ و٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧، (والسُمّاني - بالألف المقصورة - اسم طائر). أما تسميتها (جمانة) في إثبات الوصية: ١٩١ فأظنه تصحيفاً من النَّسَّاح أو الطابعين.

- المؤرخين^(١)، وشذ محمد بن حبيب فذكر أنها حبشية^(٢).
- ورزق الإمام (ع) من هذه السيدة الصالحة المسلوقة من الأرجاس
أولاده الخمسة، وهم:
- ١ - ابنه الإمام المفترض الطاعة من بعده: الحسن بن علي، أبو محمد،
العسكري.
 - ٢ - محمد بن علي، أبو جعفر، المتوفى في حياة أبيه حوالي سنة
٢٥٢هـ، والمدفون في قضاء بلد بين بغداد وسامراء، ومشهده هناك
مشهور معروف^(٣).
 - ٣ - الحسين بن علي، المدفون بالقرب من قبر أبيه (ع) في سامراء.
 - ٤ - جعفر بن علي، المتوفى سنة ٢٧١هـ، الذي قال فيه الحافظ القندوزي
الحنفي: «لما ادعى جعفر أن أخاه الحسن العسكري جعل الإمامة فيه
سُمِّي الكذاب... وقيل: أن جعفرًا تاب ورجع عن دعواه الإمامة»^(٤).
 - ٥ - ابنة واحدة^(٥).



-
- (١) الكافي: ٤٩٨/١ والمناقب: ٤٤٢/٢ وكشف الغمة: ١٦٦/٣ و١٧٧ وتذكرة
الخواص: ٣٧٣ والفصول المهمة: ٢٥٩ وبحار الأنوار: ١١٤/٥٠ و١١٥ ونور
الأبصار: ١٥١.
 - (٢) المحبر: ٣٠٨.
 - (٣) معجم البلدان ٢/٢٦٥. ويراجع في تفصيل ترجمة محمد بن علي هذا: كتاب (محمد بن
الإمام علي الهادي (ع)) تأليف المرحوم الشيخ محمد علي الأردبادي، وهو مطبوع.
 - (٤) ينابيع المودة: ٣٨٦. وورد تلقيبه بالكذاب في المناقب: ٤٤٢/٢ وكشف الغمة:
١٩٣/٣ وعمدة الطالب: ١٨٨ وبحار الأنوار: ٢٣١/٥٠ - ٢٣٢.
 - (٥) يراجع في معرفة أولاد الإمام الهادي (ع) بالإضافة إلى الهامشين السابقين: تاريخ
اليقوبي: ٣/٢٢٥ وإثبات الوصية: ٢٠٦ والإرشاد: ٣٥٩ وجمهرة أنساب
العرب: ٦١ والمناقب: ٤٤٢/٢ ومعجم البلدان: ١٧٥/٦ وكشف الغمة: ٣/
١٦٧ و١٧٧ والفصول المهمة: ٢٦٥ ونور الأبصار: ١٥٢.

وعانى علي بن محمد منذ نعومة أظفاره الغضة وفي تلك البدايات المتفتحة لزهرة الصبا والشباب؛ كلُّ هموم أيامه المكفهرة الدكناء؛ وآلام زمنه الحافل بالهزاهز المتموجة، على الرغم من طابع المهادنة أو طيب المعاملة التي كان يلقاها الإمام الجواد (ع) وأهله وذووه من المأمون ومن كان يأتمر بأمره من رجال الحكم وولاية السلطة، وعلى الرغم أيضاً من تلك الزواجر التي كانت تحاول السيدة أم الفضل بنت الخليفة إثارتها في داخل دار الزوجية بين الفينة والفينة، غيرَةً من وجود أمِّ عليٍّ ومن كونها أمّ الذرية والأبناء.

ويورد المستشرق دونالدسن في هذا الصدد رواية عن السيدة حكيمية أخت الإمام الرضا (ع) تقول فيها: «أن أم الفضل أخبرتها بأن امرأة قد أتها كأنها قضيب بانٍ أو غصن خيزران وقالت: أنا زوج الإمام التقي. فدخل على أم الفضل من الغيرة ما لم تملك نفسها»^(١).

وجاء في الروايات التاريخية: أن إحساسها بالغيرة ما فتىء يزداد عنفاً وشدة حتى كتبت «إلى أبيها من المدينة تشكو أبا جعفر (ع) وتقول: إنه يتسرَّى عليٍّ ويغيرني.

فكتب إليها المأمون: يا بُنَيَّة، إننا لم نزوجك أبا جعفر لنحرِّم عليه حلالاً، فلا تعاودي لذكر ما ذكرت بعدها»^(٢).

ومات المأمون في سنة ٢١٨هـ وتولى المعتصم الحكم، فانهى زمن الاستقرار النسبي، ودبَّ الشعور بالقلق في نفوس أهل البيت (ع) بل انتظار الأذى والشر على يدي السلطان الجديد. وسرعان ما كتب

(١) عقيدة الشيعة: ٢٠٠.

(٢) الإرشاد: ٣٤٧ والمناقب: ٤٢٩/٢ والفصول المهمة: ٢٥٢ والصواعق المحرقة:

الخليفة إلى الإمام الجواد (ع) يطلب حضوره إلى بغداد ويدعوه إلى لقائه، معنوناً ذلك خديعةً بالرغبة في القرب وتجديد العهد، ولكن توقعات الإمام كما تدل عليها تصرفاته قبل مغادرته المدينة كانت تشير إلى قوة الاحتمالات السيئة المترتبة من هذه الرحلة، ولذلك نصَّ على إمامة ابنه علي الهادي (ع) أمام أصحابه وخاصته، وعرفَّهم بأنه الإمام من بعده «وخلفه في المدينة، وسلم إليه المواريث والسلاح»^(١).

وأثبتت الوقائع المتلاحقة أن إحساس أهل البيت (ع) بخطر المعتصم وارتياب الإمام الجواد (ع) بهذه الدعوة المغلفة بحب اللقاء كان بمثابة القراءة الغيبية للأحداث المنتظرة، إذ فوجئ الناس في بغداد بإعلان وفاة الإمام الجواد (ع) قبل مرور عام على استقراره فيها؛ وبلا أي مرض سابق أو سبب معروف، وتوجهت أصابع الاتهام إلى الخليفة وابنة أخيه بالتآمر على قتل الإمام (ع) بدسِّ السم إليه. وعند الله عز وجل سيجتمع الخصوم، ويلتقي الظالم والمظلوم، ويرى الذين اعتدوا أو جاروا أي منقلب ينقلبون.

وكان الله تعالى في عون آل محمد (ع) وهم يتجرعون كؤوس المآسي والآلام؛ على امتداد الزمان ومرَّ الأيام، والعاقبة للصابرين المتقين.



(١) الكافي: ٣٢٣/١ و ٣٢٤ والمناقب: ٤٤٧/٢ وبحار الأنوار: ١٦/٥٠ و ١١٨. والمعنيّ بالسلاح في هذه النصوص: ما ورثه الأئمة (ع) من جدِّهم رسول الله (ص) مما كانوا يحافظون عليه ويتداولونه واحداً بعد واحد معتزين مفتخرين؛ كسيفه (ص) وعصاه ودرعه ذات الفضول. (يراجع في ذلك: الكافي: ٢٣٤/١ وبحار الأنوار: ٢٢٩/٤٦ و ٣٣٠).

الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام

بيت إمامته وشهادته

«في عام ٢٢٠هـ أصبح علي بن محمد الهادي (ع) إمام الدين، وولي الأمر الشرعي، عملاً بثابت النص وصريح الاستخلاف واجتماع الصفات المطلوبة فقهاً في شخص المرشح للإمامة واتفاق عدد غير قليل من الحفاظ والمؤرخين على كونه المؤهل لذلك، خلافاً لمن ادعى الولاية الشرعية في عصره من شاربي الخمر ومرتكبي المحرمات ومنتهكي الحرمات».

«ومع أنه كان يسكن المدينة المنورة بعيداً كل البعد عن عاصمة الخلافة فإنه لم يكن بمنأى عن مضايقات الحاكمين والمتسلطين، حتى أُجبر على السفر إلى سر من رأى وفُرضت عليه الإقامة الجبرية هناك مدى حياته التي انتهت كما جاء في بعض الروايات بدس السم والقتل المتعمد».



في عام ٢٢٠هـ وهو عام وفاة الإمام الجواد (ع) أصبح علي بن محمد الهادي (ع) إمام الدين، وولي الأمر الشرعي المفترض الطاعة على عموم المسلمين، عملاً بثابت النص وصريح الاستخلاف والتعيين، مما

تضافرت فيه الأخبار المسندة إلى أبيه بإعلان الإرجاع إليه والنص على كونه الإمام من بعده، ووقوع ذلك بمحضر من جمهور أصحابه وثقاته وخاصته في مناسبات عدة كان آخرها عندما أراد مغادرة المدينة إلى بغداد في سنة ٢١٩هـ.

وجاء في الرواية عن إسماعيل بن مهران قال: «لما خرج أبو جعفر (ع) من المدينة إلى بغداد... لما استدعي به إلى المعتصم صرْتُ إليه فقلت له: جُعلت فداك؛ فأنت خارج، فألى مَنْ هذا الأمر من بعدك؟... فقال: الأمر من بعدي إلى ابني علي»^(١).

وروى الحسين بن محمد الخירاني عن أبيه سماعه هذا النص من لسان أبي جعفر (ع)، وكتب أبو الخيراني المذكور لفظ النص الذي سمعه في عشر رقايع وختمها ووزعها على عشرة من وجوه الأصحاب^(٢).

وكذلك روى عدد آخر من الثقات نصَّ الإمام الجواد على ابنه علي؛ بوجوه مختلفة اللفظ ولكنها متفقة المؤدَّى والمضمون^(٣).

ولخص الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان أدلته على إمامة علي بن محمد (ع) بـ «اجتماع خصال الإمامة فيه، وتكامل فضله، وأنه لا وارث لمقام أبيه سواه، وثبوت النص عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه»^(٤).

(١) بحار الأنوار: ١١٨/٥٠.

(٢) الإرشاد: ٣٥٢ و ٣٥٣.

(٣) الكافي: ١/٣٢٣ و ٣٢٤ وإثبات الوصية: ١٩١ والإرشاد: ٣٥٣ والمناقب: ٢/

٤٤٧ وكشف الغمة: ٣/١٦٩ والفصول المهمة: ٢٥٩ وبحار الأنوار: ١١٨/٥٠

- ١٢٣.

(٤) الإرشاد: ٣٥١ - ٣٥٢.

كما استدلل ابن شهر آشوب السروي على ثبوت تلك الإمامة بالنصوص الخاصة؛ وبالطريقتين المختلفتين من العامة والخاصة من نص النبي (ص) على إمامة الاثنى عشر؛ والنصوص على إمامته من آباءه^(١).

وهكذا يبرز لنا الدليل الأول على تلك الإمامة واضحاً جلياً لا يقبل التشكيك والتأويل، وتقول الروايات التاريخية: أن رؤساء الخاصة قد عقدوا اجتماعاً موسعاً ضمَّ عدداً كبيراً منهم بعد وفاة الإمام الجواد (ع) للتفاوض في موضوع الإمامة والإمام، فشهد الشهود أمام الجميع بسماعهم النص من لسان الإمام الجواد^(٢)، وخرج المجتمعون على أثر ذلك مقرين بالأمر بقناعة واطمئنان وتسليم.

وقد يكون من واجب البحث هنا ونحن نروي نصَّ الإمام الجواد على ابنه ونعده الدليل على إمامته من بعده؛ أن نعقب على ذلك تبييناً وإيضاحاً بل على مجمل نصوص الأئمة بعضهم على بعض، فنعلن بصراحة ودرس قاطع بأن تلك النصوص كلها لم تكن في حقيقتها تعييناً شخصياً من الإمام المتقدم لمن يخلفه إثر وفاته؛ أو اختياراً مدفوعاً إليه بمحض ترجيحاته الفردية، على الرغم من إيماننا المطلق بنزاهة اختيارات الأئمة كلها وفي سائر مجالاتها من الانسياق مع إملاءات الميل العاطفي ودوافع الرغبة النفسية، ومن يقينا التام بموضوعية الانتقاء وحيادية النظرة وسلامة الموقف من عوامل التأثير البشرية المعتادة.

أقول: أننا - وعلى الرغم من ذلك الإيمان الكامل بالنزاهة والتجرد والموضوعية - لا نعد هذا التعيين المنصوص عليه من أي سابق منهم على لاحق تصرفاً فردياً منبعثاً من رأي ذاتي في الانتقاء والاختيار - وإن

(١) المناقب: ٤٤٣/٢.

(٢) كشف الغمة: ١٦٩/٣ - ١٧٠ وبحار الأنوار: ١٢٠/٥٠ - ١٢١.

سَلَّمْنَا كُلَّ التَّسْلِيمِ بِجُودَةِ مَوَاصِفَاتِ السَّلَفِ وَالْخَلْفِ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْحِكْمَةِ وَالْحَنَكَةِ وَالْفَضْلِ وَبُعْدِ النَّظَرِ - ، كما أننا لا نعد إقرارنا بهذا التعيين إقراراً بحريّة صاحب النص في تسمية من يشاء ليصبح إماماً من بعده، لأننا نؤمن أولاً وقبل كل شيء بعد التزامنا الصارم بالإسلام بأن الأمر أمر الله والحكم حكمه، وبأن علينا أن نتعبد عاملين بكل ما أنزل الله تعالى وما أمر به، ولن يتحقق ذلك منا إلا بالخضوع والإخبات لكل ما ورد في كتاب الله عز وجل؛ وتنفيذ ما جاء فيه حرفياً بلا تلاعب أو انحراف، لأن هذا الكتاب هو الدستور الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المنهج الثابت الذي لا يقبل التغيير والتبديل ولا يصح الخروج عنه أو التأوويل فيه، وهو كذلك مجمع الأوامر والنواهي والتعليمات التي لن نستطيع ادعاء الإيمان إلا بامتثالها تطبيقاً وعملاً وليس بمجرد تحريك اللسان بالشهادتين، لكي لا تكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ بما دلّ عليه صراحة من عدم تحقق دخول الإيمان في القلوب إلا بتحقيق العمل بأركان الإسلام وتنفيذ الأوامر والنواهي على صعيد الفعل المباشر والحركة اليومية المتصلة للفرد والمجتمع .

وإذا كان القرآن الكريم لدى المسلم الصادق الاعتقاد هو الدستور الذي تجب طاعته والقانون الذي لا مناص من اتباعه، فإن هذا القرآن كما نعلم لم يتضمن كل التفاصيل التي شرّعها رب العباد؛ ولم يتول شرح جميع الواجبات والمحرمات التي عُني بها الدين، وإنما أوكل أمر كثيرٍ من ذلك إلى تبيان الرسول المعصوم من الخطأ والمنزّه عن الهوى، وألزم العباد بالسير على هدي ما سيدلهم عليه هذا الرسول الخاتم فخطبهم جميعاً قائلاً: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فكان ذلك أمراً صريحاً منه جل وعلا بالعمل الحرفي بالسنة

النبوية والالتزام الكامل بما حملت من مفردات التكاليف الشرعية التي لم يرد ذكرها في الكتاب المجيد.

وبهذا أصبح كل مسلم ملزماً بالرجوع إلى الصحيح الثابت من تلك السنة النبوية الشريفة والعمل بها في كل الأحوال، بحكم كونها المتممة للقرآن الكريم والمكملة لمجموع أحكام الشرع، كما أصبحت تلك السنة - من ثم - هي القانون القائم لعموم المؤمنين فيما لم يرد النص عليه في وحي الله عز وجل.

ولقد أجمع المسلمون متفقين فيما رووا من الحديث النبوي الواجب الأخذ به بنص القرآن الكريم؛ على نقل ذلك القول الصريح الجلي الذي عيّن فيه (ص) مَنْ سيخلفه من الأئمة من بعده، ناصاً على كونهم (من قريش) ومحددأ عددهم بـ (اثني عشر)^(١)، وفي لفظ الحافظ الطبراني: (اثنا عشر قيماً من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم)^(٢)، فكان توجيهه هذا بما حمل من تعريف وتحديد - وقد حكم بصحته وتواتره الحفاظ المعروفون^(٣) - هو المنطلق الأساس والخطوة الأولى نحو معرفة ما يجب على المؤمنين الالتزام به في أمر الإمامة بعد وفاة النبي (ص) وخلو الساحة من وجوده المبارك.

وبعيداً، في هذه العجالة، عن الخوض فيما يمكن أن يثار أو

(١) صحيح البخاري: ٧٨/٩ و ١٠١ وصحيح مسلم: ٣/٦ و ٤ وسنن الترمذي: ٤/٥٠١ وسنن أبي داود: ٤٢١/٢ ومسند أحمد: ١٢٨/٢ و ١٢٩/٣ و ١٨٣ و ٤/٤٢١ و ٨٦/٥ - ١٠٨ (مكرراً) والمعجم الكبير: ٢/٢١٤ - ٢٨٦ (مكرراً) ودلائل النبوة: ٥٢٠/٦.

(٢) المعجم الكبير: ٢/٢٨٦.

(٣) قال ابن حزم في الفصل: ٨٩/٤ (هذه رواية جاءت مجيء التواتر)، وقال ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة: ٦ (حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابياً).

يطرح في استعراض مسلسل تلك الوقائع المؤلمة والأحداث المريرة التي شهدتها مجتمع المسلمين منذ وفاة النبي (ص)، رفضاً للخلافة الناشئة، أو ردة عن الدين كما قيل، أو تمرداً على بعض الإجراءات والتصرفات، مما هو مبحوث بالتفصيل في مصادره ودراساته الخاصة. فإننا نسأل أنفسنا بوعي وتأمل إذا كنا مؤمنين بالقرآن المجيد الذي ورد فيه الأمر بالأخذ بما صحَّ وروده عن النبي (ص) وثبتت روايته عنه فنقول:

مَنْ هم هؤلاء (الأئمة) - (القرشيون) - (الاثنا عشر) الذين نصَّ عليهم هذا الحديث النبوي المسلّم الرواية والصحة؟

وكيف يمكن التثام العدد المذكور فيه مع تلك الأعداد الضخمة من متقمصي الخلافة وإمرة المؤمنين؛ من راشدين وأمويين وعباسيين؛ مضافاً إلى من يمكن ضمهم إليهم من مدعي ذلك في تاريخ الإسلام من زبيريين وزيديين وإسماعيليين وكثير غيرهم من زاعمين ومتغلبين.

ولما كنّا قد أشبعنا هذا الموضوع بحثاً في بعض كتبنا السابقة المطبوعة فلا نرى مسوغاً لإعادة الكلام وتكراره في هذا المقام، بل نكتفي هنا - جواباً على التساؤل المتقدم - أن نذكر ما رواه الشيخ الحافظ سليمان القندوزي الحنفي عن بعض المحققين تعليقاً على الحديث النبوي المتقدم فقال:

«إن الأحاديث الدالة على كون الخلفاء بعده (ص) اثني عشر قد اشتهرت من طرق كثيرة... ومراد رسول الله (ص) من حديثه هذا: الأئمة الاثنا عشر من أهل بيته وعترته، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث على الخلفاء بعده من أصحابه لقتلهم عن اثني عشر... ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على اثني عشر... ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور...»

فلا بد من أن يحمل هذا الحديث على الأئمة الاثني عشر من أهل بيته وعترته (ص)، لأنهم كانوا أعلم أهل زمانهم وأجلهم وأورعهم واتقاهم وأعلاهم نسباً وأفضلهم حسباً وأكرمهم عند الله»^(١).

وخلاصة القول أن النظرة الواعية الفاحصة لحديث (الاثني عشر) المتقدم والأحاديث النبوية الأخرى المتعلقة بهذا الموضوع؛ كحديثه (ص) الذي شبّه به أهل بيته بسفينة نوح ونصّ على أن (من ركبها نجا) و(من تعلّق بها فاز) و(من تخلّف عنها غرق)^(٢)، وكذلك حديث (الثقلين) المشهور المتضمن وجوب الأخذ والتمسك بكتاب الله والعترة أهل البيت ليأمن المسلمون الضلال والزيغ عن نهج الحق، وقد أخرجه وصححه عدد غير قليل من المحدثين والحفاظ^(٣)، وقال ابن حجر الهيثمي معقباً عليه بعد نقله: «إن لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً»^(٤)، مضافاً إلى ما جاء في نصوص نبوية أخرى من تعريف وتوصيف لأولئك الأئمة الاثني عشر، بل تسميتهم واحداً واحداً بصريح الاسم واللقب^(٥).

أقول: إن النظرة الواعية الفاحصة لكل ذلك - ولغيره مما يضيّق المجال عن تفاصيله - قد حسمت الكلام في معرفة الإمام حسماً كاملاً لا تردد فيه ولا توقف لمن تجرّد من التعصب والعناد وألقى السمع وهو

(١) ينابيع المودة: ٤٤٦.

(٢) تاريخ بغداد: ٩١/١٢ وذخائر العقبى: ٢٠.

(٣) صحيح مسلم: ١٢٢/٧ ومسند أحمد: ٣٦٧/٤ و٣٧١ و١٨٢/٥ و١٨٩ وسنن الترمذي: ٦٦٢/٥ وطبقات ابن سعد: ٨/٤ وحلية الأولياء: ١/٣٥٥ والصواعق المحرقة: ١٣٦.

(٤) الصواعق المحرقة: ٨٩ - ٩٠.

(٥) يراجع في ذلك ينابيع المودة: ٢٥٨ و٤٤٧ و٤٨٦.

شهادته، ودلت بوضوح تام على أن الإمامة لا تخضع كما زعم الزاعمون لشورى أو انتخاب أو نص سابق على لاحق، بل لا بد فيها من التعيين الخاص الكاشف عن اختيار الله وانتخاب.

والحق أنه لو لم تثبت الوصية عن النبي (ص) بطريق الرواية والنقل، فإن العقل حاكم بضرورة هذه الوصاية ووقوعها، وأن أحدنا لا يرضى لنفسه أن يغيب عن حطامه الزائل أو يموت عن شيء من متاعه القليل دون أن يكل هذا وذاك إلى وصي أمين يديره ويحوطه. أفيجوز على نبي الإسلام أن يفارق تراثه العظيم - وهو للإنسانية طوال عصورها - دونما وصي يرعى هذا التراث ويحوطه على الوجه الصحيح؟! -

وإن كل الظروف المحيطة بالإسلام حين وفاة النبي (ص) تدعونا للإيمان بضرورة أنه قد عهد وأوصى وعيّن، وأنه لم يترك غرسته المباركة في وسط صحراء، عرضة لهجير محرق أو عدوان مخرب أو عاصفة هوجاء^(١).

وهكذا يتجلى بوضوح أن نص الإمام الجواد (ع) على ابنه بالإمامة من بعده لم يكن اختياراً شخصياً مدفوعاً إليه برأيه الخاص، وإنما هو تنفيذ أمين صادق لمجموع التوجيهات والنصوص النبوية المشار إليها فيما أسلفنا تبينه وشرحه.



ولكي نكون أكثر موضوعية وحياداً في البحث يجدر بنا أن نزيد

(١) يراجع في موضوع الإمامة ونصوصها وبيان ما قيل في تحقيق وجوها كتابنا «الإمامة» [المجلد الأول - من الموسوعة]، وقد استوفينا فيه بحث ذلك كله بالتفصيل.

الأمر تعمقاً وتدقيقاً فنقف متمهلين - بدافع التوعية والتنبيه - لنلتفت نظر أولئك الذين لم يقتنعوا بتلك الأحاديث والنصوص؛ ولم يتركوا إصرارهم على تقليد سلفهم واتباع ما وجدوا عليه آباءهم، فندعوهم جميعاً إلى الرجوع إلى كتب الفقه والآداب السلطانية المتداولة لدى جمهور المسلمين؛ للاطلاع على الصفات التي اتفق الكل بلا استثناء على ضرورة اجتماعها في المؤهل للإمامة الشرعية والخلافة الإسلامية؛ وفي مقدمتها العلم والورع والتمسك عملاً وسلوكاً بأحكام الدين ومفردات الشرع، ثم الرجوع إلى مصادر التاريخ لمطابقة ذلك بما أورد المؤرخون بشأن أولئك الذين تسمو عروش الحكم والسلطان من مدعي إمامة الدين وأمرة المؤمنين في أيام حياة الإمام الهادي (ع)، لثرى حدود التزام هؤلاء بشرع الله، ومدى تنزههم في أفعالهم وتصرفاتهم عن ارتكاب المحرمات؛ وإتيان المنكرات، واستساغة الجور والظلم والمحاباة؛ وتبذير الأموال العامة إنفاقاً على الشهوات والرغبات، ولنحدّد في ضوء ذلك درجة أهليتهم لتبوء تلك المناصب الخطيرة والمقامات الكبيرة التي افترضوا في طليعتها أنهم خلفاء رسول الله (ص) وأوصيائه على أمته، وجعلوا من أنفسهم المعنيين بالتوجيهات النبوية الناصّة على وجوب معرفة الإمام في كل عصر وأوان؛ وعلى كون من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية.

ونورد فيما يأتي لمحات مقتضبة من سيرة أولئك الحكام المعاصرين للإمام علي بن محمد (ع)، كما جاءت في مصادر التاريخ المعروفة ومراجعته الشهيرة، عسى أن يكون في الوقوف على ذلك ما يؤدي إلى تحصيل القناعة والاطمئنان ويقطع دابر الحيرة والتخبط في صحارى التيه، والله المستعان:

١ - محمد المعتصم:

ولي السلطة في سنة ٢١٨هـ إثر وفاة أخيه المأمون^(١)، ويمكن تلخيص ما قيل فيه: إنه «كان ذا شجاعةٍ» و«بأسٍ وشدة في قلبه» ولكنه عريٌّ من العلم «يكتب ويقرأ قراءةً ضعيفةً»، وكان «إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل»^(٢)، وكان شارباً للخمر مشاركاً في مجالس الطرب والغناء^(٣)، وهو الذي سلّم الدولة للغلمان الأتراك وبنى سرّاً من رأى لتكون معسكراً لهم، ثم تحوّل إليها ليكون معهم^(٤). ومات سنة ٢٢٧هـ^(٥).

٢ - هارون الواثق:

تولى الحكم في شهر ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ^(٦). ومع أنه كان كما قال بعضهم «من أفاضل خلفاء بني العباس»^(٧)، فقد ذُكر أن له «مجالس غناء وطرب»^(٨)، بل قيل: أنه «كان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب العود»^(٩).

وفي سنة ٢٣١هـ صمم على قتل أحمد بن نصر الخزاعي وكان من أهل الحديث، ف «أحضره من بغداد إلى سامرا مقيداً... ثم أمر بالنطع

(١) تاريخ الطبري: ٦٦٧/٨ ومروج الذهب: ٣/٤.

(٢) تاريخ الطبري: ١٢١/٩ ومروج الذهب: ٣/٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٢.

(٣) تاريخ الطبري: ١١٩/٩ و١٢٢ والأغاني: ١٣٣/١٠ و٢١٠.

(٤) مروج الذهب: ٩/٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٢٣.

(٥) تاريخ الطبري: ١١٨/٩ ومروج الذهب: ١٨/٤.

(٦) تاريخ الطبري: ١٢٣/٩ ومروج الذهب: ١٩/٤ والفتوح: ٢٠٩.

(٧) الفتوح: ٢٠٩.

(٨) تاريخ الطبري: ١٥٢/٩ و١٥٣.

(٩) تاريخ الخلفاء: ٢٢٧.

فأجلس عليه وهو مقيد، فمشى إليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فُصِّلب بها، وُصِّلبت جثته في سر من رأى، واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولي المتوكل فأنزله ودفنه»^(١).

«وكان الواثق كثير الأكل جداً. وقال ابن فهم: كان للواثق خوان من ذهب مؤلف من أربع قطع، يحمل كل قطعة عشرون رجلاً، وكل ما على الخوان من غضارة وصحفة وسكرجة من ذهب»^(٢).

ومات الواثق بسر من رأى في سنة ٢٣٢هـ^(٣).

٣ - جعفر المتوكل:

تولى الأمر في سنة ٢٣٢هـ^(٤). وكان سفاحاً قاتلاً شديد القسوة، وامتدت سباط غضبه وقسوته حتى شملت كبار من يحيط به، ولما سخط على وزيره محمد بن عبد الملك الزيات صادر أمواله ثم حبسه في تنور من حديد فمات فيه^(٥)، ثم غضب على وزيره عمر بن فرج وحبسه^(٦)، ثم قتل كبير قواده إيتاخ الخزري في سنة ٢٣٥هـ^(٧).

ويروي الطبري: أن المتوكل أسرف في بناء القصور والحدائق الخاصة به، «وأنفق عليها فيما قيل أكثر من ألف دينار»، وأجبر أهل القرى المحيطة بها على بيع منازلهم وأرضهم «حتى تكون الأرض

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٢٦.

(٢) تاريخ الخلفاء: ٢٢٨.

(٣) تاريخ الطبري: ١٥٢/٩ و١٥٣ ومروج الذهب: ١٩/٤.

(٤) تاريخ الطبري: ١٥٤/٩ ومروج الذهب: ٣٧/٤.

(٥) مروج الذهب: ٣٩/٤.

(٦) تاريخ الطبري: ١٦١/٩.

(٧) تاريخ الطبري: ١٦٨/٩ - ١٦٩.

والمنازل في تلك القرى كلها له، ويخرجهم عنها»^(١)، وبنى فيما بنى من تلك القصور؛ «الشاه، والعروس، والشبداز والبديع، والغريب، والبرج. وأنفق على البرج ألف ألف وسبعمائة ألف دينار»، وانتقل «إلى موضع يقال له الماحوزة على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى وبنى هناك مدينة سماها الجعفرية، وحفر فيها نهراً من القاطول... وبنى فيها قصرًا لم يسمع بمثله، وذلك في المحرم سنة ٢٤٦هـ»^(٢).

وكان المتوكل يشرب الخمر^(٣)، ويقىم مجالس الشراب والغناء واللهو^(٤)، ويقال: أنه كان له أربعة آلاف سرية وطنهن كلهن^(٥).

ومما سرد المؤرخون من أفعاله النكراء ما أطبقت الرواية عليه من أمره «بهدم قبر الحسين بن علي (ع) وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه. فنأدى بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حسناه في المطبق»^(٦).

ويقول السيوطي بعد رواية ذلك: «فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، فمما قيل في ذلك:

بالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيهاً مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرى قبره مهدوما

(١) تاريخ الطبري: ٢١٢/٩.

(٢) تاريخ يعقوبي: ٢١٥/٣ - ٢١٦.

(٣) تاريخ الطبري: ١٦٧/٩ ومروج الذهب: ٤٢/٤ و٤٧ و٤٩ و٦٩ و٧٤.

(٤) تاريخ الطبري: ٢٢٥/٩ و٢٢٦ ومروج الذهب: ٤٤/٤ و٤٩ و٦٩.

(٥) مروج الذهب: ٧١/٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٣٢.

(٦) النص من كامل ابن الأثير: ٢٨٧/٥، ويراجع في ذلك تاريخ الطبري: ١٨٥/٩

ومروج الذهب: ٨٢/٤.

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله فتبعوه رميماً^(١) ويقول ابن الأثير تعقياً على هذه السوءة السوءاء: أن المتوكل كان «شديد البغض لعلي بن أبي طالب (ع) ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم».

ثم قال: «وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدّة ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين - يحكي بذلك علياً (ع) - والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر فأوماً إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره. فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين؛ إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك، فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه. فقال المتوكل للمغنين: غنوا جميعاً:

غار الفتى لابن عمِّه رأس الفتى في حر أمِّه
«فكان هذا من الأسباب التي استحبل بها المنتصر قتل المتوكل»^(٢).

ومات المتوكل قتلاً بسيف الأتراك لثلاث أو أربع خلون من شوال سنة ٢٤٧هـ^(٣).

(١) تاريخ الخلفاء: ٢٣٠.

(٢) كامل ابن الأثير: ٣٨٧/٥ ومآثر الإنافة: ١/٢٣٠ - ٢٣١.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٣٠/٩ ومروج الذهب: ٣٧/٤.

٤ - محمد المنتصر:

جلس على كرسي الملك في سنة ٢٤٧هـ^(١)، وكان فيما وصفوه: «شهماً فاتكاً سفاكاً للدم»^(٢)، يشرب الخمر ويقيم مجالس الغناء في قصره^(٣). ولم يُذكر له من فعل الخير سوى الإحسان إلى العلويين ورد فذك عليهم وإزالة ما كانوا فيه من الخوف والمحنة أيام أبيه^(٤).

ومات لخمس ليال أو أربع خلون من شهر ربيع الآخر سنة ٢٤٨هـ^(٥).

٥ - أحمد المستعين:

تولى السلطة في سنة ٢٤٨هـ^(٦)، وكان فيما جاء في وصفه: «مستضعفاً في رأيه وعقله وتديبره، وكانت أيامه كثيرة الفتن ودولته شديدة الاضطراب»^(٧).

وفي أيامه قُتل أبو الحسين يحيى بن عمر العلوي في سنة ٢٥٠هـ^(٨)، وحُمل رأسه فنصب بسامرا «واجتمع الناس لذلك وكثروا وتدمروا... ثم حُطَّ ورُدَّ إلى بغداد لينصب بها بباب الجسر، فلم يتهياً ذلك لكثرة من اجتمع من الناس... فجُعِل في صندوق... وجلس محمد بن عبد الله بن طاهر لتقبل التهاني بمقتل يحيى بن عمر... فدخل عليه داوود بن القاسم

(١) تاريخ الطبري: ٢٣٤/٩ ومروج الذهب: ٧٧/٤.

(٢) الفخري: ٢١١.

(٣) تاريخ الطبري: ٢٥٢/٩ ومروج الذهب: ٧٨/٤.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٢٣٧.

(٥) تاريخ الطبري: ٢٥١/٩ ومروج الذهب: ٨١/٤.

(٦) تاريخ الطبري: ٢٥٦/٩ ومروج الذهب: ٩٠/٤.

(٧) الفخري: ٢١٤.

(٨) تاريخ الطبري: ٢٦٦/٩ والفخري: ٢١٢ - ٢١٣.

أبو هاشم الجعفري فيمن دخل، فسمعهم يهتفون، فقال: أيها الأمير، إنك لَتَهْتَأُ بقتل رجل لو كان رسول الله (ص) حياً لَعُرِّيَ به. فما رد عليه محمد بن عبد الله شيئاً. فخرج أبو هاشم الجعفري وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه وبياً إن لحم النبي غير مري
إن وتراً يكون طالبه اللد هُ لوتر نجاحه بالحري^(١)

ثم هاجت الفتنة بين أهل بغداد وجند السلطان، وجرت بين الطرفين حروب ومجابهات انتهت بإعلان المستعين خلعه نفسه وتسليم الأمر للمعتز^(٢). ومات المستعين أو قُتِل في سنة الخلع وهي سنة ٢٥٢هـ^(٣).

٦ — محمد المعتز:

ولي مقاليد الحكم في سنة ٢٥١هـ وقيل في المحرم من سنة ٢٥٢هـ^(٤). وهو أول خليفة «أظهر الركوب بحلية الذهب... فلما ركب المعتز بحلية الذهب اتبعه الناس في ذلك»^(٥).
«ثم إن الأتراك ثاروا به وطلبوا منه مالاً، فاعتذر إليهم وقال: ليس في الخزائن شيء» فخلعوه، ثم قتلوه أو مات بعد خلعه بأيام في سنة ٢٥٥هـ^(٦).

(١) تاريخ الطبري: ٢٧٠/٩.

(٢) تاريخ الطبري: ٢٨٢/٩ - ٣٤٨.

(٣) مروج الذهب: ٩٠/٤ والفخري: ٢١٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٣٩.

(٤) مروج الذهب: ١٠٦/٤ والفخري: ٢١٤.

(٥) مروج الذهب: ١١٠/٤ وتاريخ الخلفاء: ٢٣٩.

(٦) تاريخ الطبري: ٣٨٩/٩ ومروج الذهب: ١١٠/٤ والفخري: ٢١٥ وتاريخ

الخلفاء: ٢٣٩ - ٢٤٠.

هؤلاء كانوا مدعي خلافة رسول الله (ص) في أمته، وأمراء المؤمنين في زعمهم، كما ذكر أخبارهم رواة التاريخ وتحدّث عنهم كتّاب التراجم والسير. فهل نرى فيهم - من خلال هذه النصوص - لمحات مما أجمع المسلمون على ضرورة اجتماعه في الإمام من صفات العلم والفضل والورع والعدل والسير على هدى أحكام الشرع وأخلاق الدين، وهل توفر فيهم الحد الأدنى لتصحيح زعمهم وتصديق ادعائهم؟ وهل كان شرب الخمر وإقامة مجالس الغناء واللهو وقتل النفس المحترمة من جملة صفات التأهيل للمناصب الدينية والمراكز الشرعية؟!!

وإذا أردنا الزيادة في البحث والتعمق في تحصيل النتائج المقنعة، فإن علينا أن نرجع مرة أخرى إلى رواة التاريخ وكتاب التراجم أيضاً، لنرى ماذا قالوا في الإمام علي بن محمد الهادي (ع) وماذا أوردوا في بيان مجمل صفاته ومعالم سيرته على امتداد أيام حياته، ليحصحص الأمر في ضوء هذه المقارنة الموضوعية الموثقة المصادر، على نحوٍ أصدق في الشهادة وأجلى في الدلالة على تحديد المراد وتبيان الحقيقة المنشودة.

وكان من بعض ما قالوا في الإمام الهادي (ع) ما يأتي:

قال الباحث السروي: «كان أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلم فسيماه البهاء»^(١).

وقال الأديب الأربلي: «كانت نفسه مهذّبة وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة وخلاله فاضلة، ومبارؤه إلى العفاة واصلة»، «إذا قال بَدْ

الفصحاء و حير البلغاء وأسكت العلماء» - إلى أن قال :- «هذه صفاته التي تتعلق بذاته، وعلاماته الدالة على معجز آياته. فإن أتى الناس بأبائهم أتى بقوم أخبر بشرفهم (هل أتى)، ودلت على مناصبهم آية المباهلة وإن عتا عن قبولها من عتا»، «فهم أمناء الله وخيرته، وخلفاؤه على بريته وصفوته»^(١).

وقال الحافظ الذهبي: (كان فقيهاً إماماً متعبداً)^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي: (كان عابداً زاهداً)^(٣).

وقال اليافعي: (كان متعبداً فقيهاً إماماً)^(٤).

وقال النسابة الداوودي: «كان في غاية الفضل ونهاية النبل»^(٥).

وقال الحافظ ابن حجر الهيتمي: (كان وارث أبيه علماً وسخاء)^(٦).

وقال ابن علماد الحنبلي: «كان فقيهاً إماماً متعبداً»^(٧).

وقال الشيخ الشبلنجي: (مناقبه (ع) كثيرة)^(٨).

وقال الحافظ القندوزي الحنفي: (كان أبو الحسن علي الهادي عابداً فقيهاً إماماً)^(٩).

(١) كشف الغمة: ٣/١٩٣ - ١٩٥.

(٢) العبر: ١/٣٦٤.

(٣) البداية والنهاية: ١١/١٥.

(٤) مرآة الجنان: ٢/١٦٠.

(٥) عمدة الطالب: ١٨٨.

(٦) الصواعق المحرقة: ١٢٣.

(٧) شذرات الذهب: ٢/٨١٢٨.

(٨) نور الأبصار: ١٥١.

(٩) ينابيع المودة: ٣٨٦.

هذا بعض ما وقفنا عليه في كتب السلف ومؤلفاتهم من أقوال وشهادات في تبيان مقام الإمام ودرجته العليا في العلم والفضل والفقه والنبيل والزهد والعبادة، وسوف يرد في أثناء استعراض علاقاته بخلفاء زمانه اعترافهم الصريح بفضله، ورجوعهم إليه في معرفة ما يجهلون من أحكام الدين وسنن الشرع، كما سيرد خلال ذلك ذكر عبادته وتهجده وسهره الليل كله بالصلاة والتلاوة والدعاء مما لا نريد تكرار نقله. كذلك أورد المؤرخون روايات كثيرة في جوده وكرمه وسعة عطائه^(١)، حتى بلغت عطاياه ثلاثين ألف دينار للمستحق الواحد في بعض الأحيان^(٢)، مما لا مجال لسرد نصوصها في هذا العرض القائم على الاختصار والإيجاز.

والمستفاد من مجموع ما تقدم ومن خلاصة المقارنة بين ما عُرِف به الإمام علي بن محمد (ع) وما ورد بشأن المانحين أنفسهم صفات الإمامة الدينية، إن إمامة الإمام الهادي - كما هو منطوق النصوص العامة والخاصة ومقتضى اجتماع الصفات المطلوبة التي لم يشاركه فيها غيره من بني عصره - هي النتيجة الثابتة التي تأبى أي تردد أو تشكيك، بل هي الحقيقة القطعية المسلّمة التي لا يعترها الريب، مهما كثف تضبيب المضيبين وتعالى جدل المعاندين.



(١) مطالب السؤل: ٧٦/٢ - ٧٧ وكشف الغمة: ١٦٧/٣ والفصول المهمة: ٢٦٠ - ٢٦١ والصواعق المحرقة: ١٢٣ وبحار الأنوار: ١٢٩/٥٠ و١٣٢ و١٧٣ و١٧٥ ونور الأبصار: ١٥١ ونبايح المودة: ٣٦٥ - ٣٦٦.
(٢) المناقب: ٤٤٨/٢.

ونعود الآن - بعد هذه الجولة الواسعة في رحاب الأحاديث النبوية الشريفة المرتبطة بموضوع الإمامة؛ وما يتعلق بذلك من الروايات التاريخية المستفيضة، وبعد استخلاص ما ترتب على عرض كل هذا من ثبوت الإمامة لعلي بن محمد الهادي (ع)، بالنص الصريح المستمد من حديث جده الرسول الأعظم (ص)، وبإشارة أبيه وتسميته إماماً للناس من بعده، وبالصفات التي اتفق فقهاء المسلمين على وجوب اجتماعها في المؤهل لشغل هذا المقام الخطير، مما لم يتحقق وجود بعضها فضلاً عن الكل في أولئك المتلفعين بأبراد الولاية العامة من مدّعي الخلافة وإمرة المؤمنين - فنقف ملياً عند سيرة الإمام الهادي خلال أيام إمامته، محاولين استعراض خلاصة علاقاته بحكام زمانه وشؤون عصره، في مجمل جوانبها المختلفة، في السلب والإيجاب والمد والجزر والشد والإرخاء، لنتعرف على الخطوط العامة لتاريخ الإمام السياسي والاجتماعي، وعلى مواقف السلطة وعموم الناس منه، وعلى ملامح بارزة من منهجه المختار في التعامل مع الأحداث، تجنباً للشر والأذى، مع الحفاظ على أداء الواجب الديني في الإرشاد والتعليم والدلالة على طريق الحق والصواب.

وكان الإمام - كما علمنا مما تقدم في الفصل الأول - قد ولد في إحدى قرى المدينة المنورة، ثم حلّ منذ صباه ناشئاً في دار هجرة

جده (ص)، حيث مهبط الملائكة ومنزل الوحي ومجمع آبائه الميامين، وبقي مقيماً هناك في تلك البيوت التي أذن الله أن ترفع، مجدداً في القيام برسالته الدينية ومسؤوليته الشرعية في تربية طالبي العلم وعشاق المعرفة، وفي تزويدهم بفقهِ القرآن وأسرار التنزيل، وإبلاغهم لباب المأثور النبوي الصحيح وحفائق الفكر الإسلامي الأصيل، مع الخروج بين حين وآخر إلى مستقر أهل البيت الريفي في صربيا للإقامة فيه بعض الوقت^(١)، وربما كان ذلك بدافع الابتعاد عن فتن المدينة وولاية أمرها المجاهرين له بالعداء وإثارة المشاكل.

ويبدو من مجموع الروايات والشواهد التاريخية أن العلاقة بين الإمام الهادي (ع) ودار الخلافة بالعراق قد اتسمت بالمهادنة والهدوء خلال أيام حكم المعتصم والوائق، فلم يرد ما يشير إلى وجود أي توتر أو خلاف بين الجانبين، ولم يُمسَّ الإمام بأي سوء أو مكروه من هذين الخليفين، وذلك على العكس من منهج من سبق هذين ومن تلاهما من الحكام العباسيين، ويقول المستشرق دونالدسن وهو يتحدث عن الإمام علي الهادي (ع): أنه لم يُسَمَّ «خلال السنوات السبع أو الثمان الباقية من ملك المعتصم بعد وفاة الإمام محمد التقي (ع) والسنوات الخمس الأولى من حكم الواثق أن أحداً تعرّض للإمام الشاب»^(٢).

ويشرح الباحث أحمد عبد الباقي روابط بني علي وبني العباس فيذكر أن العلاقة بينهما كانت تتسم بالخلاف والتوتر إلى أن حاول المأمون «أن يتقرب إليهم ويحسن معاملتهم... ولما تولى المعتصم بالله الخلافة انتهج سياسة أخيه المأمون... ولكي يدلل المعتصم بالله على رعايته للعلويين

(١) المناقب: ٤٥٤/٢ وبحار الأنوار: ١٥٧/٥٠.

(٢) عقيدة الشيعة: ٢١٥.

واهتمامه بشؤونهم استدعى الإمام محمد الجواد في سنة ٢٢٠ هـ من المدينة المنورة ليقيم إلى جانبه . . ولا يخفى أن استدعاءه كان حذراً من أن يلتفت الناس حوله، ليكون تحت أنظار الخليفة. إلا أنه ما لبث أن توفي في أواخر السنة المذكورة، وهناك من يقول إنه مات مسموماً.

ويضيف هذا الباحث إلى ما تقدم فيقول:

«وسار الواثق بالله على نهج أبيه وعمه في اتباع سياسة التسامح واللين مع العلويين، فاشتمل عليهم وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم»^(١).

وعلى كل حال وأياً ما كانت أسباب ذلك اللين والتسامح، فإن موت الواثق وتولي المتوكل السلطة قد أنهى عهد السلم والصفاء بين العلويين والعباسيين، فأربدت الأجواء بالغيوم، ولاحت في الأفق نذر المشاكل والأزمات، لأن المتوكل - كما ذكر المؤرخون - «كان يبغض علياً وذريته»^(٢)، من دون أن يُعلم السبب الحقيقي لهذا البغض العنيف المعشعش في أعماقه، بل بلغ ذلك الحقد في غليانه وثورته في نفسه حدّ الأمر بهدم قبر الحسين بن علي (ع) وهدم ما حوله من المنازل، ومنع الناس من زيارته، كما سبق ذكره خلال الحديث عنه. ويُرجع الباحث المعاصر أحمد عبد الباقي أسباب بغض المتوكل للعلويين: «إلى ما كان يغيظه ما يراه من ولاء أتباع العلويين لأئمتهم وإخلاصهم لهم وتقديسهم إياهم . . وكان أكثر منادمي المتوكل ممن اشتهروا ببغض العلويين . . وكانوا يخوفونه منهم ويشيرون عليه بالإعراض عنهم والإساءة إليهم»^(٣).

(١) سامرا: ٥٣٧/١ - ٥٣٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٧٣.

(٣) سامرا: ٥٣٩/١.

وكان عبد الله بن محمد بن داوود الهاشمي مسؤول شؤون الحرب والصلاة في المدينة يومذاك عالماً بعداء المتوكل لأهل البيت، فدأب على الكتابة إلى خليفته بدافع الحقد أو التزلف، ساعياً بالإمام ومحرضاً على إيذائه، مدعياً أنه يدعو إلى نفسه وقد اتبعه خلق كثير يقولون بإمامته^(١).

ولما بلغت الإمام أنباء تتابع سعايات هذا الخبيث ووشاياته، لم يجد بداً من الكتابة إلى المتوكل مبيناً تحامل عبد الله بن محمد عليه وكذبه فيما سعى به، فاستقبل المتوكل هذا الكتاب بفرح وسرور، وأمر بالإسراع في إجابته «على جميل من القول والفعل»، وتضمن الجواب دعوته إلى الحضور إلى سر من رأى، رغبة من الخليفة في قربه ولقائه^(٢).

وروى الرواة أن نسخة كتاب المتوكل إلى أبي الحسن الثالث (ع) كانت بهذا النص:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإن أمير المؤمنين عارف بقدرك، راعٍ لقربتك، موجب لحقك، يقدر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يُصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به عزك وعزهم، ويدخل اليمن والأمن عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضا ربه وأداء ما افترض عليه فيك وفيهم. وقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عما كان يتولاه من الحرب والصلاة بمدينة رسول الله (ص)، إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به ونسبك إليه

(١) تاريخ يعقوبي: ٢٠٩/٣ وإثبات الوصية: ١٩٥ والمناقب: ٤٥٤/٢.

(٢) الإرشاد: ٣٥٨ والمناقب: ٤٥٤/٢ وكشف الغمة: ١٦٥/٣ والفصول المهمة: ٢٦١.

من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه وصدق نيتك في ترك محاولته وأنت لم تؤهل نفسك له. وقد ولّى أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك، والانتهاء إلى أمرك ورأيك، والتقرب إلى الله وإلى أمير المؤمنين بذلك».

«وأمرُ المؤمنين مشتاق إليك، يحبّ إحداث العهد بك والنظر إليك، فإن نشطت لزيارته والمقام قبلك ما رأيت، شخصت ومن أحببت من أهل بيتك ومواليك وحشمك، على مهلة وطمأنينة ترحل إذا اشئت وتنزل إذا شئت وتسير كيف شئت. وإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند مشيعين لك يرحلون برحيلك ويسيرون بسيرك، والأمر في ذلك إليك حتى توفي أمير المؤمنين، فما أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته أطف منه منزلة ولا أحمد له أثره ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق وبهم أبرّ وإليهم أسكن، منه إليك إن شاء الله تعالى، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته. وكتب إبراهيم بن العباس» في سنة ثلاث وأربعين ومائتين^(١).

وعلى أثر إرسال هذه الرسالة إلى الإمام بدأ الخليفة الإعداد لتنفيذ دعوته وتحقيق رغبته، وجاء في الرواية عن يحيى بن هرثمة قال: إن المتوكل دعاه وقال له: «اختر ثلاثمائة رجل ممن تريده، واخرجوا إلى الكوفة فخلّفوا أثقالكم فيها، واخرجوا على طريق البادية إلى المدينة فأحضروا عليّ بن محمد بن الرضا إليّ مكرماً معظماً مبعجلاً»^(٢).

ثم روى المؤرخون عن يحيى نفسه أيضاً واصفاً سفره ودخوله

(١) الكافي: ٥٠١/١ - ٥٠٢ والإرشاد: ٣٥٨ - ٣٥٩ وكشف الغمة: ١٧٥/٣ - ١٧٦ والفصول المهمة: ٢٦١ - ٢٦٣ وبحار الأنوار: ٢٠٠/٥٠ - ٢٠١.

(٢) كشف الغمة: ١٦٩/٣ و١٨٤ وبحار الأنوار: ١٤٢/٥٠ و١٩٧ و٢٠٦.

المدينة المنورة وانتهاءه إلى دار الإمام فيها فقال في جملة ما قال:

«فلما صرت إليه ضج أهلها (أي أهل المدينة) وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله، خوفاً على عليّ لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميل إلى الدنيا. فجعلت أسكنهم وأحلف لهم أنني لم أؤمر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه. ثم فتشت بيته فلم أجد فيه إلا مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني»^(١).

ثم دخلتُ عليه وأخبرته بما جئنا لأجله، فقال لي: «انزلوا فليس من جهتي خلاف»، ونظر إليّ وقال: «يا يحيى، اقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم، واعمل على الرحيل غداً في هذا الوقت»^(٢).

وقال يحيى بن هرثمة: و«أشخصته وتوليت خدمته وأحسننت عشرته... فلما قدمت مدينة السلام بدأتُ بإسحاق بن إبراهيم الطاهري - وكان على بغداد - فقال: يا يحيى، إن هذا الرجل قد ولده رسول الله (ص)، والمتوكل مَنْ تعلم، وإن حرضته على قتله كان رسول الله (ص) خصمك. فقلت: والله ما وقفت له إلا على كل أمر جميل»^(٣).

وروى الخضر بن محمد البزاز واصفاً ساعة وصول الإمام إلى بغداد فقال: «خرجت في حاجة حتى انتهيت إلى الجسر، فرأيت الناس مجتمعين وهم يقولون: قد قدم ابن الرضا (ع) من المدينة، فرأيته قد عبر

(١) مروج الذهب: ١١٣/٤ وتذكرة الخواص: ٣٧٣ - ٣٧٤ وبحار الأنوار: ٢٠٧/٥٠.

(٢) كشف الغمة: ١٨٤/٣ وبحار الأنوار: ١٤٤/٥٠.

(٣) مروج الذهب: ١١٤/٤ وتذكرة الخواص: ٣٧٤ وبحار الأنوار: ٢٠٨/٥٠.

من الجسر على شهريّ تحتة كبير، يسير عليه سيراً رقيقاً، والناس بين يديه وخلفه»^(١).

وروى اليعقوبي في خلال حديثه عن وصول ركب الإمام إلى دار السلام: أن إسحاق بن إبراهيم والي بغداد كان قد ركب إلى موضع يقال له الياسرية لتلقي الإمام، «فرأى تشوّق الناس إليه واجتماعهم لرؤيته، فدخل به في الليل، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثم نفذ إلى سر من رأى»^(٢).

وأضاف يحيى بن هرثمة إلى ما تقدم مكملاً وصف هذه الرحلة: (ثم صرْتُ به إلى سر من رأى، فبدأت بوصيف التركي فأخبرته بوصوله فقال: والله لئن سقط منه شعرة لا يُطالب بها سواك. قال: فعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق. فلما دخلت على المتوكل سألتني عنه فأخبرته بحسن سيرته وسلامة طريقته وورعه وزهادته وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم، وأن أهل المدينة خافوا عليه»^(٣).

والتقدم المتوكل بأن يحجب عنه في يومه، فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك، وأقام فيه يومه»^(٤) من دون أن يحاط أمر قدومه بالخفاء والكتمان، فعلم بذلك بعض الناس فزاروه هناك في ذلك اليوم، وجاء في الرواية عن صالح بن سعيد قوله: «دخلت على أبي الحسن (ع) يوم وروده فقلت له: جعلت فداك، في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك

(١) إثبات الوصية: ١٩٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢٠٩/٣.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٧٤ وبحار الأنوار: ٢٠٨/٥٠.

(٤) الإرشاد: ٣٥٩ وكشف الغمة: ١٧٦/٣ والفصول المهمة: ٢٦٣ وبحار الأنوار:

٢٠٢/٥٠ ونور الأبصار: ١٥١ - ١٥٢.

والتقصير بك حتى أنزلوك هذا المكان الأشنع خان الصعاليك - إلى آخر النص»^(١).

«ثم تقدم المتوكل بإفراد دارٍ له فانتقل إليها»^(٢)، وجاء في إحدى الروايات: أن المتوكل «وجه إلى أبي الحسن (ع) بثلاثين ألف درهم يستعين بها في بناء دار»^(٣)، ولعله اشترى بذلك المبلغ داره التي ذكر الخطيب البغدادي أنه «ابتاعها من دُلَيْل بن يعقوب النصراني»^(٤)، فكانت موضع سكانه في حياته ومدفنه بعد وفاته.

وهكذا فرض المتوكل الإقامة الجبرية على الإمام في سر من رأى ليكون تحت سمعه وبصره، وكان ذلك في سنة ٢٤٣هـ كما نصَّ عليه في ذيل رسالة الخليفة إليه. أما ما ورد في عدد من المصادر من أن مقام الإمام بسر من رأى منذ وصوله إليها حتى وفاته كان (عشرين سنة) فذلك مستند إلى ما رواه الطبري من أن قدومه إلى سر من رأى مع يحيى بن هرثمة كان في سنة ٢٣٣هـ^(٥)، وهو تاريخ لا نستطيع قبوله وإقراره لأنه مخالف لتاريخ الرسالة المتقدمة ولما نصَّ عليه الشيخ المفيد من أنه (ع) أقام بسر من رأى إلى أن قبض (عشر سنين وأشهرًا)^(٦)، كما أنه يخالف ما نص عليه ابن الصباغ المالكي من أن إقامته فيها كانت (إحدى عشرة سنة)^(٧).

(١) الكافي: ٤٩٨/١ والإرشاد: ٣٥٩ والمناقب: ٤٥٠/٢ وبحار الأنوار: ١٣٢/٥٠ و٢٠٢.

(٢) المصادر المذكورة في الهامش ذي الرقم (٣) المتقدم في الصفحة ٣٧٣.

(٣) إثبات الوصية: ٢٠١.

(٤) تاريخ بغداد: ٥٧/١٢.

(٥) تاريخ الطبري: ١٦٣/٩.

(٦) الإرشاد: ٣٥٩.

(٧) الفصول المهمة: ٢٦٥.

ثم راقت تلك الإقامة الجبرية المفروضة على الإمام لمن تعاقب على تسلّم السلطة بعد المتوكل فاستمر إلزامه بها مدى الحياة، وكُتِبَ على أبي الحسن الهادي (ع) أن يقضي عمره هناك - مع عائلته وأولاده - بعيداً عن مسقط رأسه ومدينة جدّه، حتى انتقل إلى جوار ربه وجنان رحمته.

وتشير بعض الأخبار التاريخية إلى أن الإمام لم يكن ضيق الصدر من الإقامة بهذه المدينة على الرغم من كونها إقامة جبرية فاقدة لكل معاني الإرادة والاختيار، بل روي عنه أنه قال يوماً لأحد أصحابه: «يا أبا موسى، أخرجتُ إلى سر من رأى كرهاً، ولو أخرجت عنها أخرجت كرهاً. فقلت: ولم يا سيدي؟ فقال: لطيب هوائها وعذوبة مائها وقلة دائها»^(١).

وعلى كل حال، فقد حط الإمام رحاله في سر من رأى مكرهاً كما أسلفنا، غير أنه كان مكرماً مبعلاً في التعامل المُشاهد للناس، وكان المتوكل يجتهد سراً في مراقبته ومتابعة أخبار تحركاته ولقائه مع كل ذلك الإجلال الظاهري الكاذب.

ويصف المستشرق دونالدسن الإمام الهادي (ع) خلال مدة إقامته بـ (الأسير) تارة، وبـ (السجين) تارة أخرى، غير أنه يقول: إنه «كان يتمتع في أكثر الأحيان بحرية شخصية.. فيلقى أصحابه، ويجلس بحضرة الخليفة، إلا أنه كان محاطاً بالجواسيس»^(٢).

وكان لهؤلاء الجواسيس الذين يشير إليهم المستشرق المذكور دور كبير في إزعاج الإمام وإساءة التصرف معه، وفي إثارة الخليفة عليه كلما سنحت لهم الفرصة وواتهم الظروف.

(١) المناقب: ٤٥٤/٢ وبحار الأنوار: ١٢٩/٥٠ - ١٣٠.

(٢) عقيدة الشيعة: ٢١٩.

ويروي الرواة: أن أحد هؤلاء المخبرين كان قد سعى بالإمام إلى المتوكل قائلاً: «إن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعة. فوجّه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم مَنْ هجم عليه في منزله على غفلةٍ ممن في داره، فوجد في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف، متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد. فأخذ على ما وُجد عليه وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلما رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيء مما قيل فيه ولا حالة يتعلل عليه بها. فناوله المتوكل الكأس الذي في يده، فقال: يا أمير المؤمنين، ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه، فأعفاه وقال: أنشدني شعراً أستحسنه، فقال: إني لقليل الرواية للأشعار، فقال: لا بد أن تشدني، فأنشده:

باتوا على قلل الأجمال تحرسهم	غلب الرجال فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عزّ عن معاقلهم	فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا	أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة	من دونها تضرب الأستار والكللُ
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم	تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طال ما أكلوا دهرأ وما شربوا	فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطال ما عمّروا دوراً لتحصينهم	ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
وطال ما كنزوا الأموال وادّخروا	فخلفوها على الأعداء وارتحلوا
أضححت منازلهم قفراً معظلة	وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

«فأشفق من حضر عليّ ووطنوا أن بادرة تبدر منه إليه، والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتى بلّت دموعه لحيته، وبكى من حضره، ثم

أمر برفع الشراب... وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً^(١).

ولم تكف هذه الحادثة المتوكل درساً وعظة فتدعه عن تصديق ما يهمس به الخبثاء والمتملقون بشأن الإمام، بل تكررت السعيات والشايات وتكررت أوامر الخليفة بمداهمة بيت الإمام في أجنحة الظلام. وجاء في إحدى الروايات مسنداً إلى الطاهري: من أن المتوكل مرض يوماً من خرّاج خرج به فأشرف منه على الموت، فنذرت أمّه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد (ع) مالاً جليلاً من أموالها الخاصة، فلما بُشّرت بعد ذلك بعافيته حملت إلى أبي الحسن (ع) عشرة آلاف دينار تحت ختمها.

«فلما كان بعد أيام سعى البطحائي بأبي الحسن (ع) إلى المتوكل وقال: عنده أموال وسلاح، فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً ويأخذ ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمل إليه».

فحدّث سعيد الحاجب قائلاً: «صرتُ إلى دار أبي الحسن بالليل ومعِي سُلّم، فصعدت إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة فلم أدر كيف أصل إلى الدار. فناداني أبو الحسن من الدار: يا سعيد، مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت، فوجدت عليه جبة صوف وقلنسوة منها، وسجاده على حصير بين يديه

(١) مروج الذهب: ٤٤/٤ - ٤٥.

والقضية بنصّها مع الأبيات - كلاً أو بعضاً - في وفيات الأعيان: ٤٣٤/٢ - ٤٣٥ وتذكرة الخواص: ٣٧٤ - ٣٧٥ والبداية والنهاية: ١٥/١١ وتاريخ أبي الفدا: ٢/٤٤ - ٤٥ وحياة الحيوان: ١/٣٤٠ ومراة الجنان: ٢/١٦٠ ومآثر الإنافة: ١/٢٣١ - ٢٣٣ والوافي بالوفيات: ٧٢/٢٢ - ٧٣ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٧ - ١٠٨ وشذرات الذهب: ١٢٨/٢ وبحار الأنوار: ٢١١/٥٠ - ٢١٢ ونور الأبصار: ١٥٢ وينابيع المودة: ٣٨٦ وسامرا: ٥٤١١ - ٥٤٢.

وهو مقبل على القبلة. فقال لي: دونك البيوت، فدخلتها وفشتتها فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدره مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها. فقال لي أبو الحسن: دونك المصلى، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن ملبوس. فأخذت ذلك وصرت إليه، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدره بعث إليها فخرجت إليه، فسألها عن البدره... فقالت: كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه، وهذا خاتمي على الكيس ما حركه.. فأمر أن يضم إلى البدره بدره أخرى، وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن واردد عليه السيف والكيس بما فيه.

فحملت ذلك إليه واستحييت منه فقلت له: يا سيدي، عزّ عليّ دخولي دارك بغير إذنك، ولكني مأمور. فقال لي: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)^(١).

ومع تكرار هذه التجارب الفاشلة وظهور كذب ساعاتها فيما نموا به وأخبروا، فإن المتوكل لم يرتدع عن تصديق الوشائيات وقبول مزاعم المتزلفين وهمس الواشين الحاقدين، وتفيدنا بعض النصوص أن الإمام قد سجن مرتين - إن لم يكن مرات -، وكان سجنه في إحدهما في بعض قصور المتوكل نفسه^(٢)، وكان الموكل به في الأخرى علي بن كركر^(٣)، ولكننا لم نعرف أسباب وملابس تلك السجون.

وتدلنا بعض الأخبار على أن المتوكل قد أمر يوماً بالقاء الإمام في

(١) الإرشاد: ٣٥٤ - ٣٥٥ والمناقب: ٤٥٣/٢ وكشف الغمة: ١٧١/٣ - ١٧٢

والفصول المهمة: ٢٦٣ - ٢٦٤ وبحار الأنوار: ١٩٨/٥٠ - ٢٠٠، ومختصر منه

في الكافي: ٤٩٩/١ - ٥٠٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٩٤/٥٠.

(٣) المناقب: ٤٤٧/٢.

بركة السباع بقصد القضاء عليه، ولكن إساءة الله كانت أقوى من إساءة الخليفة، وحدث الحافظ ابن حجر الهيثمي بعد أن أورد «قضية السباع الواقعة من المتوكل، وأنه هو الممتحن بها، وأنها لم تقربه بل خضعت واطمأنت لما راته» قال: «ويوافقه ما حكاه المسعودي وغيره: ان يحيى بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط لما هرب إلى دليم ثم أتى به الرشيد وأمر بقتله، ألقى في بركة فيها السباع قد جُوعت، فامسكت عن أكله ولاذت بجانبه وهابت الدنو منه»^(١)

كذلك تدلنا بعض الأخبار الأخرى أن الخليفة قد ضجر أشدّ الضجر مما عرف الناس به الإمام الهادي (ع) من الالتزام الديني وخشوع العبادة وكثرة الصلاة والتلاوة والامتناع عن تناول المحرمات، فقال لجلسائه: «قد أعياني أمر ابن الرضا، وجهدت أن يشرب معي وأن ينادمني فامتنع.. فقال له بعض من حضر: إن لم تجد من ابن الرضا ما تريده من هذه الحال، فهذا أخوه موسى قصاف عزّاف يأكل ويشرب ويعشق ويتخالع، فأحضره وأشهره، فإن الخبر يشيع عن ابن الرضا بذلك فلا يفرّق الناس بينه وبين أخيه، ومن عرفه اتهم أخاه بمثل فعاله. فقال: اكتبوا بإشخاصه مكرماً»، فكتبوا إليه بذلك، وأمر المتوكل بصلته وبره وأن يفرد له منزل سريّ يصلح أن يزوره هو فيه.

فلما وافى موسى - وكان أبو الحسن (ع) قد علم بذلك - «تلقاه في قنطرة وصيف - وهو موضع يتلقى فيه القادمون... فقال له: إن هذا الرجل قد أحضرك ليهتكك ويضع منك... فلا تضع من قدرك ولا تعص ربك. فأبى عليه موسى، فكرر عليه أبو الحسن القول والوعظ وهو مقيم على خلافه. فلما رأى أنه لا يجيب قال له: أما أن المجلس الذي

تريد الاجتماع معه عليه لا تجتمع عليه أنت وهو أبداً، وكان الأمر كما ذكر الإمام، فقد أشغلت أمور الدولة الخليفة فانصرف عن لقائه حتى قُتِل المتوكل^(١).

غير أن جميع ما تقدم - وكله مما يعكس فظاظة الخليفة وقسوته ويدل على سوء اعتقاده بالإمام - لم يمنع المتوكل كما جاء في الروايات المتعددة من اللجأ إليه عندما تنسد أبواب المعرفة في وجهه ووجه جلاوزته الذين يسمون الفقهاء والقضاة.

فقد روى الخطيب البغدادي وغيره أن المتوكل اعتل يوماً فقال: «لئن برئت لأتصدقنّ دنانير كثيرة. فلما برىء جمع الفقهاء فسألهم عن ذلك فاختلفوا. فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر فسأله، فقال: يتصدق بثلاثة وثمانين ديناراً.

فعجب قوم من ذلك، وتعصب قوم عليه وقالوا: تسأله يا أمير المؤمنين من أين له هذا. فردّ الرسول إليه، فقال له: قل لأمير المؤمنين: في هذا الوفاء بالنذر، لأن الله تعالى قال: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ﴾، فروى أهلنا جميعاً أن المواطن في الوقائع والسرايا والغزوات كانت ثلاثة وثمانين موطناً، وأن يوم حنين كان الرابع والثمانين. وكلما زاد أمير المؤمنين في فعل الخير كان أنفع له وأجر عليه في الدنيا والآخرة^(٢).

(١) الكافي: ٥٠٢/١ والإرشاد: ٣٥٦ - ٣٥٧ والمناقب: ٤٤٨/٢ - ٤٤٩ وبحار الأنوار: ١٥٨/٥٠ - ١٦٠.

(٢) تاريخ بغداد: ٥٦/١٢ - ٥٧ وتحف العقول: ٣٦٠ والاحتجاج: ٤٩٧/٢ - ٤٩٨ والمناقب: ٤٤٣/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٤ والوافي بالوفيات: ٧٣/٢٢ - ٧٤ وبحار الأنوار: ١٦٢/٥٠ - ١٦٣.

وروى الطبرسي عن جعفر بن رزق الله قال: «قُدِّمَ إلى المتوكل رجل نصراني فَجَرَ بامرأة مسلمة، فأراد أن يقيم عليه الحدَّ فأسلم. فقال يحيى بن أكتم: قد هدم إيمانه شركه وعمله، وقال بعضهم: يضرب ثلاثة حدود، وقال بعضهم: يفعل به كذا وكذا. فأمر المتوكل بالكتابة إلى أبي الحسن العسكري (ع) وسؤاله عن ذلك، فلما قرأ الكتاب كتب (ع): يُضْرَبُ حتى يموت. فأنكر يحيى وأنكر فقهاء العسكر ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين، سله عن ذلك فإنه شيء لم ينطق به كتاب ولم تجيء به سنة، فكتب إليه: إن الفقهاء قد أنكروا هذا وقالوا: لم تجيء به سنة ولم ينطق به كتاب، فبيّن لنا لِمَ أوجبت عليه الضرب حتى يموت؟».

«فكتب: (بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ. وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِءَ مُشْرِكِينَ * فَلَمَّ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَتُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾».

«فأمر به المتوكل فُضِرَبَ حتى مات»^(١).

وجاء في بعض الروايات: أن المتوكل نادى يوماً أحد كتّابه - وكان نصرانياً - : أبا نوح. فأنكر عليه بعض من حضره أن يكنى الكتابيون، فاستفتى الفقهاء فاختلّفوا في الجواب، فبعث إلى أبي الحسن يسأله عن ذلك، فوقع (ع): ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾، فعلم المتوكل أنه يحل ذلك لأن الله قد كنى الكافر»^(٢).

وهكذا استمرت أيام الشدة والمعاناة حافلة بالصدمات

(١) الاحتجاج: ٢/ ٤٩٨ - ٤٩٩ والمناقب: ٢/ ٤٤٥ - ٤٤٦ وبحار الأنوار: ١٧٢/٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ١٠/ ٣٩١.

والمفاجآت، وامتدت سنين وسنين حتى أجهز القادة الأتراك على خليفتهم فقتلوه.

وتخلص الإمام بموت المتوكل من أخبث أعدائه المتربصين به، بعد أن تحمل - كما يقول المستشرق دونالدسن - «من بغض المتوكل كثيراً، واحتفظ رغم كل ذلك بكرامته، وأظهر مقدرة على الصبر»^(١).

ثم بقي الإمام الهادي (ع) طيلة عهد المنتصر الذي خلف أباه في سلطانه، وكذلك في عهد خلفه المستعين ثم المعز، ملزماً بالإقامة في سر من رأى، ولكنه كان مكرماً معظماً طوال هذه العهود - كما قال الباحث المعاصر أحمد عبد الباقي -، «لأن ما كان يمتاز به من هدوء الطبع وكرم النفس وقوة الصبر والاحتمال قد ساعده على الاحتفاظ بمنزلته، رغم حذر الخلفاء منه وفرضهم الرقابة عليه»^(٢).

وفي سنة ٢٥٤هـ - كما هو ثابت بإجماع المصادر واتفاق الروايات وتسالمة المؤرخين - فوجيء المؤمنون بمصيبتهم الكبرى بوفاة إمامهم أبي الحسن الهادي (ع) من دون مرض سابق أو علة معروفة، فاتجهت أصابع الاتهام إلى الخليفة بكونه الأمر بدس السم إليه، وقد روى خبر استشهاد مسموماً عدد من المؤرخين، فيهم المصدّق المطمئن به^(٣) وفيهم من نسبه إلى القيل^(٤).

ودوت صيحة النعي في سر من رأى فهزت أرجاءها، وزحف

(١) عقيدة الشيعة: ٢٢٠.

(٢) سامرا: ٥٤٤/١.

(٣) المناقب: ٤٤٢/٢ وكشف الغمة: ١٩٠/٣ والفصول المهمة: ٢٦٥ وبحار الأنوار: ١١٤/٥٠ و١١٧ و٢٠٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٤) مروج الذهب: ١١٥/٤ وتذكرة الخواص: ٣٧٥ ونور الأبصار: ١٥٢.

الناس من كل حذب وصوب نحو دار الإمام « واجتمعوا وكثر بكأؤهم وضجتهم»^(١). وكان ذلك في (نصف النهار)^(٢) من يوم هو (الاثنين)^(٣) عند أغلب الرواة وشذ اليعقوبي فذكر أنه يوم (الأربعاء)^(٤)، في شهر من ذلك العام قيل هو شهر رجب^(٥) أو في الثالث منه على وجه التعيين عند جماعة من المؤرخين^(٦). وقيل: أنه توفي في شهر جمادى الآخرة^(٧) أو في رابعها تحديداً^(٨) أو لخمس ليال بقين منها^(٩).....

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢٢٥/٣.

(٢) المناقب: ٤٤٢/٢ وبحار الأنوار: ١٩٢/٥٠ و٢٠٦.

(٣) تاريخ الطبري: ٣٨١/٩ ومروج الذهب: ١١٣/٤ وتاريخ بغداد: ٥٧/١٣ والمناقب: ٤٤٢/٢ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ واللباب: ١٣٧/٢ وكشف الغمة: ١٧٧/٣ والبداية والنهاية: ١٤/١١ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ والفصول المهمة: ٢٦٥ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩ وبحار الأنوار: ٥٠/١١٤ و١١٥ و١١٧ و١٩٢ و٢٠٥ و٢٠٦ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٥٢ وينايع المودة: ٣٦٦ و٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي: ٢٢٥/٣.

(٥) الكافي: ٤٩٧/١ والإرشاد: ٣٥٢ و٣٥٩ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ وكفاية الطالب: ٣١٢ ومعجم البلدان: ١٧٥/٦ وكشف الغمة: ١٦٨/٣ و١٩٠.

(٦) المناقب: ٤٤٢/٢ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩ وبحار الأنوار: ١١٤/٥٠ و١١٧ و١٩٢ و٢٠٥ و٢٠٦ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٧) كامل ابن الأثير: ٣٣٩/٥ وتذكرة الخواص: ٣٧٥ والنجوم الزاهرة: ٣٤٣/٢ والصواعق المحرقة: ١٢٤ وينايع المودة: ٣٦٦ و٣٨٦.

(٨) الكافي: ٤٩٧/١ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩.

(٩) تاريخ بغداد: ٥٧/١٢ ومطالب السؤل: ٧٧/٢ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢ واللباب: ١٣٧/٢ وكشف الغمة: ١٦٧/٣ و١٧٧ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ والفصول المهمة: ٢٦٥ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩ وبحار الأنوار: ١١٥/٥٠ ونور الأبصار: ١٥٢ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

أو لأربع بقين منها^(١) أو لثلاث^(٢).

وشُيِّع جثمان الإمام المطهَّر تشييعاً عظيماً جداً، ودفن في جانب من جوانب داره - بإجماع الرواة -، حيث مشهده المقدس ومثواه المبارك القائم إلى اليوم، إذ يؤمه المسلمون من أطراف بقاع الأرض لزيارته والصلاة في رحابه والابتهاال إلى الله تعالى فيه تقرباً وطلباً لرضاه وغفرانه.



-
- (١) تاريخ الطبري: ٣٨١/٩ ومروج الذهب: ١١٣/٤ ووفيات الأعيان: ٤٣٥/٢
والبداية والنهاية: ١٤/١١ والوافي بالوفيات: ٧٤/٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ١٠٩
وبحار الأنوار: ١٩٢/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.
- (٢) تاريخ يعقوبي: ٢٢٥/٣ والمناقب: ٤٤٢/٢ وبحار الأنوار: ١١٤/٥٠ وعمدة
الزائر: ٣٢٧.

تُرَاثُ الإِمَامَةِ

عندما تنطق النصوص الشرعية العامة والخاصة، وتجمع كلمات المشاهير من الحفاظ والمؤرخين كالذهبي والياضي وابن حجر اليهتمي وابن العماد الحنبلي والقندوزي الحنفي - وقد تقدم نقل ذلك بالتفصيل في صدر الفصل السابق - على كون علي بن محمد الهادي (ع) - (إماماً) و(فقيهاً) و(وارث أبيه علماً)، يصبح موضوع إمامته في الدين والعلم والفقه من الحقائق الجلية الواضحة التي لا تحتاج إلى وقفة بحثٍ أو مزيد تدقيق.

وإذا ما افترضنا - على الرغم من اتضاح ذلك وجلائه - أن لدى أحدنا سؤالاً ما يزال يدور في ذهنه، عن المصدر الذي اقتبس منه هذا (الإمام) (الفقيه) علمه وفضله، وعن أستاذه الأكبر الذي لقنه جميع ذلك وفتح أمامه تلك الآفاق الواسعة في دنيا الثقافة والفكر الديني، فإن حسن الحظ قد أسعفنا بالوقوف على أحاديث مروية عن الإمام نفسه تكفيها مؤونة البحث وعناء الفحص، بما تحمل من جواب شاف على هذه الأسئلة المحتملة.

ويأتي في مقدمة تلك الأحاديث قوله (ع) لبعض أصحابه وهو يشرح لهم ما طلبوا معرفته من الأحكام الشرعية والمطالب الفقهية: «إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب (ع) وإملاء رسول الله (ص) نتوارثها

صاغراً عن كابر»^(١)، كما كان من جملة ذلك قوله للخليفة الواصل العبّاسي خلال لقائه به - وربما كان ذلك بمكة في أحد أسفار الحج - وهو يبيّن له إسناد ما حدّثه به «أن أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جده... إلخ»^(٢).

وبهاتين الروايتين المأثورتين عن الإمام يتجلى الجواب كل الجلاء لمن يود الوقوف على مصدر معرفة الإمام وفقهه واسم أستاذه الذي تلقى منه ذلك. فقد تعلم العلم على يدي أبيه الإمام محمد بن علي الجواد - وهو البحر المعترف له بالغرارة وعمق الغور - وتخرج عليه وأسند عنه الحديث، فاستغنى بهذا المنهل العذب الفرات عن الحضور في حلقات علماء السلطة وقضاة دار الخلافة في عصره، مكتفياً عن جميع هؤلاء بأسانيده الزاهية المتألّثة الحلقات - بدءاً بأبيه العظيم وانتهاء بجده الأعلى أمير المؤمنين (ع)، وحسبها في دنيا الأسانيد عظيمة وثقلاً، وشأناً وشمواً.

كذلك ورث الإمام أمالي رسول الله (ص) التي يتعلّق بعضها بالأمر التكوينية وبعض آخر بالأحكام التشريعية، وقد دونها باب مدينة العلم فور سماعه إياها أولاً بأول من فم ابن عمه الناطق عن الوحي والمبلغ عن الغيب^(٣). ومن البداهة بمكان أنّ من تهيات لديه هذه الأمالي الغالية المحتوى لا يحتاج إلى تلقف ما يتداوله الناس في رواياتهم وأسانيدهم المعرّضة للوهم والسهو وأخطاء الزيادة والنقصان،

(١) مروج الذهب: ١١٤/٤ وبحار الأنوار: ٢٠٨/٥٠.

(٢) تاريخ بغداد: ٥٦/١٢.

(٣) يراجع في تفاصيل تلك الأمالي النبوية وتدوين أمير المؤمنين (ع) لها فيما أطلع عليه (كتاب الجفر) و(كتاب الجامعة): الإمام جعفر الصادق (ع): في المجلد السابق ص: ٢٤٠ - ٢٥٠.

بفعل تعدد النقلة وطواريء النسيان.

وحينما نتضح لنا بمثل هذه النصاعة والظهور مصادر علم الإمام الهادي (ع) ومنابع عبقريته الفكرية والثقافية، يكون من المنطقي جداً أن نتطلع بمنتهى الشوق والتلهف إلى معرفة ما أسند إلى هذا الإمام العظيم من تراث الإمامة الواسع الممتد عبر عوالم الفلسفة والتوحيد، والتفسير والفقه، والأخلاق والسلوك. مع تنبيه كل القراء بادیء بدء على أن هذا الإرث النفيس لم يسمعه الرواة منه بطريقة الدرس والمحاضرة والإلقاء السردى للمطالب المنوه عنها - كما قد يتصور بعض الناس اليوم -، وإنما هو في معظمه جواب مباشر على أسئلة خواصه وأصحابه، أو ردّ على استعلام زائريه ومراجعيه، أو شرح لما يود فهمه الراغبون بذلك من رواد مجلسه من طلاب العلم وعشاق المعرفة. وكان هذا في غالبه قائماً على المشافهة والحوار، وفي بعضه الأقل مكتوباً يُرسل إليه من خارج سر من رأى فيجيب عليه كتابةً وتحريراً أيضاً^(١).

ولما كان من غير المستطاع استيعاب مطالب ذلك التراث القيم في هذا البحث القائم على الاختصار والإيجاز، فإن واجب الوفاء بالموضوع لا يسمح لنا بطي تلك المطالب وحجبها عن أعين القراء، وإنما يفرض علينا - كما فعلنا في كتبنا السابقة المعنية بسير الأئمة (ع) - أن نشير إلى رؤوس أقلام منها تكون بمثابة عُرْفَة من بحر، وغيض من فيض، وزهرة من روض.



(١) يراجع في تلك المكاتبات وجوابات الإمام الهادي (ع) عليها: الكافي: ٤٠١/١ - ٤٠٢، ٤٠٩، ٤٤٧، ٥٤٧/٣، ٤٠٥، ٥٥٢، وكتاب إثبات الوصية: ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٠، وبحار الأنوار: ٣٨٦/١٠ - ٣٩٠، ١٧٦/٥٠، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٦.

وإذا ما أردنا أن نبداً عملية الغوص في ذلك العباب الزاخر
 لالتقاط ما يتيسر لنا التقاطه من جواهره ودرره، نجد أن أبرز ما يطالعنا
 منه في المصادر ما كان مرتبطاً بتفسير كتاب الله تعالى وإيضاح ما غمض
 من ألفاظه ومعانيه، وما خفي من مختلفه ومتشابهه، ويأتي في طليعة
 المأثور عنه في هذا الجانب ما أجاب به يحيى بن أكثم على مسأله في
 شرح بعض الآيات الشريفة التي التبس عليه فهمها وإدراك المراد منها،
 فطلب من الإمام بيان ذلك وتفسيره، وكان منها سؤاله عن قوله عز
 وجل: ﴿قَالَ أَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾^(١)، فقال الإمام: أنه «أصف بن
 برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنه أحب أن
 يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحججة من بعده، وذلك من علم سليمان
 أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لثلاثا يُخْتَلَفُ عليه في إمامته
 ودلالته، كما فهم سليمان في حياة داوود لتعرف نبوته وإمامته من بعده،
 لتأكد الحججة على الخلق».

وسأله يحيى أيضاً عن سجود يعقوب لولده فقال: إن «سجود
 يعقوب وولده كان طاعة لله ومحبة ليوسف، كما أن السجود من الملائكة
 لآدم لم يكن لآدم وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم. فسجود
 يعقوب وولده ويوسف معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره
 يقول في شكره في ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي
 مَا أُرِيدُ الْأَحَادِيثُ﴾ الآية^(٢).

وجاء في مسائل يحيى أيضاً: سؤاله عن معنى قوله تعالى: ﴿إِن
 كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾^(٣)، فقال الإمام:

(١) سورة النمل، الآية: ٤٠.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠١.

(٣) سورة يونس، الآية: ٩٤.

«إن المخاطب به رسول الله (ص)، ولم يكن في شك مما أنزل إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ ولم لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشى في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيه: ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ﴾ بمحضر الجهلة: هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة، وإنما قال: ﴿إِن كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن شك ولكن للنصفة، كما قال: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾^(١)، ولو قال: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه».

وكان من جملة ما تضمنت تلك المسائل: السؤال عن الشجرة التي ورد في القرآن أن الله قد نهى آدم وزوجه أن يأكلا منها. وكان جواب الإمام (ع): أن في الجنة «من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلد الأعين، وأباح الله ذلك كله لآدم. والشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجه أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضّل الله على خلائقه بعين الحسد، فنسي (وأكل) ونظر بعين الحسد ولم يجد له عزماً».

أما جواب سؤال يحيى عن تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ يُرَوْجُهُمْ ذُرَّكَاً وَإِنشَاءً﴾^(٢) فقد قال الإمام فيه: أن معنى ذلك «أن يولد لهم ذكور ويولد لهم إناث، يقال لكل اثنين مقترنين: زوجان، كل واحد منهما زوج».

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٠.

ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص
لارتكاب المآثم، ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا﴾^(١)، إن لم يتب^(٢).



وإذا ما انتقلنا من هذا المجال إلى ميدان علم الكلام وأصول
الاعتقاد فإننا نجد للإمام الهادي (ع) إفادات كبرى في توضيح معنى
التوحيد الخالص، وفي نفي رؤية الله المزعومة في الآخرة، وفي قضايا
الجبر والتفويض والقضاء والقدر وصدق الوعد والوعيد، وما يتعلق
بجميع ذلك من شعب وفروع، ويأتي على رأس هذا كله ما كتبه في بيان
بطلان الجبر والتفويض وتفسير المراد بالمنزلة بين المنزلتين جواباً لأهل
الأهواز على أسئلتهم بهذا الخصوص، حيث فصل (ع) الكلام في شرح
هذه الجوانب باستيعاب واستيفاء تامين، وبشواهد غير قليلة من الآيات
الكريمة والأحاديث الشريفة، حتى أصبح ذلك الجواب بمثابة رسالة
مستقلة في هذا الموضوع الشائك المعقد. وقد قمتُ بإفرادها عن بقية
نصوص تراث الإمامة وإيرادها على شكل ملحق منفرد في ختام هذا
الكتاب.

ومما أثير عن الإمام أيضاً في التوحيد قوله:

«لم يزل الله موجوداً ثم كَوّن ما أراد، ولا راداً لقضائه، ولا معقّب
لحكمه، تاهت أوهام المتوهمين، وقصر طرف الطارفين، وتلاشت
أوصاف الواصفين، واضمحلت أقاويل المبطلين، عن الدرك لعجيب

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٦٨، ٦٩.

(٢) ورد النص بكامله في تحف العقول: ٣٥٦ - ٣٥٩، ومعظمه في المناقب: ٢/

شأنه، أو الوقوع بالبلوغ على علو مكانه، فهو بالموضع الذي لا يتناهي، وبالمكان الذي لم يقع عليه الناعتون بإشارة ولا عبارة»^(١).

ومن ذلك أيضاً قوله (ع) للفتح بن يزيد الجرجاني:

«يا فتح، من أرضى الخالق لم يبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فَمِمَّنْ أن يسَلِّطَ الله عليه سخط المخلوق. وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به. جلّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة الناعتون. نأى في قربه وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب وفي قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال كيف، وأين الأين فلا يقال أين»، «هو الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. جل جلاله وتقدست أسماؤه»^(٢).

وحدّث أحمد بن إسحاق قال: كتبتُ إلى أبي الحسن علي بن محمد العسكري (ع) أسأله عن الرؤية وما فيه الناس من ادعاء الرؤية يوم القيامة، فكتب:

«لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية، وفي وجوب اتصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه، والله تعالى منزّه عن الاشتباه، فثبت أنه لا تجوز عليه الرؤية بالأبصار، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات»^(٣).



(١) الاحتجاج: ٢/ ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٢) الكافي: ١/ ١٣٧ - ١٣٨ وإثبات الوصية: ١٩٦ - ١٩٧ وتحف العقول: ٣٦١ وكشف الغمة: ٣/ ١٧٩ وبحار الأنوار: ٥٠/ ١٧٧.

(٣) الاحتجاج: ٢/ ٤٨٦.

أما ما ورد في ذلك التراث القيم من مسائل الفقه وفروعه فشيء كثير، وقد شمل أبواباً مختلفة من الموضوعات المتعلقة بالأحكام والفرائض مما لا مجال لعرضه في هذا المختصر، وبإمكان الراغب في الوقوف عليه مراجعة كتب الحديث المعنية بفقه الشريعة، وفي مقدمتها الكتب الأربعة المعروفة وهي: كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ وكتاب مَنْ لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ وكتابتا الاستبصار والتهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ وقد ضمت هذه المصادر الأربعة الرئيسة - وكذلك الكتب الأخرى المعنية بالأحاديث الفقهية - قدراً غير قليل من الروايات عن الإمام الهادي (ع) في شؤون العبادات والمعاملات والإيقاعات والعقود.

ويجدد بنا - على سبيل المثال - أن نروي في هذا السياق ما حدّث به المحدثون من أسئلة يحيى بن أكثم من الإمام عن إمكان قبول شهادة امرأة واحدة في بعض الحالات، وعن سبب الجهر بالقراءة في صلاة الفجر، وعن موجبات تفريق علي (ع) في تعامله مع أهل صفين بقتلهم مقبلين ومدبرين وعدم فعل ذلك مع أهل الجمل. وكان من بعض ما أجاب به الإمام على ذلك قوله:

«أما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة، جازت شهادتها مع الرضا، فإن لم يكن رضاً فلا أقل من امرأتين، تقوم المرأتان بدل الرجل للضرورة، لأن الرجل لا يمكنه أن يقوم مقامها، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها».

«وأما صلاة الفجر فالجهر فيها بالقراءة لأن النبي (ص) كان يغلس بها، فقراءتها من الليل».

«وأما قولك: أن علياً قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين وأجهز على جريحهم، وأنه يوم الجمل لم يتبع مولياً ولم يجهز على جريح ومَنْ ألقى سلاحه آمنه ومن دخل داره آمنه، فإن أهل الجمل قُتِلَ إمامهم، ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين.. فكان الحكم فيهم رفع السيف عنهم والكف عن أذاهم.. وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة وإمام يجمع لهم السلاح.. ويسني لهم العطاء ويهيئ لهم الأموال.. ويداوي جريحهم ويحمل راجلهم.. ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم. فلم يساو بين الفريقين في الحكم»^(١).



وعندما يستمر بنا التجوال في هذه الرياض النضرة المزدهرة، ونقف على أزاويرها العطرة الزاهية، تطالعنا ألوان شتى من الدروس والتوجيهات، وضروب مختلفة من الإرشادات والتنبهات، وقد عُنيَتْ جميعاً ببناء فكر الإنسان المسلم وإبعاده عن شذوذ التطرف وصدّه عن الخروج على المنهج الوسط المنزّه من الإفراط والتفريط. وكان من بعض ذلك ما ورد عنه في التحذير من أقاويل الغلاة، والنهي عن الغلو في النظرة إلى الأئمة (ع) والاعتقاد بهم، كقوله (ع) مخاطباً أحد أصحابه:

«إن الله لم يُظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول... وكل ما اطلع عليه الرسول فقد اطلع أو صياؤه عليه، لثلا تخلو أرضه من حجة يكون معه علم يدل على صدق مقالته.. عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك.. حتى أراد إزالتك عن طريق الله وصراطه المستقيم

(١) تحف العقول: ٣٥٩ - ٣٦٠ - ومعظم النص في المناقب: ٤٤٥/٢.

فقلت: هم أرباب. معاذ الله إنهم مخلوقون مريبون مطيعون لله داخرون راغبون، فإذا جاءك الشيطان من قِبَل ما جاءك فاقمعه بما أنبأتك به»^(١).

كما كان من أمثلة ذلك ما روي عنه في العناية بوسائل تربية النفوس وتهذيب المشاعر والابتعاد عن أفكار التشاؤم وخرافات، وجاء في الرواية عن الحسن بن مسعود أنه قال:

«دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (ع) وقد نُكِبْتُ أصبعي، وتلقاني راكب وصدم كتفي، ودخلت في زحمة فخرقوا عليّ بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرّك من يوم فما أشأمك. فقال لي (ع): يا حسن، هذا - وأنت تغشانا - ترمي بذنبك من لا ذنب له.. ما ذنب الأيام حتى صرتم تشاءمون بها.. أما علمت يا حسن أن الله هو الميثب المعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً! قلت: بلى يا مولاي. قال (ع): لا تُعَدُّ ولا تجعل للأيام صنعا في حكم الله»^(٢).

ومما يمكن أن يعدّ في جملة وسائل الإمام لتهذيب النفوس وتعميق ارتباطها بالله ما روي عنه من الأدعية والابتهالات التي كان ينادي بها ربّه متوجهاً إليه ومتوكلاً عليه، ومن ذلك هذا الدعاء الذي كان كثيراً ما يدعو الله تعالى به، وقد علّمه أحد أصحابه، وهو:

(يا عدّتي عند العُدَد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحد يا أحد، يا قل هو الله أحد، أسألك اللهم بحق من خلقته من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم وتفعل بي كيت وكيت)^(٣).

(١) إثبات الوصية: ١٩٧ وكشف الغمة: ٣/١٨٠ - ١٨١ وبحار الأنوار: ١٧٩/٥٠.

(٢) تحف العقول: ٣٦١.

(٣) بحار الأنوار: ١٢٧/٥٠ - ١٢٨.

كذلك أثرت عنه من الجمل الصغيرة والحكم القصيرة ما تمتد أبعادها إلى أعمق المعاني الإنسانية وأسمى الأهداف الاجتماعية، مما لا مجال لشرح مغازيها وبيان مضامينها في هذا الاستطراد، وكان من أمثلة ذلك قوله (ع):

(من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه).

(من جمع لك ودهً ورأيه فاجمع له طاعتك).

(الدنيا سوق، ربح فيها قوم وخسر آخرون)^(١).



ولا يفوتنا قبل أن نختم الحديث عن تراث الإمامة أن نشير إلى ما كان يتمتع به الإمام الهادي (ع) من ذوق أدبي بالغ سمو، وحسّ نقدي رفيع المستوى، في انتقاء ما يستشهد به من الأشعار، وفي تقويم منازل الشعراء في الجودة والإبداع. ونروي في هذا المجال على سبيل المثال ما ورد من أن المتوكل سأله يوماً عن أشعر الناس، فقال: «الحمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابة	بمطّ خدودٍ وامتداد أصابع
فلما تنازعنا المقال قضى لنا	عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا	عليهم جهير الصوت في كل جامع
فإن رسول الله أحمد جدنا	ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

فقال له المتوكل: «وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟ قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله»^(٢).

(١) تحف العقول: ٣٦٢.

(٢) المناقب: ٤٦٦/٢ وبحار الأنوار: ١٢٨/٥٠ - ١٢٩ - ١٩٠ و ١٩١.

وكلمة اعتراف بالجميل يجب أن تقال في ختام الحديث عن
«تراث الإمامة»:

إن الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام أبي الحسن الهادي (ع) على تراثه العظيم وما حمل من فكر وعطاء، إنما يعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له، الذين سمعوا منه ذلك فحدثوا به وأبلغوه إلى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالاطلاع عليه والإفادة منه والاهتداء بهديه، ونخص بالذكر منهم أولئك النوابع الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات حفظتها من الضياع وحمتها من النسيان، وكان فيهم من بَوَّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من اكتفى بإيداع ما سمع في مجموعات أطلق عليها في فهارس تلك العصور اسم (النوادر) أو (كتاب مسائل).

ونورد فيما يأتي - رعاية لما التزمنا به من الاختصار والإيجاز - جريدة تحوي أسماء الرواة عن الإمام الهادي (ع)، مع التنويه بمن نص المؤرخون على من كان منهم صاحب كتاب أو مدوِّنة، وتسمية ما ذكر المترجمون لهم من مؤلفات ومصنفات. معلنين الإقرار لهم باليد البيضاء والإحسان الخالد على جميع طلاب العلم والمعرفة المستفيدين من ذلك كله على كر السنين، ومسجلين أسمى مشاعر التقدير والإكبار لهم بحكم

كونهم بعضاً من تلك الطلائع المتقدمة في الجمع والتدوين في التاريخ العربي الإسلامي، ومن جملة الرعيل السابق من رواد هذا الميدان في المائة الهجرية الثالثة(*) :

- ١ - إبراهيم بن إدريس .
- ٢ - إبراهيم بن إسحاق .
- ٣ - إبراهيم بن داود .
- ٤ - إبراهيم الدهقان .
- ٥ - إبراهيم بن شيبه .
- ٦ - إبراهيم بن عبدة النيسابوري .
- ٧ - إبراهيم بن عقبة .
- ٨ - إبراهيم، يكنى أبا محمد .
- ٩ - إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري .

(*) عني الباحث المرحوم الشيخ عناية الله علي القهباني المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري، بجمع كتاب رجال الكشي (وهو من مؤلفي النصف الأول من القرن الرابع) وكتاب رجال ابن الغضائري (من مؤلفي النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠هـ وكتابي الرجال والفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ. فأورد هذه الكتب بألفاظها، مع تمييز نص كل واحد منها منفرداً مستقلاً عن غيره. وسمى هذا المجموع (مجمع الرجال)، وهو مطبوع في سبعة أجزاء.

وقد رجعت إلى هذا الكتاب - بما تضمن من نصوص تلك الكتب - في ضبط أسماء الرواة عن الإمام الهادي (ع) وفي تبين أسماء مؤلفات من كان منهم مؤلفاً، ورمزنا له بـ(مجمع). كما رجعت في بعض هؤلاء المؤلفين إلى فهرست ابن النديم أيضاً.

- ١٠ - إبراهيم بن محمد الهمداني .
- ١١ - إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، أبو إسحاق، له من المؤلفات: كتاب البشارات. (مجمع: ٧٥/١).
- ١٢ - أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داوود بن حمدون الكاتب النديم، أبو عبدالله، شيخ أهل اللغة ووجههم، وكان خصيصاً بأبي محمد الحسن بن علي (ع) وأبي الحسن (ع) قبله، وله معه مسائل وأخبار. وله من المؤلفات:
- أ - كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية.
- ب - كتاب أشعار بني مرة بن همام.
- ج - كتاب بني عبدالله بن غطفان.
- د - كتاب بني عُقَيْل.
- هـ - كتاب بني كليب بن يربوع.
- و - كتاب بني مرة بن عوف.
- ز - كتاب بني النمر بن قاسط.
- ح - كتاب شعر ثابت بن قنينة وصنعتة.
- ط - كتاب شعر العجير السلولي وصنعتة.
- ي - كتاب طي.
- ك - نوادر الإعراب. (مجمع: ٨٧/١).
- أحمد بن أبي عبدالله البرقي (يراجع أحمد بن محمد بن خالد).
- ١٣ - أحمد بن إسحاق الرازي.

- ١٤ - أحمد بن إسماعيل بن يقطين .
- ١٥ - أحمد بن الحسن بن إسحاق بن سعد .
- ١٦ - أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن فضال، أبو عبد الله وقيل أبو الحسين، المتوفى سنة ٢٦٠هـ، له مؤلفات، منها:
- أ - كتاب الصلاة .
- ب - كتاب الوضوء .
- (مجمع: ١٠٤/١ - ١٠٥) .
- ١٧ - أحمد بن حمزة بن اليسع القمي، له من المؤلفات: كتاب نوادر .
- (مجمع: ١١٢/١) .
- ١٨ - أحمد بن الخضيب .
- ١٩ - أحمد بن زكريا بن بابا .
- ٢٠ - أحمد بن الفضل .
- ٢١ - أحمد بن محمد بن خالد البرقي، المتوفى سنة ٢٧٤هـ، له مؤلفات كثيرة ذكرنا أسماءها في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً .
- ٢٢ - أحمد بن محمد بن سيار الكاتب البصري، أبو عبد الله المعروف بالسياري، له مؤلفات، منها:
- أ - كتاب ثواب القرآن .
- ب - كتاب الطب .
- ج - كتاب الغارات .

د - كتاب القراءات .

هـ - كتاب النوادر . (مجمع : ١/١٥٠).

٢٣ - أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله الأشعري القمي من بني ذخران بن عوف بن الجماهر بن الأشعر، أبو جعفر، وأول من سكن بقم من آبائه سعد بن مالك بن الأحوص، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب التوحيد .

ب - كتاب الطب (الصغير) .

ج - كتاب الطب (الكبير) .

د - كتاب فضل النبي (ص) .

هـ - كتاب المتعة .

و - كتاب المكاسب .

ز - كتاب الناسخ والمنسوخ .

ح - كتاب النوادر - وكان غير ميبَّوب فبويه داوود بن كوزه - .
(الفهرست : ٢٧٨ ومجمع : ١/١٦٣ - ١٦٥).

٢٤ - أحمد بن هلال العبرتائي البغدادي، المولود سنة ١٨٠هـ والمتوفى سنة ٢٦٧هـ، له مؤلفات، منها:

أ - كتاب نوادر .

ب - كتاب يوم وليلة . (مجمع : ١/١٧٣).

٢٥ - إسحاق بن إسماعيل بن نوبخت .

- ٢٦ - إسحاق بن محمد بن أحمد بن أبان البصري، أبو يعقوب.
- ٢٧ - أيوب بن نوح بن دراج، أبو الحسين، له من الكتب:
- أ - كتاب روايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث (ع).
- ب - كتاب نوادر. (مجمع: ٢٤٨/١).
- ٢٨ - بشر بن بشار النيسابوري عم أبي عبد الله الشاذاني.
- ٢٩ - جعفر بن إبراهيم.
- ٣٠ - جعفر بن أحمد.
- ٣١ - جعفر بن سليمان.
- ٣٢ - جعفر بن سهيل الصيقل.
- ٣٣ - جعفر بن عبد الله بن جعفر بن الحسين بن جامع القمي الحميري.
- ٣٤ - جعفر بن محمد بن إسماعيل بن الخطاب.
- ٣٥ - جعفر بن محمد بن يونس الأحول الصيرفي، له كتاب نوادر. (مجمع: ٤٥/٢).
- ٣٦ - جعفر بن هشام.
- ٣٧ - حاتم بن الفرغ.
- ٣٨ - الحسن بن جعفر الفافائي البغدادي، أبو طالب.
- ٣٩ - الحسن بن الحسن (أو الحسين) العلوي.
- ٤٠ - الحسن بن خرزاذ القمي، له مؤلفات، منها:
- أ - كتاب أسماء رسول الله (ص).
- ب - كتاب المتعة. (مجمع: ١٠٦/٢).

- ٤١ - الحسن بن راشد البغدادي، أبو علي .
- ٤٢ - الحسن بن سفيان الكوفي .
- ٤٣ - الحسن (أو الحسين) بن ظريف .
- ٤٤ - الحسن بن علي بن أبي عثمان الكوفي، أبو محمد، الملقب بسجادة، له كتاب نوادر .
(مجمع : ١٢٤/٢ - ١٢٥) .
- ٤٥ - الحسن بن علي بن زياد الوشا الكوفي الخزاز، له كتاب . (مجمع : ١٢٨/٢) .
- ٤٦ - الحسن (أو الحسين) بن محمد بن حي .
- ٤٧ - الحسن بن محمد ابن أخي محمد بن رجاء الخياط .
- ٤٨ - الحسن بن محمد العلوي .
- ٤٩ - الحسن بن محمد المعروف بابن بابا القمي .
- ٥٠ - الحسن بن محمد المدائني .
- ٥١ - الحسين بن أسد البصري .
- ٥٢ - الحسين بن أشكيب القمي خادم قبر فاطمة بنت الإمام الكاظم (ع)، له مؤلفات منها :
أ - كتاب الرد على الزيدية .
ب - كتاب الرد على من زعم أن النبي (ص) كان على دين قومه قبل بعثته .
ج - كتاب النوادر . (مجمع : ١٦٧/٢ - ١٦٨) .

- ٥٣ - الحسين بن سعيد بن حماد بن سعيد بن مهراڻ الكوفي الأهوازي، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن موسى الرضا (ع)) لأنه كان من الرواة عنه وعمّن تلاه من الأئمة.
- ٥٤ - الحسين بن عبيدالله القمي .
- ٥٥ - الحسين بن مالك القمي .
- ٥٦ - الحسين بن محمد المدائني .
- ٥٧ - حفص المروزي .
- ٥٨ - حمدان بن سليمان بن عميرة النيسابوري المعروف بالتاجر، له مؤلف . (مجمع: ٢/ ٢٣٢ - ٢٣٣).
- ٥٩ - حمزة مولى علي بن سليمان بن رشيد البغدادي .
- ٦٠ - خليل بن هشام الفارسي .
- ٦١ - خيران بن إسحاق الراكاني .
- ٦٢ - خيران الخادم القراطيسي، له مؤلف . (مجمع: ٢/ ٢٧٦ - ٢٧٧).
- ٦٣ - داوود بن زنكان أبي زيد النيسابوري، أبو سليمان .
- ٦٤ - داوود بن القاسم الجعفري البغدادي، أبو هاشم، له مؤلف . (مجمع: ٢/ ٢٨٨ - ٢٨٩).
- ٦٥ - داوود بن مافنه الكوفي الصرمي (أو الصيرفي)، أبو سليمان، له كتاب مسائل . (مجمع: ٢/ ٢٩٢).
- ٦٦ - رجاء بن يحيى العبرثائي الكاتب، أبو الحسين، له كتاب المقنعة في أبواب الشريعة . (مجمع: ٣/ ١٢).
- ٦٧ - الريان بن الصلت البغدادي، له مؤلف (مجمع: ٣/ ٢٣).

- ٦٨ - السري بن سلامة الأصبهاني، له مؤلف (مجمع: ٩٨/٣).
- ٦٩ - سليمان بن حفصويه.
- ٧٠ - سليمان بن داوود المروزي.
- ٧١ - سهل بن زياد الأدمي الرازي، أبو سعيد، له كتابان ذكرناهما في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد (ع)).
- ٧٢ - سهل بن يعقوب بن إسحاق، أبو السري.
- ٧٣ - السندي بن محمد، الجهني، أبو بشر، له كتاب نوادر. (مجمع: ١٧٤/٣).
- ٧٤ - شاهويه بن عبد الله.
- ٧٥ - صالح بن عيسى (أو موسى) بن عمر بن بزيع.
- ٧٦ - صالح بن محمد الهمداني.
- ٧٧ - صالح بن مسلمة (أو سلمة) الرازي، أبو الخير.
- ٧٨ - عبد الرحمن بن محمد بن طيفور المتطب.
- ٧٩ - عبد الرحمن بن محمد بن معروف القمي.
- ٨٩ - عبد الصمد بن محمد القمي.
- ٨١ - عبد العظيم بن عبدالله بن علي الحسيني، أبو القاسم، له كتاب خطب أمير المؤمنين (ع). (مجمع: ٩٧/٤ - ٩٨).
- ٨٢ - عبدوس العطار الكوفي البغدادي، له مؤلف. (مجمع: ١١٢/٤).
- ٨٣ - عثمان بن سعيد العمري، أبو عمرو السمان، ويقال أيضاً: الزيات.

- ٨٤ - عروة النخاس الدهقان .
- ٨٥ - علي بن إبراهيم القمي ، له مؤلفات كثيرة ، منها :
- أ - كتاب اختيار القرآن ورواياته .
- ب - كتاب الأنبياء .
- ج - كتاب التفسير .
- د - كتاب التوحيد والشرك .
- هـ - جوابات مسائل سأل عنها محمد بن هلال .
- و - كتاب الحيض .
- ز - رسالة في معنى هشام ويونس .
- ح - كتاب الشرائع .
- ط - كتاب فضائل أمير المؤمنين (ع) .
- ي - كتاب في المغازي .
- ك - كتاب في النسخ والمنسوخ .
- ل - كتاب قرب الإسناد .
- م - كتاب المناقب . (الفهرست : ٢٧٧ ومجمع الرجال : ١٥٢/٤ - ١٥٣) .
- ٨٦ - علي بن إبراهيم الهمداني .
- ٨٧ - علي بن أبي قرّة ، أبو الحسن .
- ٨٨ - علي بن بلال البغدادي ، أبو الحسن ، له مؤلّف . (مجمع : ٤/٤١٦٩) .

- ٨٩ - علي بن جعفر الوكيل .
- ٩٠ - علي بن الحسن بن علي بن فضال، أبو الحسن، الكوفي، له مؤلفات كثيرة، منها:
- أ - كتاب أخبار بني إسرائيل .
- ب - كتاب أسماء آلات رسول الله (ص) وأسماء سلاحه .
- ج - كتاب الأصفياء .
- د - كتاب الأنبياء .
- هـ - كتاب البشارات .
- و - كتاب التفسير .
- ز - كتاب التنزيل من القرآن والتحريف .
- ح - كتاب الجنائز .
- ط - كتاب الجنة والنار .
- ي - كتاب الحيض والنفاس .
- ك - كتاب الخمس .
- ل - كتاب الدعاء .
- م - كتاب الدلائل .
- ن - كتاب الرجال .
- س - كتاب الزكاة .
- ع - كتاب الزهد .
- ف - كتاب صفات النبي (ص) .

- ص - كتاب الصلاة .
- ق - كتاب الصوم .
- ر - كتاب الطب .
- ش - كتاب الطلاق .
- ت - كتاب العقيدة .
- ث - كتاب العلل .
- خ - كتاب الغيبة .
- ذ - كتاب الفرائض .
- ض - كتاب فضل الكوفة .
- ظ - كتاب ما روي في الحمام .
- غ - كتاب المتعة .
- أب - كتاب المثالب .
- أج - كتاب المعرفة .
- أد - كتاب الملاحم .
- أه - كتاب مناسك الحج .
- أو - كتاب المواعظ .
- أز - كتاب النكاح .
- أح - كتاب الوصايا .
- أط - كتاب الوضوء .

- أ - كتاب وفاة النبي (ص) (مجمع : ١٨٠/٤ - ١٨٢).
- ٩١ - علي بن الحسين .
- ٩٢ - علي بن الحسين بن عبد ربه (أو عبد الله).
- ٩٣ - علي بن الحسين الهمداني .
- ٩٤ - علي بن رُميس البغدادي .
- ٩٥ - علي بن الريان بن الصلت، له من الكتب :
- أ - كتاب مشترك بينه وبين أخيه محمد .
- ب - كتاب مثنور الأحاديث .
- ج - نسخة عن الإمام الهادي (ع) (مجمع : ١٩٦/٤).
- ٩٦ - علي بن زياد الصيمري .
- ٩٧ - علي بن سليمان بن رشيد البغدادي .
- ٩٨ - علي بن شيره .
- ٩٩ - علي بن عبد الغفار .
- ١٠٠ - علي بن عبد الله بن جعفر الحميري .
- ١٠١ - علي بن عبد الله (أو عبيدالله) الزبيري .
- ١٠٢ - علي بن عبد الله العطار القمي، أبو الحسن، له : كتاب الاستطاعة على مذاهب أهل العدل . (مجمع : ٢٠٤/٤).
- ١٠٣ - علي بن عبيدالله .
- ١٠٤ - علي بن عمرو العطار القزويني .
- ١٠٥ - علي بن محمد بن زياد الصيمري .

- ١٠٦ - علي بن محمد القاساني الأصفهاني .
- ١٠٧ - علي بن محمد المنقري، له: كتاب نوادر. (مجمع: ٢٢٣/٤).
- ١٠٨ - علي بن محمد النوفلي .
- ١٠٩ - علي بن معبد البغدادي، له كتاب. (مجمع: ٢٢٤/٤).
- ١١٠ - علي بن مهزيار الأهوازي، له مؤلفات كثيرة أوردنا أسماءها في كتابنا (الإمام علي بن موسى الرضا (ع)).
- ١١١ - علي بن يحيى الدهقان، أبو الحسين .
- ١١٢ - عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور، أبو منصور، له نسخة يرويها عن الإمام الهادي (ع) (مجمع: ٢٩٨/٤ - ٢٩٩).
- ١١٣ - فارس بن حاتم القزويني، له من المؤلفات:
- أ - كتاب التفضيل .
- ب - كتاب الحروب .
- ج - كتاب الرد على الإسماعيلية .
- د - كتاب الرد على الواقعة .
- هـ - كتاب عدد الأئمة من حساب الجمل . (مجمع: ٧/٥ - ١٢).
- ١١٤ - الفتح بن يزيد الجرجاني، أبو عبدالله: له كتاب مسائل (مجمع: ١٣/٥).
- ١١٥ - الفضل بن شذان الرازي النيسابوري الأزدي، أبو محمد، له مؤلفات كثيرة. منها:
- أ - كتاب إثبات الرجعة .

- ب - كتاب الاستطاعة .
- ج - كتاب الأعراض والجواهر .
- د - كتاب الإمامة (الكبير) .
- هـ - كتاب الإيمان .
- و - كتاب تبيان أصل الضلالة .
- ز - كتاب التفسير .
- ح - كتاب التنبيه من الجبر والتشبيه .
- ط - كتاب التوحيد في كتب الله .
- ي - كتاب جمع فيه مسائل متفرقة .
- ك - كتاب الحسنى .
- ل - كتاب حذو النعل بالنعل .
- م - كتاب الخصال في الإمامة .
- ن - كتاب الدياج .
- س - كتاب الرد على ابن كرام .
- ع - كتاب الرد على أحمد بن يحيى .
- ف - كتاب الرد على الأصم .
- ص - كتاب الرد على أهل التعطيل .
- ق - كتاب الرد على الباطنية والقرامطة .
- ر - كتاب الرد على الحسن البصري في التفضيل .

- ش - كتاب الرد على الحشوية .
- ت - كتاب الرد على الدامغة في الثنوية .
- ث - كتاب الرد على الغلاة .
- خ - كتاب الرد على القرامطة .
- ذ - كتاب الرد على المثلثة .
- ض - كتاب الرد على المرجئة .
- ظ - كتاب الرد على يمان بن رباب الخارجي .
- غ - كتاب السنن في الفقه .
- أب - كتاب الطلاق .
- أج - كتاب العروس وهو كتاب العين .
- أد - كتاب العلل .
- أه - كتاب عمل شهر رمضان .
- أو - كتاب الفرائض (الأوسط) .
- أز - كتاب الفرائض (الصغير) .
- أح - كتاب الفرائض (الكبير) .
- أط - كتاب فضل أمير المؤمنين (ع) .
- أي - كتاب القائم (ع) .
- أك - كتاب القراءات .
- أل - كتاب اللطيف .

- أم - كتاب المتعتين متعة النساء ومتعة الحج .
- أن - كتاب المسائل في العالم وحدوثه .
- أس - كتاب المسائل والجوابات .
- أع - كتاب المسائل الأربعة في الإمامة .
- أف - كتاب مسائل البلدان .
- أص - كتاب المسح على الخفين .
- أق - كتاب معرفة الهدى والضلالة .
- أر - كتاب المعيار والموازنة .
- أش - كتاب الملاحم .
- أت - كتاب المنزلة الأربعة (كذا)؛ وهو كتاب الرد على يزيد بن بزيع الخارجي .
- أث - كتاب نخبة الإسلام .
- أخ - كتاب النسبة بين الجبرية والبترية .
- أذ - كتاب النقض على أبي عبيد في الطلاق .
- أض - كتاب النقض على الأسكافي في الجسم .
- أظ - كتاب النقض على من يدعي الفلسفة؛ في التوحيد والأعراض والجواهر والجزاء .
- أغ - كتاب الوعد والوعيد .
- ب ب - كتاب الوعيد . (الفهرست: ٣٨، ٢٨٧ ومجمع: ٢٩/٥ - ٣١).

- ١١٦ - الفضل بن كثير البغدادي .
- ١١٧ - القاسم الشعراني اليقطيني .
- ١١٨ - قاسم الصيقل .
- ١١٩ - كافرو الخادم .
- ١٢٠ - محمد بن أبي طيفور المتطبب .
- ١٢١ - محمد بن أحمد بن إبراهيم .
- ١٢٢ - محمد بن أحمد بن جعفر القمي .
- ١٢٣ - محمد بن أحمد بن حماد المحمدي (أو المحمودي)، أبو علي .
- ١٢٤ - محمد بن أحمد بن عبيدالله بن المنصور، أبو الحسن .
- ١٢٥ - محمد بن أحمد بن مطهر .
- ١٢٦ - محمد بن إسماعيل البلخي .
- ١٢٧ - محمد بن إسماعيل الصيمري القمي .
- ١٢٨ - محمد بن جَزْكَ الجمال .
- ١٢٩ - محمد بن حسان الرازي الزينبي (أو الزيني)، له مؤلفات، منها:
- أ - كتاب ثواب الأعمال .
- ب - كتاب ثواب (أنا أنزلناه) .
- ج - كتاب ثواب القرآن .
- د - كتاب الشيخ والشيخة .
- هـ - كتاب العقاب (مجمع: ١٨٠/٥) .

١٣٠ - محمد بن الحسن بن شمون البصري المعمار، المتوفى سنة ٢٥٨هـ، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد (ع)).

١٣١ - محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات الكوفي، أبو جعفر، المتوفى سنة ٢٦٢هـ، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد (ع)).

١٣٢ - محمد بن الحصين الأهوازي.

١٣٣ - محمد بن حصين العُميري (أو الفهري).

١٣٤ - محمد بن حمزة بن اليسع القمي، أبو طاهر.

١٣٥ - محمد بن خالد الرازي، أبو العباس.

١٣٦ - محمد بن رجاء الخياط (أو الحنائط).

١٣٧ - محمد بن الريان بن الصلت، له كتاب مسائل. (مجمع: ٥/٢١٠).

١٣٨ - محمد بن سعيد بن كلثوم المروزي المتكلم.

١٣٩ - محمد بن سليمان الجلاب.

١٤٠ - محمد بن صيفي الكوفي.

١٤١ - محمد بن عبد الجبار، وهو ابن أبي الصهبان القمي.

١٤٢ - محمد بن عبد الله بن مهران الكرخي، أبو جعفر، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد (ع)).

١٤٣ - محمد بن عبد الله النوفلي الهمداني.

١٤٤ - محمد بن عبيد الله الطائي، من أهل الطاي (طاهي).

١٤٥ - محمد بن علي بن عيسى الأشعري الطلحي القمي، له كتاب مسائل (مجمع: ٢٧٥/٥).

١٤٦ - محمد بن علي بن مهزيار.

١٤٧ - محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين بن يونس، له مؤلفات متعددة منها:

أ - كتاب الإمامة.

ب - كتاب الأمل والرجاء.

ج - كتاب البشارات.

د - كتاب بُعد الإسناد.

هـ - كتاب التجمل والمروءة.

و - كتاب تفسير القرآن.

ز - كتاب التوقيعات.

ح - كتاب ثواب الأعمال.

ط - كتاب الرجال.

ي - كتاب الزكاة.

ك - كتاب الضياء.

ل - كتاب الطرائف.

م - كتاب الفيء والخمس.

ن - كتاب قرب الإسناد.

س - كتاب اللؤلؤة.

- ع - كتاب المسائل المعجزة.
- ف - كتاب المعرفة.
- ص - كتاب النوادر.
- ق - كتاب الواضح المكشوف في الرد على أهل الوقوف.
- ر - كتاب الوصايا (الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ١٧/٦ - ١٨).
- ١٤٨ - محمد بن الفرج، له كتاب مسائل.
- (مجمع: ٢١/٦).
- ١٤٩ - محمد بن الفضل.
- ١٥٠ - محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى العلوي.
- ١٥١ - محمد بن مروان الجلاب.
- ١٥٢ - محمد بن مروان الخطاب.
- ١٥٣ - محمد بن موسى بن الحسن بن فرات.
- ١٥٤ - محمد بن موسى الربيعي (أو السريعي).
- ١٥٥ - محمد بن يحيى البصري، أبو يحيى.
- ١٥٦ - محمد بن يحيى بن زدياب (أو درياب).
- ١٥٧ - مسافر، مولى الإمام الهادي (ع).
- ١٥٨ - مصقلة بن إسحاق الأشعري القمي.
- ١٥٩ - معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد (ع)).
- ١٦٠ - منصور بن العباس، له كتاب. (مجمع: ١٤٤/٦).

- ١٦١ - موسى بن داوود اليعقوبي .
- ١٦٢ - موسى بن عمر بن بزريع، له مؤلف (مجمع : ١٥٨/٦).
- ١٦٣ - موسى بن عمر الحضيني .
- ١٦٤ - موسى بن محمد الحضيني .
- ١٦٥ - موسى بن مرشد الوراق النيسابوري .
- ١٦٦ - نصر بن حازم القمي .
- ١٦٧ - النضر بن محمد الهمداني .
- ١٦٨ - يحيى بن أبي بكر الرازي الضرير .
- ١٦٩ - يحيى بن محمد .
- ١٧٠ - يعقوب بن إسحاق السكيت، أبو يوسف، عالم العربية، المتوفى سنة ٢٤٦هـ، له مؤلفات كثيرة منها:
- أ - كتاب الإبل .
- ب - كتاب الأجناس، كبير .
- ج - كتاب الأرضين والجبال والأودية .
- د - كتاب إصلاح المنطق .
- هـ - كتاب الأصوات .
- و - كتاب الأضداد .
- ز - كتاب الألفاظ .
- ح - كتاب الأمثال .
- ط - كتاب الأيام والليالي .

- ي - كتاب البحث .
- ك - كتاب الحشرات .
- ل - كتاب الزبرج .
- م - كتاب السرج واللجام .
- ن - كتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا فيه .
- س - كتاب الشجر والنبات .
- ع - شعر أبي داود .
- ف - شعر الأخطل .
- ص - شعر الأعشى .
- ق - شعر امرئ القيس .
- ر - شعر أوس بن حجر .
- ش - شعر بشر بن أبي خازم .
- ت - شعر جرير .
- ث - شعر الحارث اليشكري .
- خ - شعر حسان بن ثابت .
- ذ - شعر زهير .
- ض - شعر السليك بن السلكة .
- ظ - شعر طرفة .
- غ - شعر عامر بن الطفيل .

- أب - شعر علقمة الفحل .
- أج - شعر عمرو بن أحمر .
- أد - شعر عمرو بن كلثوم .
- أه - شعر عترة .
- أو - شعر الفرزدق .
- أز - شعر النابغة .
- أح - كتاب الطير .
- أط - كتاب الفرق .
- أي - كتاب فعل وأفعال .
- أك - كتاب القلب والإبدال .
- أل - كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه .
- أم - كتاب ما جاء في الشعر وما حُرِّف عن جهته .
- أن - كتاب المثني والمبني والمكنى .
- أس - كتاب المذكر والمؤنث .
- أع - كتاب معاني الشعر (الصغير) .
- أف - كتاب معاني الشعر (الكبير) .
- أص - كتاب المقصور والممدود .
- أق - كتاب النوادر .
- أر - كتاب الوحوش . (الفهرست : ٧٩ ومجمع : ٢٧٢/٦ - ٢٧٣) .

- ١٧١ - يعقوب البجلي .
- ١٧٢ - يعقوب بن منقوش (أو منقوش) .
- ١٧٣ - يعقوب بن يزيد الكاتب، له مؤلفات، منها:
- أ - كتاب البداء .
- ب - كتاب الطعن على يونس .
- ج - كتاب المسائل .
- د - كتاب نوادر الحج . (مجمع : ٦ / ٢٧٧) .

النساء والكنى

- ١٧٤ - كلثم الكرخية .
- ١٧٥ - أبو بكر الفهفكي ابن أبي طيفور المتطبب .
- ١٧٦ - أبو الحسين بن هلال .
- ١٧٧ - أبو الحصين بن الحصين، نزل الأهواز .
- ١٧٨ - أبو راشته (أو راشد) المتطبب .
- ١٧٩ - أبو طاهر البرقي، أخو أحمد بن محمد بن خالد .
- ١٨٠ - أبو طاهر محمد بن علي بن بلال .
- ١٨١ - أبو عبدالله بن أبي الحسين .
- ١٨٢ - أبو عبدالله المغازي .
- ١٨٣ - أبو عبدالله المكارى .
- ١٨٤ - أبو عمرو الحذاء .

- ١٨٥ - أبو المتطبب بن علي بن بلال .
- ١٨٦ - أبو محمد ابن إبراهيم .
- ١٨٧ - أبو يحيى الجرجاني، له مؤلفات متعددة، منها:
- أ - كتاب استنباط الحشوية .
- ب - كتاب الأوائل .
- ج - كتاب التسوية .
- د - كتاب التفويض .
- هـ - كتاب خلاف عمر برواية أهل الحشو .
- و - كتاب الرد على الحنبلي .
- ز - كتاب الرد على السنجري .
- ح - كتاب الصهاكي .
- ط - كتاب طلاق المجنون .
- ي - كتاب الغوغاء من أصناف الأمة .
- ك - كتاب فضائح الحشوية .
- ل - كتاب محنة النائبة، يصف فيه مذهب أهل الحشو .
- م - كتاب مفاخرة البكرية والعمرية .
- ن - كتاب مناظرة الشيعي والمرجىء .
- س - كتاب نكاح السكران . (مجمع : ١٠٩/٧) .



ملحق الكتاب

رسالة الإمام أبي الحسن الهادي (ع) في الرد على (أهل الجبر والتفويض)

«مما أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري (ع) في رسالته إلى أهل الأهواز حين سألوه عن الجبر والتفويض أن قال:

«من علي بن محمد: سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته:

ورد عليّ كتابكم، وفهمتُ ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتُموني عنه وبيانه لكم، وفهمتُ ذلك كله:

اعلموا - رحمكم الله - أنا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار، فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله جل وعز؛ لا تخلو من معنيين: إما حق فَيَتَّبِع، وإما باطل فيجتنب.

وقد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم أن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون مهتدون بقول رسول الله (ص): «لا تجتمع أمتي على ضلالة»، فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم

يخالف بعضها بعضاً، وهذا معنى الحديث لا ما تأوله الجاهلون ولا ما قاله المعاندون؛ من إبطال حكم الكتاب؛ واتباع حكم الأحاديث المزورة والروايات المزخرفة والأهواء المردية المهلكة التي تخالف نص الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات. ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب ويهدينا إلى الرشاد.

والقرآن حق، لا اختلاف بينهم في تنزيهه وتصديقه، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه؛ وأنكر الخبر طائفة من الأمة، لزمهم الإقرار به ضرورة، حين اجتمعت على تصديق الكتاب. فإن هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملة.

فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب وتصديقه والتماس شهادته عليه خبرٌ ورد عن رسول الله (ص) ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه بحيث لا تخالفه أقاويلهم حيث قال: «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلوا ما تمسكتم بهما، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصّاً مثل قوله جل وعز: ﴿إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَكَوَةٌ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾، وروت العامة في ذلك أخباراً لأمر المؤمنين (ع) أنه تصدق بخاتمه وهو راع فشكر الله ذلك له وأنزل الآية فيه، ووجدنا رسول الله (ص) قد أتى بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وبقوله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ووجدناه يقول: «علي يقضي ديني وينجز مواعيدي وهو خليفتي عليكم من بعدي». فالخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر

لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة، إذ كانت هذه الأخبار شواهدا من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن والقرآن وافقها.

ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله (ص) ونقلها قوم ثقات معروفون، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعاده إلا أهل العناد، وذلك أن أقاويل رسول الله (ص) متصلة بقول الله، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله (ص): «من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه» وكذلك قوله (ص): «من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله» ومثل قوله (ص) في بني وليعة: «لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قم يا علي فسير إليهم» وقوله (ص) يوم خيبر: «لأبعثن إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله عليه» ففضى رسول الله (ص) بالفتح قبل التوجيه، فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله (ص)، فلما كان من الغد دعا علياً (ع) فبعثه إليهم، فاصطفاه بهذه المنقبة وسماه كراراً غير فرار محباً لله ولرسوله، وأخبر أن الله ورسوله يحبانه.

وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، وبالله العون والقوة، وعليه نتوكل في جميع أمورنا.

فإننا نبدأ من ذلك بقول الصادق (ع): لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين، وهي صحة الخلقة؛ وتخلية السرب؛ والمهلة في الوقت؛ والزاد مثل الراحلة؛ والسبب المهيح للفاعل على فعله. فهذه

خمسة أشياء جمع بها الصادق (ع) جوامع الفضل، فإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه، فأخبر الصادق (ع) بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه فشهد بذلك محكمات آياته، لأن الرسول (ص) وآله (ع) لا يعدو شيء من قوله وأقويلهم حدود القرآن. فإذا وردت حقائق الأخبار والتُمست شواهدا من التنزيل فوجد لها موافق وعليها دليل كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلا أهل العناد.

ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق (ع) من المنزلة بين المنزلتين وإنكاره الجبر والتفويض، وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا.

وخبرٌ عنه - أيضاً - موافق لهذا: أن الصادق (ع) سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال: هو أعدل من ذلك. فقليل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال: هو أعز وأقهر لهم من ذلك. ورُوي عنه أنه قال: الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أن الأمر مفوض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك. ورجل يزعم أن الله جل وعز أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك. ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون ولم يكلفهم ما لا يطيقون فإذا أحسن حمد الله وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ. فأخبر (ع) أن من تقلد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق.

وأضرب لكل باب من هذه الأبواب مثلاً يقرب المعنى للطالب ويسهل له البحث عن شرحه، تشهد به محكمات آيات الكتاب، وتحقق تصديقه عند ذوي الألباب، وبالله التوفيق والعصمة.

فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم أن الله

جل وعز أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذبه وردّ عليه قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وقوله: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْنَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ مع أي كثيرة في ذكر هذا، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله وقد ظلّمه في عقوبته له، ومن ظلّم الله فقد كذب كتابه، ومن كذب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة. ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً مملوكاً لا يملك نفسه ولا يملك عرضاً من عرض الدنيا، ويعلم مولاه ذلك منه، فأمره على علم منه بالمصير إلى السوق لحاجة يأتيه بها ولم يملكه ثمن ما يأتيه به من حاجته، وعلم المالك أن على الحاجة رقيقاً لا يطمع أحد في أخذها منه إلا بما يرضى به من الثمن، وقد وصف مالك هذا العبد نفسه بالعدل والنصفة وإظهار الحكمة ونفي الجور، وأوعد عبده إن لم يأتيه بحاجته أن يعاقبه؛ على علم منه بالرقيب الذي على حاجته أنه سيمنعه، وعلم بأن المملوك لا يملك ثمنها ولم يملكه ذلك. فلما صار العبد إلى السوق وجاء لياخذ حاجته التي بعثه المولى لها وجد عليها مانعاً يمنع منها إلا بشراء؛ وليس يملك العبد ثمنها، فانصرف إلى مولاه خائباً بغير قضاء حاجته، فاغتاظ مولاه من ذلك وعاقبه عليه. أليس يجب في عدله وحكمته أن لا يعاقبه وهو يعلم أن عبده لا يملك عرضاً من عروض الدنيا ولم يملكه ثمن حاجته، فإن عاقبه عاقبه ظالماً معتدياً عليه مبطلاً لما وصف من عدله وحكمته ونصفته، وإن لم يعاقبه كذب نفسه في وعيده إياه حين أوعدته بالكذب والظلم اللذين ينفيان العدل والحكمة. تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان إذ أوجب على من أجبره العقوبة، ومن زعم أن الله

أجبر العباد فقد أوجب على قياس قوله إن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذب الله في وعيده حيث يقول: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَظَّتْ بِهِ حَاطَّتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِنَا ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كَمَا نَصَبْتُمْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ عَرِيفًا حَكِيمًا﴾ مع أي كثيرة في هذا الفن ممن كذب وعيد الله ولزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفر، وهو ممن قال الله: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

بل نقول: إن الله جل وعز يجازي العباد على أعمالهم ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك، ونطق كتابه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا بِمِثْلِهَا وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ وقال جل ذكره: ﴿يَوْمَ نَجِدُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَنُحَذِرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وقال: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به، ومثلها في القرآن كثير.

وأما التفويض الذي أبطله الصادق (ع) وخطأ من دان به وتقلده فهو قول القائل: إن الله جل ذكره فوض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهمهم. وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهديّة من عترة الرسول (ص)، فإنهم قالوا: لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضی ما اختاروه،

واستوجبوا منه الثواب، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب، إذا كان الإهمال واقعاً.

وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فالزموه قبول اختيارهم بأرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحب، فقد لزمه الوهن. أو يكون جل وعز عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته؛ كرهوا أو أحبوا، ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبتهم، إذ عجز عن تعبدهم بإرادته، فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان. ومثل ذلك مثل رجل ملك عبداً ابتاعه ليخدمه ويعرف له فضل ولايته ويقف عند أمره ونهيه، وادعى مالك العبد أنه قاهر عزيز حكيم، فأمر عبده ونهاه ووعدته على اتباع أمره عظيم الثواب وأوعده على معصيته أليم العقاب، فخالف العبد إرادة مالكه ولم يقف عند أمره ونهيه، فأمر أمره أو أي نهى نهاه عنه لم يأت على إرادة المولى، بل كان العبد يتبع إرادة نفسه واتباع هواه، ولا يطيق المولى أن يرده إلى اتباع أمره ونهيه والوقوف على إرادته، ففوض اختيار أمره ونهيه إليه، ورضي منه بكل ما فعله على إرادة العبد لا على إرادة المالك، ثم بعثه في بعض حوائجه وسمى له الحاجة فخالف على مولاه وقصد لإرادة نفسه واتباع هواه، فلما رجع إلى مولاه نظر إلى ما أتاه به فإذا هو خلاف ما أمره به، فقال له: لِمَ أتيتني بخلاف ما أمرتك؟ فقال العبد: اتكلت على تفويضك الأمر إليّ فاتبعت هواي وإرادتي، لأن المفوض إليه غير محظور عليه، لاستحالة اجتماع التفويض والتحضير.

أوليس يجب على هذا السبب: إما أن يكون المالك للعبد قادراً يأمر عبده باتباع أمره ونهيه على إرادته لا على إرادة العبد، ويملكه من الطاقة بقدر ما يأمره به وينهاه عنه، فإذا أمره بأمر ونهاه عن نهى عرفه الثواب والعقاب عليهما، وحذره ورغبه بصفة ثوابه وعقابه، ليعرف العبد

قدرة مولاه بما ملكه من الطاقة لأمره ونهيه وترغيبه وترهيبه فيكون عدله وإنصافه شاملاً له وحجته واضحة عليه للأعدار والإنذار، فإذا اتبع العبد أمر مولاه جازاه، وإذا لم يزدجر عن نهيه عاقبه. أو يكون عاجزاً غير قادر؛ ففوض أمره إليه أحسن أم أساء؛ أطاع أم عصى، عاجزاً عن عقوبته وردّه إلى اتباع أمره، وفي إثبات العجز نفي القدرة والتأله؛ وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب؛ ومخالفة الكتاب إذ يقول: ﴿وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ وقوله عز وجل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ﴾ وقوله: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَاتَّبَعْتُمْ سَمْعُونَ﴾ .

فمن زعم أن الله تعالى فوض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر، وأبطل أمر الله ونهيه ووعدته ووعيده، لعلّه ما زعم أن الله فوضها إليه وأن المفوض إليه يعمل بمشيئته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محذور. فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيده وأمره ونهيه، وهو من أهل هذه الآية: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تعالى الله عما يدين به أهل التفويض علواً كبيراً.

لكن نقول: إن الله جل وعز خلق الخلق بقدرته، وملكهم استطاعةً تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد فقبل منهم اتباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذم من عصاه وعاقبه عليه، والله الخيرة في الأمر والنهي يختار ما يريد ويأمر به؛ وينهى عما يكره ويعاقب عليه؛

بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالأعدار والإنذار، وإليه الصفة يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً (ص) وبعثه برسالاته إلى خلقه، فقال من قال من كفر قومه حسداً واستكباراً: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ﴾ يعني بذلك أمية بن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي، فأبطل الله اختيارهم ولم يجزلهم آراءهم حيث يقول: ﴿أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾، ولذلك اختار من الأمور ما أحب ونهى عما كره، فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عاقبه، ولو فوض اختيار أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي؛ إذ كانا عندهم أفضل من محمد (ص).

فلما أدب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ لم يجزلهم الاختيار بأهوائهم، ولم يقبل منهم إلا اتباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه، فمن أطاعه رشّد، ومن عصاه ضلّ وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه ومن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه.

وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض، وبذلك أخبر أمير المؤمنين (ع) عباية بن رباعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل، فقال له أمير المؤمنين (ع): سألت عن الاستطاعة، تملكها من دون الله أو مع الله؟.

فسكت عباية. فقال له أمير المؤمنين (ع): قل يا عباية. قال: وما

أقول؟ قال (ع): إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك، وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك. قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال (ع): تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك، فإن ملكها إياك كان ذلك من عطائه، وأن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملكك، والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله. قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال (ع): لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله.

وروي عن أمير المؤمنين (ع) حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله فقال: يا أمير المؤمنين؛ بماذا عرفت ربك؟ قال (ع): بالتمييز الذي خولني والعقل الذي دلني. قال: أفضجبول أنت عليه؟ قال: لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء، فعلمت أن الله قائم باق وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحدث الزائل. قال نجدة: أجلك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين. قال: أصبحت مخيراً فإن أتيت السيئة بمكان الحسنه فأنا المعاقب عليها.

وروي عن أمير المؤمنين (ع) أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام فقال: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر؟ قال (ع): نعم يا شيخ؛ ما علوتم تلة ولا هبطتم وادياً إلا بقضاء وقدر من الله. فقال الشيخ: عند الله أحسب عنائي يا أمير المؤمنين. فقال (ع): مه يا شيخ، فإن الله قد عظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين ولا إليه مضطرين، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب

ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق، ذلك مقالة عَبْدَةَ الأوثان وأولياء الشيطان، إن الله جل وعز أمرَ تخبيراً، ونهى تحذيراً، ولم يُطع مكرهاً ولم يُعص مغلوباً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار. فقام الشيخ فقَبِلَ رأس أمير المؤمنين (ع) وأنشأ يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه رضوانا
فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها ظلماً وعصيانا

فقد دل أمير المؤمنين (ع) على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض للذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب. ونعوذ بالله من الضلالة والكفر. ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبدنا بها، على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول (ص).

ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً وملك مالاً كثيراً أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملكه من ماله بعض ما أحب ووقفه على أمور عرفها العبد. فأمره أن يصرف ذلك المال فيها ونهاه عن أسباب لم يحبها وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها - والمال يتصرف في أي الوجهين - . . . وأسكنه دار اختيار أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار، وأن له داراً غيرها وهو مخرجه إليها فيها ثواب وعقاب دائمان فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له

ذلك العقاب الدائم في دار الخلود. وقد حدّد المولى في ذلك حدّاً معروفاً وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى، فإذا بلغ الحد استبدل المولى بالمال وبالعبد، على أنه لم يزل مالكاً للمال والعبد في الأوقات كلها إلا أنه وعد أن لا يسلبه ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى أن يستتم سكنه فيها، فوفى له لأن من صفات المولى العدل والوفاء والنصفة والحكمة. أو ليس يجب إن كان ذلك العبد صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن يفي له بما وعده من الثواب وتفضل عليه بأن استعمله في دار فانية فأثابه على طاعته فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة.

وإن صرف العبد المال الذي ملّكه مولاه أيام سكنه تلك الدار الأولى في الوجه المنهي عنه وخالف أمر مولاه بذلك؛ تجب عليه العقوبة الدائمة التي حذر إياها غير ظالم له، لما تقدم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب له الوفاء بوعدته ووعيده، بذلك يوصف القادر القاهر.

أما المولى فهو الله جل وعز، وأما العبد فهو ابن آدم والمخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، وحجته إظهاره الحكمة والقدرة، وبعض المال الذي ملّكه مولاه هو الاستطاعة التي ملكها ابن آدم، والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو اتباع الأنبياء والإقرار بما أوردوه عن الله جل وعز واجتناب الأسباب التي نهى عنها من طرق إبليس. وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفانية فهي الدنيا، وأما الدار الأخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد.

وشرحها في الخمسة الأمثال التي ذكر الصادق (ع) أنها جمعت جوامع الفضل، وأنا مفسرها بشواهد من القرآن والبيان إن شاء الله.

يستطيع أن يقوم بها، وكذلك أوجب على ذي اليسار الحج والزكاة لما ملّكه من استطاعة ذلك، ولم يوجب على الفقير الزكاة والحج بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ وقوله في الظهر: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ - إلى قوله - ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾، كل ذلك دليل على أن الله تبارك وتعالى لم يكلف عباده إلا ما ملّكهم استطاعته بقوة العمل به... فهذه صحة الخلقة.

وأما قوله: (تخلية السرب) فهو الذي ليس عليه رقيب يحظر عليه ويمنعه العمل بما أمره الله به، وذلك قوله فيمن استضعف وحظر عليه العمل فلم يجد حيلة ولا يهتدي سبيلاً: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ فأخبر أن المستضعف الذي لم يُحَلَّ سربه ليس عليه من القول شيء إذا كان مطمئن القلب بالإيمان.

وأما (المهلة في الوقت) فهو العمر الذي يُمهّل الإنسان فيه من حدّ ما تجب عليه المعرفة إلى أجل الوقت، وذلك من وقت تمييزه وبلوغ الحلم إلى أن يأتيه أجله، فمن مات على طلب الحق ولم يدرك كماله فهو على خير، وذلك قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ الآية - وإن كان لم يعمل بكمال شرائعه لعله ما لم تمهله في الوقت إلى استتمام أمره. وقد حُظِر على البالغ ما لم يحظر على الطفل إذا لم يبلغ الحلم في قوله: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَفْضُلْنَ مِنْ أَنْصَبِهِنَّ﴾ - الآية، فلم يجعل عليهن حرجاً في إبداء الزينة للطفل، وكذلك من لا تجري عليه الأحكام.

وأما قوله: (الزاد) فمعناه الجدة والبلغة التي يستعين بها العبد على

ما أمره الله به، وذلك قوله: ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾ - الآية، ألا ترى أنه قبل عذر من لم يجد ما ينفق، وألزم الحجة كل من أمكنته البلغة والراحلة للحج والجهاد وأشياء ذلك، وكذلك قبل عذر الفقراء وأوجب لهم حقاً في مال الأغنياء بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ - الآية، فأمر بإعفائهم ولم يكلفهم الإعداد لما لا يستطيعون ولا يملكون.

وأما قوله: (في السبب المهيج) فهو النية التي هي داعية الإنسان إلى جميع الأفعال وحاستها القلب، فمن فعل فعلاً وكان لم يعقد قلبه على ذلك لم يقبل الله منه عملاً إلا بصدق النية، ولذلك أخبر عن المنافقين بقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾، ثم أنزل على نبيه (ص) توبيخاً للمؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ - الآية، فإذا قال الرجل قولاً واعتقد في قوله دعتة النية إلى تصديق القول بإظهار الفعل، وإذا لم يعتقد القول لم تتبين حقيقته، وقد أجاز الله صدق النية وإن كان الفعل غير موافق لها لعله مانع يمنع في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وقوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّفْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، فدل القرآن وأخبار الرسول (ص) أن القلب مالك لجميع الحواس يصحح أفعالها، ولا يبطل ما يصحح القلب شيء.

فهذا شرح جميع الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق (ع) أنها تجمع المنزلة بين المنزلتين وهما الجبر والتفويض. فإذا اجتمع في الإنسان كمال هذه الخمسة الأمثال وجب عليه العمل كمالاً كما أمر الله عز وجل به ورسوله، وإذا نقص العبد منها خلة كان العمل عنها مطروحاً بحسب ذلك.

فأما شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُواْ أَخْبَارَكُمْ﴾ وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَآمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وقال في الفتن التي معناها الاختبار: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ - الآية، وقال في قصة موسى: ﴿فَإِنَّا قَدِ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ وقول موسى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض ويشهد بعضها لبعض.

وأما آيات البلوى بمعنى الاختبار فقوله: (ليبلوكم فيما آتاكم) وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَّفْنَاكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ وقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وقوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ وقوله: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بَعْضًا﴾. وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار، وأمثالها في القرآن كثيرة في إثبات الاختبار والبلوى.

إن الله جل وعز لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدى، ولا أظهر حكمته لعباً، وبذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾. فإن قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم؟ قلنا: بلى؛ قد علم ما يكون منهم قبل كونه، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا هُوَ عَنْهُمْ﴾، وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله، ولا يعذبهم إلا بحجة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ وقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وقوله: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾، فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض، وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول (ص).

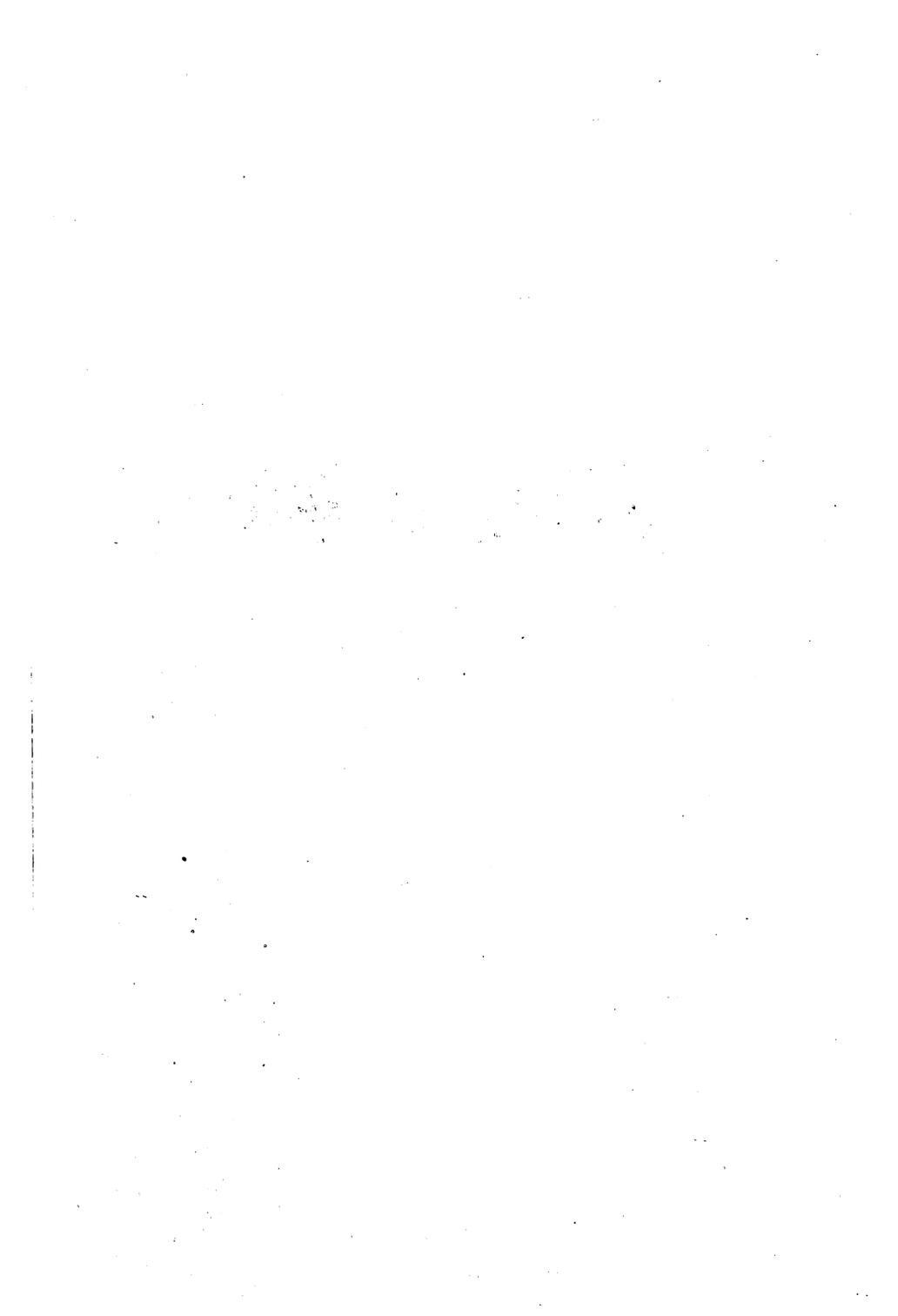
فإن قالوا: ما الحجة في قول الله: ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات كلها على معنيين: أما أحدهما فإخبار عن قدرته، أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا. والمعنى الآخر: إن الهداية منه تعريفه؛ كقوله: ﴿وَأَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ﴾ أي عرفناهم ﴿فَأَسْتَجَبُوا أَعْمَى عَلَى الْهُدَى﴾، فلو أجبرهم على الهدى لم يقدرُوا أن يضلوا.

وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها، وذلك قوله: ﴿مِنهُ ءَايَاتٌ تُحْكَمُ هُنَّ أُمُّ الْكَيْبِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ - الآية، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي أحكمه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَنَاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

وقفنا الله وإياكم إلى القول والعمل لما يحب ويرضى، وجنبنا وإياكم معاصيه بمنه وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١).

(١) تحف العقول: ٣٤١ - ٣٥٦، وقد نقلنا النص كما جاء فيه، ووردت فقرات مطولة منه لعلها تقارب نصفه في الاحتجاج: ٤٨٧/٢ - ٤٩٦.

الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ستعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرض موجز لسيرة الإمام الحادي عشر من أئمة الهدى المطهرين، معدن العلم ونبراس الحق ومنار الشريعة ومهوى أفئدة المؤمنين، الحسن (العسكري) بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (ع).

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الإمام (بين ولادته وإمامته)، متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية، ومنها الولادة والنشأة، والكنية واللقب، والزوج والولد، مع إشارات سريعة عابرة إلى بعض ما عانى هذا الفتى اليافع منذ نعومة أظفاره وغضارة عمره من آلام وهموم وصدمات، وما تفاقم منها شدة وصعوبة حينما فُرِضَت الإقامة الجبرية على أبيه وأفراد عائلته في سرٍّ من رأى، تلك الإقامة التي امتدت أيامها إلى حين وفاة أبيه المفاجئة وما قيل فيها من دسّ السم له بأمر الخليفة وتعمد قتله.

وعقدتُ الفصل الثاني منها على تاريخ الإمام (بين إمامته وشهادته) شارحاً فيه الأدلة على إمامته في ضوء كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص)، وكما أرشدتُ إليه النصوص النبوية الصحيحة المتفق على ألفاظ بعضها وعلى مضامين البعض الآخر منها عند جميع المسلمين، بما تكشف عنه من صراحة في التعيين لكل من يلتزم بذلك ولا يقرُّ إمامةً بدونه. كما عرضتُ أيضاً ما تسالمت عليه الأقوال وتواترت الشهادات

من كفاية الإمام العسكري للإمامة وأهليته لذلك باجتماع الصفات المجمع على وجوب إحرازها في شخص المرشح لهذا المقام الديني الخطير، ليضمن قلبٌ مَنْ يشترط ذلك في صحة الإمامة.

ثم أوردتُ في ذلك الفصل - بما يقتضيه البحث من شيء من التوسُّع والتفصيل - ما ذكر المؤرخون من انعكاس أحداث زمانه عليه، وما عانى من حكام تلك السنين - على قصر أيامها وقلة عددها - من مضايقات وشدائد وسجون، وما قاسى خلالها من ضروب الأذى والإرهاب، وما ختم به الظالمون رحلتهم معه بما رُوي من دسِّ السم إليه للتخلص منه، فكان في ذلك خلاصُه من آلام الدنيا وأتعاب الحياة، وانتقاله إلى حيث مستقر النبیین والصديقين في مقعدٍ صدقٍ عند مليك مقتدر.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الإمامة) الذي وُفِّقَت الأمة إلى تلقيه عن الإمام العسكري (ع)، فاستعرضتُ فيه بادية بدءٍ ما هو مدوّن وثابت في كتب التاريخ ومراجعته المعروفة فيما يتعلق بمصادر فقه الإمام وعلمه، وارتباط ذلك بكتاب الله تعالى وسنة رسوله المصطفى الخاتم (ص). ثم ذكرتُ ظروف الإمام العسكري (ع) البالغة الشدة، وما لاقى فيها من تعدد السجون، وما أدى إليه ذلك من قلة اتصال الناس به وحرمانهم من مشافهته، واعتمادهم في كثير من الأوقات على مكاتبتة للحصول منه على الأجوبة والردود الشافية على ما هو محل ابتلائهم وموضع حاجتهم من مسائل دينهم وأحكام شرعهم. ثم أوردتُ في هذا السياق شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الخالد، كبعض ما رُوي عنه في تفسير القرآن الكريم وتوضيح معانيه ومغازيه، منبّهاً على عدم صحة انتساب الكتاب المسمى (تفسير العسكري) إليه، ومشيراً إلى بعض ما أسند إليه وحكي عنه في مسائل الفقه ومطالب الشرع، وفي سائر الجوانب الفكرية الأخرى المرتبطة بتعاليم الدين وتهذيب النفس وآداب السلوك

ومكارم الأخلاق ووسائل تدعيم التماسك الاجتماعي والأخوة الإنسانية. ولما كانت الوسيلة الوحيدة التي انحصرت بها طريق الاطلاع على ذلك التراث القيم الزاهر - فيما أوردنا من شواهد وما لم نورد - هم أولئك الرواة الأكارم الذين شافهوا الإمام فتناقلوا ما سمعوا منه، أو كاتبوه، فتداولوا ما أجابهم به، ثم حدثوا بجميع ذلك الأجيال التالية لهم من بعدهم، كان التعرف بهم حتى بمجرد سرد الأسماء تنمة ضرورية لا يصح إغفالها في هذا البحث، إن لم نقل بأنها جزء لا يتجزأ منه لمن أراد استيعاب أطراف الموضوع واستيفاء جوانبه كافة. وقد التزمت - لزيادة التعرف بأقدار هؤلاء الرواة - بذكر أسماء مؤلفات من كان منهم مُصنِّفاً وصاحب كتاب، عسى أن يكون في هذا الذكر بعض التقدير والامتنان لهؤلاء الرواد المتقدمين، وبعض التعبير عن الاعتزاز بجهدهم المشكور في الحفاظ على ذلك التراث وحماية نصوصه من الضياع والنسيان، وعن الاحترام والإكبار لمشاركتهم الفاعلة في عملية البحث والتدوين في المائة الثالثة من الهجرة.



وفي الختام - كما في البدء - أكرّر حمد الله تعالى على كريم آلائه وجميل نعمائه، وأبتهل إليه عز وجل أن يسدّد الخطأ على الطريق، ويمد بمزيد من التوفيق، إنه خير مسدّد وموفق ومعين.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

العراق/ بغداد - الكاظمية

الإمام الحسين بن علي العسكري بَيْنَ وِلَادَتِهِ وَإِمَامَتِهِ

ولد الإمام العسكري في رحاب المدينة المنورة فعمت بشرى ولادته بيوت آل محمد، ثم دَوَّت في الأرجاء لتغمر الفرحة قلوب جميع المحبين.

ونشأ هذا الوليد الطاهر نشأته المباركة ليكون - كما أراد الله تعالى - الكوكب الحادي عشر من كواكب سماء العترة النبوية، والفريسة اليانعة من غرائس أهل البيت الثابتة الأصول في أرض الوحي والممتدة الفروع في آفاق سماء المجد والخلود.

وعاصر هذا الفتى منذ نعومة أظفاره هموم أهله وشدائد عصره، وخصوصاً أيام تسلط (المتوكل) المعروف بشدة بغضه لعلي وأولاده (ع)، وما وقع في عهد ذلك الحاكم الظالم من جلب الإمام الهادي (ع) وعائلته إلى سر من رأى وفرض الإقامة الجبرية عليه هناك حتى وفاته المفاجئة وما قيل فيها من اتهام الخليفة بدس السم له وتعمد قتله.



في يوم متلألئ الآفاق بالسنا والجمال ومضَمَّخ الأجواء بالطيب والأريج - وربما كان يوم الجمعة^(١) أو السبت^(٢) أو الإثنين^(٣) أو الخميس^(٤) -، من أيام شهر ربيع الأول^(٥) أو ربيع الآخر^(٦) أو رمضان^(٧)، لسنة ثلاثين ومائتين^(٨) أو إحدى وثلاثين^(٩) أو اثنين وثلاثين^(١٠)،

(١) المناقب: ٤٥٧/٢ وإعلام الوري: ١٣١/٢ وكشف الغمة: ٢٢٦/٣ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٢٣٧ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٢) عمدة الزائر: ٣٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٢٣٨ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠.

(٤) وفيات الأعيان: ١/٣٧٢ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣.

(٥) وفيات الأعيان: ١/٣٧٢ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣ وبحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٦) الكافي: ١/٥٠٣ والإرشاد: ٣٦٠ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٤٥٧/٢ وإعلام الوري: ١٣١/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ ووفيات الأعيان: ١/٣٧٢ وكشف الغمة: ١٩٩/٣ و٢٢٢ و٢٢٦ والفصول المهمة: ٢٦٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣ وبحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠ و٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٨ و٣٦٧/٩٨ ونور الأبصار: ١٥٣ وعمدة الزائر: ٣٢٧. ومع اختلافها في تعيين يوم الولادة في رابعه أو سادسه أو ثامنه أو عاشره.

(٧) الكافي: ١/٥٠٣.

(٨) تاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ وبحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٩) إثبات الوصية: ٢٠٥ وتاريخ بغداد: ٧/٣٦٦ والمتنظم: ٥/٢٢ ومطالب السؤل:

٧٨/٢ واللباب: ٢/١٣٧ ووفيات الأعيان: ١/٣٧٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٦

وكشف الغمة: ٣/١٩٧ و٢١١ والنجوم الزاهرة: ٣/٣٢ وبحار الأنوار: ٥٠/٢٣٦

وبناييع المودة: ٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(١٠) الكافي: ١/٥٠٣ والإرشاد: ٣٦٠ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٢/

٤٥٧ وإعلام الوري: ١٣١/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ وكامل ابن الأثير: ٥/

٣٧٣ ووفيات الأعيان: ١/٣٧٢ وكشف الغمة: ٣/١٩٨ و١٩٩ و٢٢٢ و٢٢٦

وتاريخ أبي الفدا: ٢/٤٩ والفصول المهمة: ٢٦٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣

والصواعق المحرقة: ١٢٤ وبحار الأنوار: ٥٠/٢٣٦ و٢٣٧ و٢٣٨ و٣٦٧/٩٨ =

وعلى صعيد مدينة الرسول الطيبة الطاهرة^(١)، وُلِدَ الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا (ع) فرع شجرة النبوة وغصن دوحه الرسالة.

ولعل يوم (الجمعة) بين الأيام المذكورة و(شهر ربيع الآخر) بين الشهور المسطورة هو الأرجح في تلك التواريخ، لكثرة رواتهما ونقلتهما خبرهما في مؤلفات السلف، كما أن سنة ٢٣٢ هـ هي الأرجح أيضاً بين السنين المتقدمة لشهرتها وشيوع ذكرها في المصادر المعنوية، مضافاً إلى تأييدها بل تأكيدها بما نصَّ عليه عدد من المصنفين من كونه (ع) يوم وفاته ابن ثمان وعشرين سنة^(٢).

وأياً ما كان تاريخ الولادة على وجه القطع واليقين، فقد كانت إطلالة هذا الشبل الكريم مدعاة لموجة من الفرح والسرور عمّت بيوت العلويين والطلبين وشملت جميع من كان يمت إليهم من أصحابهم وخاصتهم المؤمنين، وقام الإمام الهادي (ع) بتنفيذ مراسيم السنة النبوية في استقبال هذا الوليد المبارك، بما تداوله أهل البيت مأثوراً عن جدهم الأعظم من مستحبات شؤون الولادة وشعائرها الشرعية المندوبة.

ولقد كان من الطبيعي جداً أن يُستقبل هذا القادم المطهر ابن

= وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٥٣ وينايع المودة: ٣٦٦ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(١) ورد النص على ولادته في المدينة المنورة في إثبات الوصية: ٢٠٥ والإرشاد: ٣٦٠ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناقب: ٤٥٧/٢ وإعلام الوري: ١٣١/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ ومعجم البلدان: ١٧٥/٦ وكشف الغمة: ١٩٩/٣ و٢٢٦ والفصول المهمة: ٢٦٦ وبحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠ و٢٣٦ و٢٣٧ ونور الأبصار: ١٥٣ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٧.

(٢) الكافي: ٥٠٣/١ والإرشاد: ٣٦٠ و٣٧١ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ وإعلام الوري: ١٣١/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ والفصول المهمة: ٢٧١ والصواعق المحرقة: ١٢٤ وينايع المودة: ٣٦٦.

المطهرين بمثل تلك الحفاوة الكبيرة والبهجة الغامرة، لعلم آل محمد بكونه الكوكب الحادي عشر من كواكب سماء العترة المحمدية، والحلقة الجديدة الموصولة من حلقات تلك السلسلة الذهبية، واللينة الصلبة الداخلة في قوام كيان الإمامة الدينية، والغريسة الزهراء الناضرة من غرائس روضة النبوة الثابتة الأصول في أرض الوحي والممتدة الفروع في قمم المجد والخلود. فأبي وليد من مواليد الناس ينافسه في ذلك كله؟ وأية فرحة - من ثمّ - من أفراح الدنيا ترقى إلى مستوى الابتهاج بهذه المناسبة الغراء؟



واختار الإمام الهادي (ع) لابنه الحبيب اسمَ (الحسن) دون ما سواه من الأسماء، ليكون الحسن الثاني في تلك العترة المصطفاة المنتقاة، كما اختار (أبا محمد)^(١) كنيةً له من بين الكنى كما كانت كنية الحسن الزكي الأول.

أما ألقابه فكثيرة فيما ذكر المؤرخون، ومنها (الخالص)^(٢) و(الصامت، والهادي، والرفيق، والزكي، والسراج المضيء، والشافي، والمرضي)^(٣)، ثم كان أبرز ما عُرف به من الألقاب بعد انتقاله بصحبة أبيه إلى سرّ من رأى هو (العسكري)^(٤) نسبة إلى محل سكنه هناك الذي

(١) جميع المصادر التي ترجمت له.

(٢) مطالب السؤول: ٧٨/٢ وكشف الغمة: ١٩٦/٣ و١٩٧ والصواعق المحرقة: ١٢٤ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ ونور الأبصار: ١٥٣.

(٣) المناقب: ٤٥٧/٢. ووردت - كلاً أو بعضاً - في إعلام الوري: ١٣١/٢ وكشف الغمة: ٢٢٦/٣ والفصول المهمة: ٢٦٦ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٢٣٨ ونور الأبصار: ١٥٣.

(٤) تاريخ بغداد: ٣٦٦/٧ والمنتظم: ٢٢/٥ وكفاية الطالب: ٣١٢ ومعجم البلدان: =

كان يسمى (العسكري)، وقد صار هذا اللقب هو الأشهر بين ألقابه على ألسن الناس حتى اليوم الحاضر، كما أنه الأشهر أيضاً في كتب التراجم والتواريخ على مر العصور.

وأما أمه فهي أمٌ وليد سماها بعض المؤرخين (سليل)^(١)، وسماها بعضهم (حديث) أو (حديثه)^(٢)، وقيل: اسمها (سوسن)^(٣)، وعرفتها بعض الروايات بأنها (كانت من العارفات الصالحات)^(٤).

وأما ملامحه وسماته البدنية فقد تحدث عنها أحد معاصريه وهو أحمد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان فقال: (كان رجلاً أسمر اللون، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلاله وهيئة حسنة)^(٥)، وروى بعضهم أن «صفته بين السمرة والبياض»^(٦). وجاء في

= ١٧٥/٦ وكامل ابن الأثير: ٣٧٣/٥ واللباب: ١٣٧/٢ ووفيات الأعيان: ٣٧٢/١ وكشف الغمة: ١٩٨/٣ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢ و٤٩ والنجوم الزاهرة: ٣٢/٣ ومرآة الجنان: ١٧٢/٢.

(١) إثبات الوصية: ٢٠٥ وبحار الأنوار: ٢٣٨/٥٠ وقال صاحب البحار: (والصحيح سليل، وهو الذي رواه أصحاب الحديث).

(٢) الكافي: ٥٠٣/١ والإرشاد: ٣٦٠ وتهذيب الطوسي: ٩٢/٦ والمناب: ٤٥٧/٢ وإعلام الوري: ١٣١/٢ وكشف الغمة: ١٩٩/٣ و٢٢٦ والفصول المهمة: ٢٦٦ وبحار الأنوار: ٢٣٥/٥٠ و٢٣٦ و٢٣٨ وجواهر الكلام: ٩٩/٢ ونور الأبصار: ١٥٣ وعمدة الزائر: ٣٢٨.

(٣) الكافي: ٥٠٣/١ ومطالب السؤل: ٧٨/٢ وكشف الغمة: ١٩٧/٣ وتذكرة الخواص: ٣٧٦ والفصول المهمة: ٢٦٦ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٢٣٧.

(٤) بحار الأنوار: ٢٣٨/٥٠.

(٥) الكافي: ٥٠٣/١ والإرشاد: ٣٦٣ والخرائج والجرائح: ٩٠١/٢ وكشف الغمة: ٢٠٢/٣.

(٦) الفصول المهمة: ٢٦٧ وبحار الأنوار: ٢٣٨/٥٠ ونور الأبصار: ١٥٣.

أحد المصادر: أنه كان «شديد اللون والأدمة»^(١) وربما ورث الإمام ذلك اللون من أمه السالفة الذكر.

وعندما بلغ أوج الفتوة والشباب، وحن وقت الزواج والاقتران، اختار لنفسه إحدى الجوارى شريكة لحياته، وهي المعروفة باسم (نرجس) عند بعض المؤرخين^(٢)، وقيل: أن اسمها (صقيل) وقيل: (خمت) وقيل: (حكيمه) وقيل: (سوسن) وقيل: (ريحانة)^(٣)، وشذت رواية تنص على أنها علوية تدعى (مريم بنت زيد)^(٤).

وقد أنجبت هذه السيدة الكريمة ابنها الوحيد محمداً المهدي^(٥)

(١) المناقب: ٤٦٦/٢.

(٢) الإرشاد: ٣٧٢ والفصل: ١٨١/٤ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ و٢٧٥ وسير أعلام النبلاء: ١٢١/١٣ وعمدة الطالب: ١٨٨ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٢٤/٥١ و٢٨ و٣٦٠ ومجمع الرجال: ١٨٩/٧ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢٠ ونور الأبصار: ١٥٤ وينابيع المودة: ٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٣٤ وعقيدة الشيعة: ٢٢٧.

(٣) يراجع في هذه الأسماء: جمهرة أنساب العرب: ٦١ والفصل: ١٨/٤ ومطالب السؤل: ٨٠/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ وكشف الغمة: ٢٣٤/٣ و٢٧٥ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ وسير أعلام النبلاء: ١٢١/١٣ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٢٤/٥١ و٢٨ و٣٦٠ ومجمع الرجال: ١٨٩/٧ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢٠ ونور الأبصار: ١٥٤ وعمدة الزائر: ٣٣٤.

(٤) بحار الأنوار: ٢٨/٥١ ومجمع الرجال: ١٨٩/٧ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٣٤.

(٥) نصّ على ذلك لفيق من المؤرخين والمحدثين في كتبهم ومصنفاتهم، ومنها الإرشاد: ٣٧١ ومروج الذهب: ١٣٨/٤ والمناقب: ٤٥٧/٢ ومطالب السؤل: ٧٨/٢ ومعجم البلدان: ١٧٥/٦ ووفيات الأعيان: ٣٧٢/١ وكامل ابن الأثير: ٣٧٣/٥ وكشف الغمة: ١٩٧/٣ والعبر: ٣٧٣/١ وتاريخ أبي الفدا: ٤٩/٢ والفصول المهمة: ٢٧٢ والصواعق المحرقة: ١٢٤ وشذرات الذهب: ١٤١/٢ وينابيع المودة: ٣٦٦ و٣٨٦ ونور الأبصار: ١٥٤. ويأتي مزيد من الحديث عن ذلك في كتابنا الآتي المعني بالإمام الثاني عشر (ع).

«المنتظر لدولة الحق، وكان قد أُخْفِيَ مولدُه وسُتِرَ أمرُه لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطان له واجتهاده في البحث عن أمره، فلم يره إلا الخواص من شيعته»^(١).



وعاصر هذا الفتى منذ نعومة أظفاره هموم أهله وآلام عصره، فقد فتح عينيه على الدنيا وهو يرى العالم الإسلامي محكوماً لخليفةٍ غليظ القلب شديد القسوة عنيف البغض لعلي بن أبي طالب (ع) وأهل بيته، حتى بلغت الحال به - كما روى ابن الأثير - أن يقصد «مَنْ يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم»^(٢)، وهو الذي أمر «بهدم قبر الحسين بن علي (ع) وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذَر ويُسقى موضع قبره»^(٣)، وإلى آخر ما نُقِلَ من أعماله النكراء تجاه عتره المصطفى وأبنائه الطاهرين، كما شرحناه في كتابنا السابق: الإمام علي بن محمد الهادي (ع).

وانعكس حقد المتوكل وبغضه لعلي وبنيه (ع) على مَنْ يدور بفلكه من الولاة وحكام الأقاليم ومنهم مسؤول المدينة المنورة عبد الله بن محمد بن داوود الهاشمي، فأخذ يسعى بالإمام علي بن محمد عند الخليفة ويحرّض على إيذائه ويلفق الاتهامات له، ثم تطورت هذه الوشائيات وما ترتّب عليها من آثار إلى دعوة مقدّمة من الخليفة للإمام الهادي (ع) لزيارة سر من رأى بزعم الرغبة في لقائه، وتم تنفيذ ذلك من

(١) الإرشاد: ٣٧١ وإعلام الوري: ١٥١/٢ وكشف الغمة: ٢١١/٣ والفصول المهمة: ٢٧٢.

(٢) كامل ابن الأثير: ٢٨٧/٥.

(٣) تاريخ الطبري: ١٨٥/٩ ومروج الذهب: ٨٢/٤ وكامل ابن الأثير: ٢٨٧/٥.

قبل السلطان على وجه السرعة، فرحل الإمام وعياله إلى مقر الخلافة ففرضت الإقامة الجبرية عليهم هناك، ثم استدامت هذه الإقامة المفروضة حتى توفي الإمام الهادي تلك الوفاة الغامضة التي لم تكن مسبقة بمرض أو علّة معروفة، مما جعل أصابع الاتهام تتجه إلى الخليفة بأمره بدس السم إليه كما بيّناه في كتابنا المتقدم المشار إليه.

وهكذا يتجلى قدر المعاناة التي قاسى شداؤها هذا الغلام منذ بداية عهده بهذه الدنيا حتى يوم وفاة أبيه، ثم ما جابه من الصعاب إثر قيامه بأعباء الإمامة وما تتطلبه من مسؤولية شؤون الفتوى والإرشاد والتوجيه، وواجبات تعليم الطلاب الباحثين عن لباب المعرفة وحقائق الإسلام، مضافاً إلى سائر ما يقتضيه ذلك المركز الخطير من سعي دائم وجهد مبذول لتلبية رغبات السائلين والمستفهمين ومطالب ذوي المشاكل والحاجات الملتهجين إليه من شتى الأطراف والبلدان والأقاليم.



الإمام الحسن بن علي العسكري بَيْتُ إِمَامَتِهِ وَشَهَادَتِهِ

«لم تجد أنظار المؤمنين من تتطلع إليه إثر وفاة الإمام الهادي (ع) سوى ابنه الإمام الحسن العسكري (ع) خليفة لأبائه في الإمامة الدينية والولاية الشرعية، عملاً بتوجيهات النصوص النبوية العامة وصريح الاستخلاف الخاص واجتماع الصفات المقررة فقهاً في هذا المؤهل الذي لم يشاركه غيره من معاصريه في صفات الكفاية والتأهيل».

«وعجت تلك السنوات القصار منذ إمامته حتى شهادته في سنة ٢٦٠هـ بتنقلاته المتعددة بين السجون ومراكز الحجز التي كان يشرف عليها جلاوزة السلطان، على الرغم مما كان يحمله هؤلاء الطغاة في قرارة نفوسهم من تقديس لهذا الرجل ومعرفة بمقامه المتميز السامي».

«وقد أثارت وفاة الإمام المفاجئة - ولم يكن بين إعلان مرضه الطارئ ووفاته سوى أيام - هواجس الشك والريبة في أسباب الوفاة، فاتهم الخليفة بدس السم إليه. وعند الله سيلتقي الظالم والمظلوم، والعاقبة للمتقين».

في سنة ٢٥٤هـ وقد خلت الساحة الإسلامية من الإمام الشرعي الجامع للشرائط بوفاة علي بن محمد الهادي (ع)، توجهت أنظار المؤمنين أينما كانوا نحو ابنه الحسن بن علي العسكري (ع)، معتقدين بأنه الإمام بعد أبيه، وقاطعين بأنه المؤهل الوحيد بين بني عصره لتبوء هذا المقام الديني الخطير.

وكان في مقدمة ما لفت الأنظار إلى هذا الشاب وحمل على الإيمان بإمامته ما سمعه أصحاب أهل البيت وخاصتهم، مكرراً من لسان الإمام الهادي نفسه، من النص على ابنه وكونه الإمام من بعده، وكانوا من الكثرة والتعدد والوثاقة بالمستوى الذي لا يرقى إليه الشك وبالدرجة التي لا تدع مجالاً للتردد^(١)، وكان من أواخر تلك النصوص ما حدث به يحيى بن يسار القنبري قال: «أوصى أبو الحسن إلى ابنه الحسن (ع) قبل مضيه بأربعة أشهر، وأشار إليه بالأمر من بعده، وأشهدني على ذلك وجماعة»^(٢).

ولخص الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان مؤهلات الإمام العسكري للإمامة الشرعية بعد أبيه والأدلة على ذلك في ثلاثة:

- ١ - اجتماع خلال الفضل فيه.
- ٢ - تقدّمه على كافة أهل عصره فيما يوجب له الإمامة ويقتضي له الرياسة، من العلم والزهد وكمال العقل والعصمة والشجاعة والكرم وكثرة الأعمال المقرّبة إلى الله جل اسمه.

(١) يراجع في هذه النصوص وأسماء روايتها وسامعيها من فم الإمام الهادي (ع): الكافي: ٣٢٦/١ - ٣٢٨ وإثبات الوصية: ٢٠٥ - ٢٠٧ والإرشاد: ٣٦٠ - ٣٦٣ والمناب: ٤٥٨/٢ وإعلام الوري: ١٣٣/٢ - ١٣٦ وكشف الغمة: ١٩٩/٣ - ٢٠٢ والفضول المهمة: ٢٦٦ وبحار الأنوار: ٢٣٩/٥٠ - ٢٤٦.

(٢) الكافي: ٣٢٥/١ وبحار الأنوار: ٢٤٦/٥٠.

٣ - نصُّ أبيه عليه وإشارته بالخلافة إليه^(١).

وأضاف ابن شهرآشوب السروي إلى ما تقدّم من الدلائل: ما استدللّ به المعنيون من علماء الكلام على إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد النبي (ص) بلا فصل، ويعني بذلك ما فرغ منه المحققون والباحثون المدققون من أن الإمامة في الإسلام ليست بالشورى والانتخاب، وإنما هي بالنص النبوي المرتبط بالتوجيه الإلهي المنزل على مبلغ الوحي رسول الله (ص)، حيث تكون النتيجة المستنبطة من ذلك الاستدلال في مقامنا هذا: «أن كل مَنْ قَطَعَ على ذلك قطع على أن الإمام بعد علي بن محمد التقيّ: الحسن العسكري»^(٢).

وكما سبق ممّا القول في بعض بحوثنا المعنية بهذا الموضوع، فإن نصّ الإمام السابق علّ اللاحق الذي يليه في هذا المركز الشرعي البالغ الشأن، لا يعني أنه تعيين شخصي منه بإشائه الذاتية، واختيار مدفوع إليه برغبته الفردية، على الرغم من إيماننا المطلق بنزاهة جميع أفعال الأئمة وأقوالهم واختياراتهم من إملاءات الميل العاطفي المنعزل عن أحكام الدين وسنن الشرع المقررة الثابتة^(٣).

ومن هذا المنطلق، وفي ضوء ما تقدم بيانه مما لا ينبغي تكراره وإعادة شرحه، تكون الإمامة التي آمنّا بها - باعتبارها نيابة عن الرسول (ص) وولاية للإمام وإمارة للمؤمنين - جزءاً لا يتجزأ من مجمل مجموع التكاليف الدينية التي أمرنا الله تعالى بوجوب اتّباع النبي فيها حرفياً في قوله عز وجل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

(١) الإرشاد: ٣٦٠.

(٢) المناقب: ٤٥٧/٢.

(٣) كتابنا السالف في هذا المجلد (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)): ٣٨١ - ٣٨٤.

فَأَنْهَوْا^١»، وقد نصّ النبي (ص) بإجماع المسلمين - وهو يحدد الإطار العام لموضوع الإمامة من بعده - على أن الأئمة من قریش، وعلى أن عددهم اثنا عشر، وأنهم لا يضرهم عداوة من عاداهم، كما نصّ في إطار أخص على أن هؤلاء الأئمة الاثني عشر من لباب عترته تحديداً ومن صميم أهل بيته خاصة، حيث لا يشاركونهم في ذلك غيرهم من سائر الناس، بل سمّى هؤلاء الاثني عشر - في رواية بعض الحفاظ - واحداً بعد واحد، كما هو مبين ومشروح في مظانه، وبإمكان الراغب بالوقوف على التفاصيل والأسانيد مراجعة تلك الكتب والمظان للاطلاع على كل ذلك^(١).



ومع قناعتنا التامة وبقيننا المطلق بصراحة تلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة وجلاء دلالتها على ارتباط الإمامة - فكراً وامتداداً - والأئمة - عدداً وأشخاصاً - بالنبوة وتوجيهاتها السماوية العليا، ومع اعتقادنا الكامل بأن نص الإمام الهادي على ولده الحسن بالإمامة من بعده لم يكن إلا تنفيذاً عملياً لتلك الضوابط والأوامر الرسالية المستمدة من الوحي. فربما يحصل بين القراء من لا يكفي ما سلف بيانه ولا يقنعه ما تقدّم عرضه، وإنما يريد المزيد من الشرح والإيضاح ليطمئن قلبه كل الاطمئنان وتزول عن نفسه رواسب الحيرة والتردد التي قد تكون موروثه من إحياءات بيته أو مستمدة من مسلمات بيئته.

ولمثل هذا المتردد المشكك في صراحة النص نقول باختصار وإيجاز: إن التاريخ مجمع على عدم وجود من تصدّى لادعاء الإمامة

(١) كتابنا (الإمامة) - المجلد الأول من هذه الموسوعة - وكتبنا الأخرى المعنية بسير الأئمة العشرة المتقدمين في المجلدين الثالث والرابع.

وولاية الأمر في عصر إمامة الحسن العسكري (ع) غير أولئك الحكام العباسيين الذين وصفوا أنفسهم بأمرء المؤمنين وأئمة المسلمين وخلفاء رسول رب العالمين، بحكم وراثتهم لتلك المراكز والألقاب من أسلافهم الأولين، ومن دون أي ذكر أو بيان لما يؤهلهم - صدقاً أو كذباً - لهذه المراتب السامية، من شورى مدّعاة، أو انتخاب مزعوم، أو توجيه نبوي يصحح، أو قرينة شرعية ترجّح، أو علم وورع وخلق يبعث على تخيّل الأهلية والاستحقاق.

ومن هنا يكون من المستحسن أن نترث قليلاً أمام أسماء أولئك المدعين للولاية الشرعية والقيادة الدينية في عصر إمامة الإمام العسكري (ع)، لنقف على ما قال مؤرخوهم في مجمل صفاتهم وأحوالهم علماً ودينياً وأمانة وورعاً:

١ - المعتز:

ولي مقاليد الحكم في سنة (٢٥١هـ) وقيل في المحرم من سنة ٢٥٢هـ، وهو أول خليفة «أظهر الركوب بحلية الذهب» فقلّده الناس في التحلي به. ثم إن الأتراك ثاروا به وطلبوا منه مالاً، فاعتذر إليهم وقال: ليس في الخزان شيء، فخلوعه، ثم قتلوه أو مات بعد خلعه بأيام في سنة ٢٥٥هـ^(١).

٢ - المهدي:

تولى السلطة لليلة بقيت من شهر رجب سنة ٢٥٥هـ، وحاول إزالة

(١) يراجع في ذلك: تاريخ الطبري: ٣٨٩/٩ ومروج الذهب: ١٠٦/٤ و١١٠

والفخري: ٢١٤ - ٢١٥ وتاريخ الخلفاء: ٢٣٩ - ٢٤٠.

مفاسد أسلافه فأمر بإخراج القيان والمغنين والمغنيات من سر من رأى ونفيهم إلى بغداد!!، كما أمر بقتل السباع التي كانت في دار السلطان وطرّد الكلاب. ويقول مؤرخوه: إنه كانت في أخلاقه شراسة وغلظة، ولشراسته تلك قام بقتل بعض مواليه، فشغب عليه الأتراك وهاجوا، وأخذوه أسيراً فطلبوا منه أن يخلع نفسه فأبى، فلم يكن منهم إلا خلعه، ثم مات في سنة ٢٥٦هـ^(١).

٣ - المعتمد:

جلس على العرش في يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة بقيت من رجب، سنة ٢٥٦هـ. وانهمك هذا الرجل في ملذاته وشهوته، وشُغِف بالطرب ومعاقرة الخمرة ومجالس اللهو، وشُغِل بذلك عن الرعية وشؤونها وهمومها، فكرهه الناس^(٢).

وفي أيامه توفي الإمام العسكري (ع) وفاة غامضة لم يسلم الخليفة من الاتهام بها كما يأتي بيانه، ويقول الباحث المعاصر أحمد عبد الباقي: «إن أيام المعتمد على الله كانت شديدة على العلويين، وقد مات عدد منهم في سجن سامرا في أيامه»^(٣).

وكان المعتمد المذكور آخر الثلاثة الذين ادعوا رياسة الدين وخلافة النبوة خلال أيام إمامة الحسن العسكري (ع)، فهل يرى الواعي البصير فيهم مَنْ يُرتَضَى دينه وورعه، أو يُطمأن إلى علمه وعدله، ليتوهم

(١) تاريخ الطبري: ٣٩١/٩ و٤٠٦ و مروج الذهب: ١٢٤/٤ و١٢٦ والفخري: ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) تاريخ الطبري: ٤٧٤/٩ و مروج الذهب: ١٣٨/٤ و١٤٩ و١٥٧ والفخري: ٢٢٠ - ٢٢١ و تاريخ الخلفاء: ٢٤٢ - ٢٤٤.

(٣) سامرا: ٥٥٠/١.

المتوهم إمكان أهليتهم لتلك المقامات الشرعية الكبرى والمراكز الدينية العظمى في المسيرة الإسلامية.

وإذا كان المؤرخون قد ذكروا في ترجمة هؤلاء السلاطين ما لخصوا به سيرهم في حبّ الدنيا ودناياها، من التزّين بالذهب المحرّم على الرجال، وشراسة الأخلاق، واستباحة القتل وإراقة الدماء، والشغف بالخمير واللهو والطرب. فمن حق القارئ أن يقف - في الجانب الآخر - على ما ذكر المؤرخون في تلخيص سيرة الإمام العسكري (ع)، مما رأوا فيه من صفات الدين والزهد، والعلم والفقه، والعبادة والكرم، لتكون المقارنة بينه وبين أولئك المتقمصين لأبراد الخلافة أبرز دلالةً على الحقيقة المبحوث عنها، وأكثر وضوحاً في كشف الريب وإزالة الإبهام:

١ - قال الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان لولده أحمد - وهو يحدثه عن الإمام العسكري (ع): «يا بني، لو زالت الإمامة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا، وإن هذا ليستحقها في فضله وعفافه، وهديه وصيانته، وزهده وعبادته، وجميل أخلاقه وصلاحه»^(١).

٢ - وقال ابن الراوندي فيه: هو من «تعظّمه الخاصة والعامة... ويبجلونه ويقدرونه لفضله وعفافه وهديه وصيانته وزهده وعبادته... كان جليلاً نبيلاً فاضلاً كريماً، يحتمل الأثقال ولا يتضعع للنوائب»^(٢).

(١) الكافي: ٥٠٤/١ والإرشاد: ٣٦٤ وإعلام الوري: ١٤٨/٢ والمناقب: ٤٥٨/٢ وكشف الغمة: ٢٠٣/٣.

(٢) الخرائج والجرائح: ٩٠٢/٢.

٣ - وقال محمد بن طلحة الشافعي بعد الإشارة إلى مناقبه: «أن المنقبة العليا والمزية الكبرى التي خصَّه الله عز وجل بها، وقلَّده فريدها ومنحه تقليدها، وجعلها صفة دائمة لا يُبلي الدهرُ حديثها، ولا تنسى الألسنة تلاوتها وترديدها: إن المهدي محمداً نسله المخلوق منه، وولده المنتسب إليه، ويضعته المنفصلة عنه»^(١).

٤ - وروى ابن أبي الحديد المعتزلي قولَ مَنْ قال: «مَنْ الذي يعدُّ من قريش أو من غيرهم ما يعدُّه الطالبيون عشرةً في نَسَقٍ، كلُّ واحدٍ منهم عالمٌ زاهد ناسك شجاع جواد طاهر زاك، فمنهم خلفاء ومنهم مرشَّحون... وهم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي (ع). وهذا لم يتفق لبيِّتٍ من بيوت العرب ولا من بيوت العجم»^(٢).

٥ - وقال سبط ابن الجوزي: «كان عالماً ثقة، روى الحديث عن أبيه عن جدِّه»^(٣).

٦ - وقال علي بن عيسى الإربلي: «واحدُ زمانه غير مُدافع، ونسيج وحده غير منازع، وسيد أهل عصره، وإمام أهل دهره... فارس العلوم الذي لا يُجارى، ومبيِّن غامضها فلا يجادل ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، ومظهر الدقائق بفكره الثاقب... صاحب الدلائل والآيات والمعجزات... ووالله أقسى قسماً برّاً: إن من عدَّ محمداً جدّاً، وعلياً أباً، وفاطمةً أمّاً، والأئمة آباءً،

(١) مطالب السؤل: ٧٨/٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٧٨/١٥.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٧٦.

والمهدي ولدأ، لجدير أن يطول السماء علاء وشرفاً، والأملك سلفاً وذاتاً وخلفاً»^(١).

٧ - وقال ابن الصباغ المالكي: «مناقب سيدنا أبي محمد الحسن العسكري، دالة على أنه السريُّ ابن السري، فلا يشك في إمامته أحدٌ ولا يمتري... واحدٌ زمانه من غير مدافع، ونسيج وحده من غير منازع»^(٢).

٨ - وقال الشبلنجي: (مناقبه (ع) كثيرة)^(٣).

هذا بعض ما تحدث به المؤرخون عن الإمام العسكري في فضائله وشمائله، وخلال له وخصاله، ومناقبه ومزاياه، كما أنهم تحدثوا بالتفصيل عن اشتهاه بكرم اليد وبذل المعروف، ورووا كثيراً من قصص جوده وشواهد سخائه التي يستطيع الراغب في الوقوف عليها أن يقرأها في مظانها من كتب التراجم والتاريخ^(٤)، كذلك أوردوا في خلال الحديث عن زهده وورعه صورة رائعة لما كان عليه - كأسلافه الطاهرين - من الجمع البارع بين التقشف والتجمل في حياته العملية وشؤونه الذاتية، كما حدثنا عنه كامل بن إبراهيم المدني وقد دخل عليه ذات يوم وهو يريد سؤاله عن بعض أحكام الدين، فقال: «لما دخلت على سيدي أبي

(١) كشف الغمة: ٣/ ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) الفصول المهمة: ٢٧٢.

(٣) نور الأبصار: ١٥٣.

(٤) يراجع في ذلك: الكافي: ١/ ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٩ وإثبات الوصية: ٢١١ و ٢١٢ والإرشاد: ٣٦٦ - ٣٧٠ والخرائج والجرائح: ١/ ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٣٥ وإعلام الوري: ٢/ ١٣٧ و ١٤٠ والمناقب: ٢/ ٤٥٩ و ٤٦٤ و ٤٦٨ و ٤٦٩ وكشف الغمة: ٣/ ٢٠٥ - ٢٠٩ و ٢٢٢ و ٢٢٤ والفصول المهمة: ٢٦٨ وبحار الأنوار: ٥٠/ ٢٦٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ و ٢٩٤ و ٢٩٥ ونور الأبصار: ١٥٤.

محمد نظرتُ إلى ثياب بياض ناعمة عليه، فقلت في نفسي: ولي الله وحجته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان... فقال متبسماً: يا كامل - وحسر ذراعيه فإذا مسح أسود خشن على جلده -، هذا لله وهذا لكم^(١).

وهكذا تجلت لنا بوضوح - في ضوء ما تقدم عرضه - حقائق أولئك المدعين للإمامة وإمارة المؤمنين، فيما أطبق عليه مؤرخوهم من الحديث عن مظالمهم ومنكراتهم وخمورهم وفجورهم. كما تجلت لنا بوضوح أيضاً حقيقة الإمام العسكري (ع) فيما اتفق عليه مؤرخوه من إشادة بعلمه ودينه، وصيانتة وهدية، وعبادته وورعه، وكرمه وسخائه، وكذلك اعتراف من لم يكن من شيعته بأهليته للإمامة وترشيحه للخلافة.

وعلى المسلم الواعي الحصيف أن يمعن النظر في كل ذلك ويطلب التأمل فيه بموضوعية تامة وحياد نزيه، وأن يحكّم عقله وفكره ملياً في الموازنة والمقارنة بين الطرفين، ليختار لمركز الإمامة والنيابة عن صاحب الرسالة من يراه مستحقاً لها خير الاستحقاق، وجامعاً لمتطلباتها الأساسية بالصفات والملكات، إن يكن غير مؤمن بالنصوص، وغير مقر بما أسلفناه من التوجيه النبوي في تبيين الإمامة وتحديد الأئمة.



لما توفي الإمام علي بن محمد الهادي (ع) في سنة ٢٥٤هـ، وآلت شؤون الإمامة بكل أثقاليها ومسئولياتها إلى الإمام العسكري (ع)، أخذت رحلة معاناته ومتاعبه تزداد شدة وعنفاً، وتتصاعد ضغطاً وجهداً، وتتفاقم صعوبة وقسوة، وكان من بعض مفردات هذه الصعوبات والأهوال ما تحمل منذ بدء أيام الإمامة من شدائد السجون والمعتقلات المتلاحقة، وما بقي يتحمل منها خلال تلك السنوات المعدودة التي عاشها بعد وفاة أبيه حتى يوم وداعه لهذه الدنيا الفانية.

ونوجز فيما يأتي ما ورد في مجموع المصادر والمراجع من الإشارات إلى سجون الإمام العسكري أثناء عهود الخلفاء الثلاثة الذين عاصروهم في خلال مدة إمامته القصيرة التي لم تتجاوز ست سنوات من الزمن. ويبدو من سياق الروايات أن كل حبس من تلك الحبوس لم يمتد طويلاً، وربما كان قصر بعضها يعود إلى ندم حاكم الوقت على ما فعل بعد أن يهدأ غيظه فيأمر بإطلاق سراحه، أو بسبب ما يحدث من الطوارئ التي تحمل الخليفة على تحرير أسرهِ وإعادةه إلى بيته:

١ - قال المستشرق دونالدسن: «بعد وفاة الإمام علي النقي أمر الخليفة أحد حراسه الأتراك بحمل الحسن العسكري إلى بغداد، فأودِعَ السجن هناك»^(١).

وقال الباحث أحمد عبد الباقي: «عندما توفي أبوه سُجن الإمام الحسن في بغداد، إلا أنه ما لبث أن أُطلق من السجن وُسُبح له بالعودة إلى سامرا»^(١).

٢ - جاء في الخبر عن محمد بن عبد الله قال: لما أمر الخليفة حاجبه سعيداً بحمل أبي محمد (ع) إلى الكوفة وتسربّ النبأ إلى بعض الناس، كتب أبو الهيثم إليه: «بلغنا خبر أفلقنا... فكتب (ع): بعد ثلاث يأتيكم الفرج. فقتل المعتر في اليوم الثالث»^(٢).

٣ - سُجن الإمام في إحدى المرات عند علي بن نارمش (أو: أوتامش) - وكان شديد العدا لآل محمد (ع) غليظاً على آل أبي طالب - فلما رأى عبادته وهديّه «أصبح من أحسن الناس بصيرة وأحسنهم فيه قولاً»^(٣).

٤ - حدّث أبو هاشم الجعفري قال: «كنتُ محبوساً مع أبي محمد (ع) في حبس المهدي بن الواثق... فلما أصبحنا شغب الأتراك على المهدي فقتلوه... وسلّمنا الله»^(٤).

وقال المسعودي وكأنه يشير إلى سجن الإمام هذا: إن المهدي كان قد صح عزمه «على قتل أبي محمد (ع) فشغله الله بنفسه حتى قُتل ومضى»^(٥).

(١) سامرا: ٥٤٦/١.

(٢) الخرائج والجرائح: ٤٥١/١ والفصول المهمة: ٢٦٧ وبحار الأنوار: ٣١٢/٥ - ٣١٣.

(٣) الكافي: ٥٠٨/١ والإرشاد: ٣٦٨ وكشف الغمة: ٢٠٨/٣.

(٤) المناقب: ٤٦٣/٢ والخرائج والجرائح: ٤٣١/١ وبحار الأنوار: ٣٠٣/٥٠.

(٥) إثبات الوصية: ٢١٣.

٥ - روى عدد من المؤرخين: إن الإمام العسكري حُبس في إحدى المرات «في الحبس الذي في الجوسق» عند صالح بن وصيف، وكان معه جماعة من السجناء خمسة أو ستة، وقالوا: إن صالح بن وصيف «وَكَلَّ به رجلين من أشرِّ الناس، فصارا من العبادة والصلاة والصيام إلى أمر عظيم. فقال لهما صالح بن وصيف في ذلك فقلا: ما نقول في رجل يصوم النهار ويقوم الليل كله، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة»^(١).

٦ - تقول بعض الروايات التاريخية: إن الإمام سُجن في دار تحرير، في أيام ملك المعتمد، وكان تحريرٌ «يُضَيَّقُ عليه ويؤذيه»^(٢).

٧ - جاء في بعض المصادر: أن الإمام سُجن مع عدة من الطالبين في سنة ٢٥٨هـ^(٣).

٨ - وروى المسعودي: أن الخليفة المعتمد العباسي حبسه مرة عند «علي بن جرير، وحبس أخاه جعفرأ معه، وكان المعتمد يسأل علياً عن أخباره في كل وقت فيخبره أنه يصوم النهار ويصلي بالليل. فسأله يوماً من الأيام عن خبره فأخبره بمثل ذلك، فقال له: امض الساعة إليه وأقرأه مني السلام وقل له: انصرف إلى منزلك مصاحباً. قال علي بن جرير: فجنئتُ إلى باب السجن... فوجدته جالساً... فأديتُ إليه الرسالة، وركب... ووقف، فقلت له: فما وقوفك يا سيدي؟، فقال لي: حتى يخرج جعفر، فقلت:

(١) الكافي: ٥١٢/١ والإرشاد: ٣٧٠ - ٣٧١ وإعلام الوري: ١٤٠/٢ - ١٤١ - ١٥٠ والمناقب: ٤٦٢/٢ - ٤٦٣ وكشف الغمة: ٢١٠/٣ و٢٢٩ والفصول المهمة: ٢٦٨ وبحار الأنوار: ٢٥٤/٥٠ - ٢٥٥ ونور الأبصار: ١٥٣.

(٢) كشف الغمة: ٢١٠/٣ وبحار الأنوار: ٣٠٩/٥٠.

(٣) إعلام الوري: ١٤٠/٢ وبحار الأنوار: ٣١١/٥٠.

إنما أمرني بإطلاقك دونه، فقال: ترجع إليه فتقول له: خرجنا من دار واحدة جميعاً فإذا رجعتُ وليس هو معي كان في ذلك ما لا خفاء به عليك. فمضى وعاد، فقال له: يقول لك: قد أطلقتُ جعفرأ لك»^(١).

٩ - روى الرواة والمؤرخون عن علي بن الحسن بن سابور قال:

قحط الناس بسر من رأى في زمن الحسن الأخير (ع)، فأمرهم الخليفة بالخروج إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون ويدعون فما سُقُوا. ثم خرج الناس في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معهم الجاثليق والنصارى والرهبان، فكان فيهم راهب فلما مدَّ يده هطلت السماء بالمطر... فشكَّ أكثر الناس وتعجبوا وصبوا إلى دين النصرانية. فأنفذ الخليفة إلى الحسن - وكان محبوساً فأخرجه من حبسه - وقال: الحقُّ أمة جدك فقد هلكت. فقال: إني خارج من الغد ومزيل الشك إن شاء الله.

«فخرج الجاثليق في اليوم الآخر والرهبان معه، وخرج الحسن في نفرٍ من أصحابه، فلما بصر بالراهب وقد مدَّ يده، أمر بعض مماليكه أن يقبض على يده اليمنى ويأخذ ما بين أصبعيه. ففعل وأخذ منه عظماً أسود، فأخذه الحسن بيده وقال: استسقى الآن. فاستسقى وكانت السماء مغيمة، فتشعَّت وطلعت الشمس».

فقال الخليفة - وكان قد شهد هذا التجمع - للإمام العسكري (ع):

ما هذا العظمي يا أبا محمد؟

فقال (ع): «هذا الرجل عبر بقبر نبي من أنبياء الله فوقع في يده هذا

(١) إثبات الوصية: ٢١٣ - ٢١٤ وبحار الأنوار: ٣١٣/٥٠ - ٣١٤.

العظم، فما كشفه وأبرزه في الدعاء إلا هطلت السماء بالمطر»^(١).

١٠ - لخصّ المستشرق دونالدسن ما ابتلي به الإمام في عهد المعتمد فقال: «إن أكثر ما أصابه من الأذى في السجن كان على زمن الخليفة المعتمد الذي ولي الخلافة بعد المهدي»^(٢).



وعلى الرغم من جميع هذه السجون المتعاقبة والمضايقات الآخذة بالخناق، ومن استمرار السعيات المتلاحقة والوشايات الكاذبة المحرّضة على أذى الإمام والإساءة إليه، فإن الخلفاء الحاكمين يوم ذاك ووزراءهم وسائر جلاوزتهم ومرتزقتهم لم يكونوا قادرين على كتمان ما يحملون في أنفسهم من إعظام وتقدير للإمام وشعور مطلق بسمو معناه ورفيع شأنه، وربما أفصحت تصرفاتهم من حيث لا يتعمدون عن مدى ما يعرفون له من حق وما يكونون له من إجلال، حتى انعكس ذلك على المؤرخ الإربلي إلى حد القول: بأن المعتمد العباسي كان يظهر الاحترام للإمام ويبالغ في إكرامه^(٣). وروى الرواة في هذا الصدد ما حدّث به غير واحدٍ منهم استدلالاً على ما كان يحمل رجال السلطة في أعماق أنفسهم من معرفة لمقام الإمام واعتراف كامن بكونه صاحب الحق الشرعي في الولاية وإمامة الدين، فقالوا جميعاً:

كان أحمد بن الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان والياً على الضياع

(١) الخرائج والجرائح: ٤٤٢/١ وكشف الغمة: ٢٢٥/٣ - ٢٢٦ والفصول المهمة:

٢٦٩ - ٢٧٠ والصواعق المحرقة: ١٢٤ وبحار الأنوار: ٢٧١/٥٠ ونور الأبصار:

١٥٣ وبتابيع المودة: ٣٦٦ و٣٩٦.

(٢) عقيدة الشيعة: ٢٢٧.

(٣) كشف الغمة: ٣/٣٢٣.

والخراج بقم، «فجرى في مجلسه يوماً ذكر العلوية ومذاهبهم - وكان شديد النصب والانحراف عن أهل البيت (ع) - فقال:

«ما رأيت ولا عرفتُ بسر من رأى رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن علي الرضا، في هديه وسكونه وعفافه ونبله وكبرته عند أهل بيته وبني هاشم كافة، وتقديمهم إياه على ذوي السنّ منهم والخطر، وكذلك كانت حاله عند القوّاد والوزراء وعامة الناس. فأذكر أنني كنت يوماً قائماً على رأس أبي وهو يوم مجلسه للناس، إذ دخل حُجّابُه فقالوا: أبو محمد ابن الرضا بالباب، فقال بصوت عالٍ: ائذنوا له، فتعجبتُ مما سمعتُ منهم من جسارتهم أن يُكْتَووا رجلاً بحضرة أبي، ولم يكن يُكْتَى عنده إلا خليفة أو وليّ عهدٍ أو مَنْ أمر السلطان أن يُكْتَى. فدخل رجل أسمر حسن القامة جميل الوجه جيد البدن حدث السن له جلاله وهيئة حسنة. فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خُطاً، ولا أعلمه فعل هذا بأحدٍ من بني هاشم والقواد، فلما دنا منه عانقه وقبّل وجهه وصدّره، وأخذ بيده وأجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويفديه بنفسه، وأنا متعجب مما أرى منه. إذ دخل الحاجب فقال: الموفق قد جاء، وكان الموفق إذا دخل على أبي تقدّمه حُجّابُه وخاصة قوّاده فقاموا بين مجلس أبي وبين باب الدار سماطين إلى أن يدخل ويخرج. فلم يزل أبي مقبلاً على أبي محمد يحدثه، حتى نظر إلى غلمان الخاصة، فقال حينئذٍ له: إذا شئت - جعلني الله فداك -، ثم قال لحجابه: خذوا به خلف السماطين لا يراه هذا - يعني الموفق -، فقام وقام أبي فعانقه ومضى».

«فقلتُ لحُجّاب أبي وغلمانه: ويحكم مَنْ هذا الذي كَتَيْتُموه بحضرة أبي وفعل به أبي هذا الفعل؟ فقالوا: هذا علوي يقال له الحسن بن علي ويعرف بابن الرضا، فازددتُ تعجباً، ولم أزل يومي ذلك

قلقاً متفكراً في أمره وأمر أبي وما رأيته منه، حتى كان الليل، وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه وما يرفعه إلى السلطان، فلما صلى وجلس جثتُ فجلستُ بين يديه وليس عنده أحد، فقال لي: يا أحمد، ألك حاجة؟ فقلتُ: نعم يا أبة، فإن أذنتُ سألتُك عنها، فقال: قد أذنتُ. قلت: يا أبة، من الرجل الذي رأيته بالغداة فعلتُ به ما فعلتُ من الإجلال والكرامة والتبجيل؟... فقال: يا بني، ذاك إمام الرفضة الحسن بن علي المعروف بابن الرضا.

«ثم سكت ساعة وأنا ساكت، ثم قال: يا بني، لو زالت الإمامة عن خلفائنا بني العباس ما استحقتها أحدٌ من بني هاشم غيره، لفضله وعفاه وهديه وصيانتة وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه، ولو رأيتُ أباه رأيتُ رجلاً جزلاً نبيلاً فاضلاً».

«فازددتُ قلقاً وتفكراً وغيظاً على أبي وما سمعته منه فيه ورأيتُ من فعله به، فلم تكن لي همة بعد ذلك إلا السؤال عن خبره والبحث عن أمره، فما سألتُ أحداً من بني هاشم والقواد والكتّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس إلا وجدته عندهم في غاية الإجلال والإعظام والمحل الرفيع والقول الجميل، والتقديم له على جميع أهل بيته ومشايخه، فعظم قدره عندي، إذ لم أرَ له ولياً ولا عدواً إلا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه»^(١).



وفي عام ٢٦٠هـ - كما أجمعت كتب التاريخ والتراجم والسير -

(١) الكافي: ٥٠٣/١ - ٥٠٤ والإرشاد: ٣٦٣ - ٣٦٥ وإعلام الوري: ١٤٧/٢ - ١٤٩ وكشف الغمة: ٢٠٢/٣ - ٢٠٤، ومختصر منه في المناقب: ٤٥٨/٢.

توفي الإمام الحسن العسكري (ع) وهو في عنفوان الشباب، فانتقل من شدائد الدنيا ومطاردات الطغاة إلى روح الله وريحانه وجناته ورضوانه، وأشارت أصابع الاتهام إلى الخليفة بأمره بدسّ السم إليه^(١)، وربما أيّد هذا الاتهام ما ذكرته المصادر من أن أيام مرضه الذي توفي به لم تدم طويلاً، فلم يكن بين بدء مرضه وإعلان وفاته سوى ثمانية أيام فقط^(٢).

ويقول المؤرخون: إن الإمام العسكري لما اعتلّ بعث الخليفة إلى وزيره عبيدالله بن يحيى بن خاقان: «إن ابن الرضا قد اعتلّ، فركب من ساعته إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، وأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرّف خبره وحاله، وبعث إلى نفرٍ من المتطهّرين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعهّده صباحاً ومساءً. فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أُخبر أنه قد ضُعِف، فأمر المتطهّرين بلزوم داره، وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره وأمره أن يختار عشرة ممن يوثق به في دينه وورعه وأمانته، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهاراً فلم يزالوا هناك حتى توفي».

«فلما ذاع خبر وفاته صارت سر من رأى ضجّة واحدة، وعُظّلت الأسواق، وركب بنو هاشم والقواد والكتاب والقضاة والمعدّلون وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذٍ شبيهاً بالقيامة. فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمره بالصلاة عليه، فلما وُضعت الجنازة للصلاة دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه،

(١) إعلام الوري: ١٣١/٢ وكشف الغمة: ٢٢٧/٣ والفصول المهمة: ٢٧٢ والصواعق المحرقة: ١٢٤ وبحار الأنوار: ٢٣٨/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٨ وينابيع المودة: ٣٦٦.

(٢) الإرشاد: ٣٧١ والمناقب: ٤٥٧/٢ وإعلام الوري: ١٥١/٢ وكشف الغمة: ٣/٢١٠ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٣٣٤.

فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواعد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه!!، وحضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطبيين فلان وفلان. ثم غطى وجهه وصلى عليه، وأمر بحمله^(١).

وُدُنَ بإجماع المصادر إلى جانب قبر أبيه (ع) في دارهما بسامراء حيث مشهدهما المقدس الطاهر المائل إلى اليوم، وقد أصبح منذ ذلك التاريخ مقصداً ومثاباً لزيارته من أطراف العالم الإسلامي الفسيح.

وكانت وفاته - سلام الله عليه - في يوم الجمعة على الأشهر^(٢)، وقيل: يوم الأربعاء^(٣)، وقيل: الأحد^(٤)، في شهر ربيع الأول من تلك السنة^(٥)، وفي اليوم الثامن منه على وجه التحديد كما هو الأشهر الأرجح بل الأصح الثابت^(٦).

(١) الكافي: ٥٠٣/١ - ٥٠٥ - والإرشاد: ٣٦٣ - ٣٦٥ - وإعلام الوري: ١٤٧/٢ - ١٤٩ وكشف الغمة: ٢٠٢/٣ - ٢٠٤. وورد بعض ذلك في المناقب: ٤٥٨/٢ والفصول المهمة: ٢٧١ ونور الأبصار: ١٥٤.

(٢) الكافي: ٥٠٣/١ - والإرشاد: ٣٦٠ و٣٧١ وتاريخ بغداد: ٣٦٦/٧ وإعلام الوري: ١٥١/٢ والمناقب: ٤٥٧/٢ وكشف الغمة: ١٩٩/٣ و٢١١ و٢٢٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ ووفيات الأعيان: ٣٧٣/١ والفصول المهمة: ٢٧١ ومراة الجنان: ١٧٢/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٢٣٧ و٣٣٤ و٣٣٥ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ ونور الأبصار: ١٥٤ وعمدة الزائر: ٣٢٨ وينابيع المودة: ٣٨٦.

(٣) تاريخ بغداد: ٣٦٦/٧ ووفيات الأعيان: ٣٧٣/١ وكشف الغمة: ٢١١/٣ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣ وبحار الأنوار: ٢٣٧/٥٠ وعمدة الزائر: ٣٢٨.

(٤) بحار الأنوار: ٣٣٥/٥٠ وجواهر الكلام: ٩٩/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٢٨.

(٥) اللباب: ١٣٧/٢ وتاريخ أبي الفدا: ٤٥/٢.

(٦) الكافي: ٥٠٣/١ - والإرشاد: ٣٦٠ وتاريخ بغداد: ٣٦٦/٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ =

وما أن دُفِن الإمام العسكري (ع) حتى جدَّ الخليفة في طلب ولده - كما جاء في رواية الكليني - «وبعث السلطان إلى داره مَنْ فَتَّشَهَا وفتش حُجْرَهَا وختم على جميع ما فيها، وطلبوا أثر ولده، وجاؤوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن إن هناك جارية بها حمل، فُجِعِلَتْ في حجرة، ووُكِّلَ بها تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم»^(١).

وفي نصّ آخر للكليني قال:

«إنهم توقفوا على أثر ذلك عن قسمة ميراثه. ولم يزل الذين وُكِّلُوا بحفظ الجارية التي تُؤمُّم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل، فقسّم ميراثه بين أمّه وأخيه جعفر، وأدّعت أمّه وصيته وثبت ذلك عند القاضي. والسلطان على ذلك يطلب أثر ولده»^(٢).

وروى الشيخ المفيد في أحداث هذه الأيام القاسية فقال:

«إن جعفر بن عليّ أخوا الإمام أبي محمد (ع) تولّى أخذَ تركة أخيه، وسعى في حبس جوارى أبي محمد واعتقال حلائله، وشنَّع على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشرّدهم... ولم يظفر السلطان منهم بطائل. وحاز جعفر

= ٩٢ وإعلام الوري: ١٣١/٢ و١٥١ والمناقب: ٤٥٧/٢ وكفاية الطالب: ٣١٢ ووفيات الأعيان: ٣٧٣/١ وكشف الغمة: ١٩٧/٣ و١٩٩ و٢١١ و٢٢٢ والفصول المهمة: ٢٧١ ومراة الجنان: ١٧٢/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١١٣ وبحار الأنوار: ٢٣٦/٥٠ و٢٣٧ و٣٣١ و٣٣٤ و٣٣٥ و٣٥٥/٩٨ - ٣٥٦ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٩ ونور الأبصار: ١٥٤ وعمدة الزائر: ٣٢٨.

(١) الكافي: ٥٠٥/١.

(٢) المصدر نفسه.

ظاهراً تركة أبي محمد (ع) واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه، ولم يقبل أحدٌ منهم ذلك ولا اعتقده فيه»^(١).

وجاء في رواية الراوندي:

إن جعفرأ دخل على المعتمد «وكشف له وجود خلفٍ للحسن، فوجّه المعتمد بخدمه فقبضوا على صيقل (أو صقيل) الجارية وطالبوها بالصبي، فأنكرته وأدعتُ حبلأً بها لتغطي حال الصبي، فسُلِّمَتْ إلى ابن أبي الشوارب القاضي. وبلغهم موت عبيدالله بن يحيى بن خاقان فجأةً وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم»^(٢).

وروى الرواة عن أحمد بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان ما حدّث به من وقائع تلك الأيام الصعبة فقال:

إن الإمام العسكري لما دُفن «جاء جعفر أخوه إلى أبي فقال: إجعل لي مرتبة أخي وأنا أُوصِل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار. فزبره أبي وأسمعه ما كره، وقال له: يا أحمق، السلطان - أطال الله بقاءه - جرّد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنتَ عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتّبك مراتبهم ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا. فاستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه، وأمر أن يحجب عنه. . . . والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي. . . وهو لا يجد إلى ذلك سبيلاً، وشيعته مقيمون على أنه مات وخلف ولداً يقوم مقامه في الإمامة»^(٣).

(١) الإرشاد: ٣٧١ - ٣٧٢.

(٢) الخرائج والجرائج: ٣/ ١١٠٣ - ١١٠٤.

(٣) الكافي: ١/ ٥٠٤ - ٥٠٦، الإرشاد: ٣٦٦ وإعلام الوري: ٢/ ١٥٠ والمناقب: ٢/ ٤٥٧ وكشف الغمة: ٣/ ٢٠٥.

وصدق العلي العظيم في قوله وهو أصدق القائلين :

﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾ ،
 ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .



تُرَاثُ الإِمَامَةِ

لا أظن أن هناك بين من تستى لهم الوقوف على ما أسلفنا ذكره من شهادات المؤرخين والمعنيين بالسَّيرِ والأخبار، مَنْ يحسُّ بوجود أدنى ريب أو تردد في الإقرار بإمامة ذلك الرجل الذي رأى فيه عارفوه ومترجموه من الخاصة والعامة - ممن عاصره أو قرأ تاريخه على مرِّ الأجيال - أنه المستحق الوحيد لهذا المقام في عصره، مقارناً بمن كانت بيده أدوات التسلط من مدعي الإمامة يومذاك، نزولاً على حكم ما تجمَّع فيه من ملكات العلم والزهد والورع، وصفات الطهارة والفضل والكرم - وقد عدَّدها بعضهم بالتفصيل وأجملها بعضٌ آخر بالقول بأن مناقبه كثيرة -، مما يوحى بمجموعه لكل متأملٍ منصفٍ بتصديق القول بإمامته بلا توقفٍ ولا مرأى، خصوصاً بعد القطع الجلي بأن تلك الأقوال والشهادات المنبعثة عن معاصرة ومشاهدة لم تكن بدافع آداب المجاملة أو أعراف التكريم، وهو المُطارَد المضطهد من سلطات زمنه، والزائر المتكرر الحضور والإقامة في محابسهم الجائرة.

والخلاصة المستفادة من ذلك كله في ضوء هذه المقدمات الثابتة المضامين: أن التراث الفكري المأثور عن هذا الرجل المشهود له بما عُرف عنه من امتياز وتقدم وانفراد في العلم والفضل، كان على هذا المستوى الرفيع من سمو الشأن وتدفق الفيض وسعة الامتداد ووفرة العطاء، وعلى تلك الدرجة العليا من عمق النظر ودقَّة التحقيق والتحليل،

وبذلك السياق الشامخ، المعني بكشف المشكل وحلّ المعضل، فيما تتجه إليه أسئلة الدارسين وشُبُه الجاهلين ومحاورات الراغبين في معرفة الغوامض والباحثين عن المجهول من الحقائق.

وليس في هذا التقويم لتراث الإمام العسكري (ع) - وهو فحوى تلك الخلاصة السالفة الذكر - ما يدعو إلى استغراب أو عجب، أو يدل على مغالاة في المودة والولاء، بعد أن ثبت لدينا أن الإمام كان يستقي جميع تلك المعارف والأفكار من منابعها الصافية الدفافة، ويستلهمها من مصادرها الثابتة الأصيلة، ويستمدّها من معادنها المرتبطة بوحى الله تعالى وكتابه المنزل، وبالصحيح المسند من سنّة نبيه المرسل، كما أوضح هو ذلك بنفسه حينما أجاب أحد السائلين عما سأله، فقال أحد الحاضرين بدافع التأكيد والتأييد لصحة الجواب: أن أبا عبد الله الصادق (ع) كان قد سئل عن هذه المسألة فأجاب بمثل ذلك، فقال له الإمام العسكري (ع) شارحاً ومبيّناً: «الجواب منّا واحد إذا كان معنى المسألة واحداً... وأولنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله (ص) ولأمير المؤمنين (ع) فضلهما»^(١).

وغير خفي أن الإمام قد أراد بنصّه على كون الجواب منهم واحداً وكون أولهم وآخرهم في العلم سواء، إيضاح اتحاد المصدر الأول والمنبع الأساس لعلم جميع الأئمة (ع)، حيث ينزعون كلهم من قلب واحد، ويسيروا قاطبة على نهج ربّهم وجدّهم، وعلى نحو قويم وسليم لا يشوبه تناقض ولا يطاله اختلاف، ولا يُشاهد فيه ما يرى لدى ذوي الآراء الأخرى المتصدّرين أرائك الفتوى من تنوع المشارب وتعدد المذاهب.

وذكر المستشرق دونالدسن والباحث السامرائي المعاصر أحمد عبد الباقي - وهما يتحدثان عن علم الإمام العسكري (ع) ومصادر ذلك -: إنه قضى معظم وقته بالدرس، ونشأ نشأة دينية على سنن سلفه الصالح، وربما اهتم بدراسة اللغات، إذ نراه كان يتكلم بالهندية مع الزوار الهنود، والتركية مع الأتراك، والفارسية مع الفرس، انسجماً مع جنسيات الوافدين إليه وإلى أبيه من قبل^(١).

وهكذا يتجلى لكل ذي نظر حصيف أن تراث الإمامة المروي عن هذا الإمام العظيم قد بلغ الغاية في الشأن والأهمية، بعد علمنا القطعي ببلوغ منابعه الأساسية شأنها الأسمى من درجات العلو والرفعة في منطلقات الفكر الإسلامي الأصيل.

ولما كان هذا الإمام المظلوم قد تعرّض في خلال سني إمامته القصيرة إلى تتابع السجون وتوالي الاعتقالات - كما تقدّم بيانه وافية في الفصل السابق -، وإلى تكرار ذلك إلى الحد الذي حرم الناس من نعمة اللقاء الدائم به، ومن المشافهة الحرة له متى شاؤوا ومهما دعتهم الحاجة إلى زيارته والاستفسار منه عما يريدون معرفته من شؤون دينهم وطوارئ دنياهم، فقد كان من جملة آثار ذلك قيامه (ع) بإملاء كتاب «يشتمل على أكثر علم الحلال والحرام»، لتسهيل الأمر على المؤمنين في الوقوف على أحكام الله وتكاليف الشرع، وقد تم تدوينه في سنة خمس وخمسين ومائتين^(٢).

وربما كان من آثار تلك السجون أيضاً ما نشاهد من كثرة المراسلات والأسئلة التحريرية الموجهة إليه في مختلف المسائل التي

(١) عقيدة الشيعة: ٢٢٢ - ٢٢٣ وسامرا: ١/٥٤٥.

(٢) المناقب: ٢/٤٥٩.

تهم ذوي الاعتقاد والإيمان، بل يبدو أنه كاد يكون الطريق الوحيد للاتصال به في بعض تلك الظروف، إذ تجتمع تلك الرسائل في بيته بانتظار فرصة خروجه من السجن ليحرر أجوبتها لأصحابها قبل أن يُودَع في سجن آخر، وكانت تلك المراسلات - كما يستفاد من المصادر - وافرة العدد ومتنوعة الموضوعات ومن مختلف البلدان والأصقاع^(١).

ولعل من المفيد النافع - ونحن نستعرض الخطوط العامة للتراث الفكري المنتسب إلى الإمام العسكري (ع) - أن نورد أمثلة من تلك المكاتبات والردود، لطلاع على ما كانت تحمل من مطالب وجوانب تدور حولها الأسئلة والأجوبة بما تحكي من اهتمامات السائلين وما يستجدُّ لديهم من شبهات وغوامض ومبهمات:

١ - قال سهل بن زياد: «كتبْتُ إلى أبي محمد (ع) سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد، منهم من يقول: هو جسم، ومنهم من يقول: هو صورة. فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فعلت متطولاً على عبدك؟».

«فوقَّع بخطه (ع): سألت عن التوحيد... الله واحد أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالق وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك وليس بجسم، ويصوّر ما يشاء وليس بصورة، جل ثناؤه، وتقدستُ أسماؤه أن يكون له شبه، هو لا

(١) يراجع في هذه المكاتبات: الكافي: ٥٠٨/١ - ٥١١ و ٥١٣ و ٣٩٩/٣ وإثبات الوصية: ٢٠٩ - ٢١٢ والمناقب: ٤٦٩/٢ وكشف الغمة: ٣/٢١٠ و ٢١٢ و ٢١٤ و ٢١٧ و ٢٢١ و ٢٢٤ و بحار الأنوار: ٤٨/٢٦٧ و ٥٠/٢٦٤ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧٤ و ٢٧٧ و ٢٧٩ و ٢٨٢ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٨ - ٢٩٤ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٩ و ٣٠١ و ٣٠٨.

غيره، ليس كمثل شيء وهو السميع البصير»^(١).

٢ - ومما ورد في كتابه إلى إسحاق بن إسماعيل:

«إن الله بمنه ورحمته لَمَّا فرض عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم لحاجة منه إليكم، بل برحمة منه - لا إله إلا هو - عليكم، ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم ويمحص ما في قلوبكم، لتسابقوا إلى رحمة الله، ولتفاضل منازلكم في جنته».

إلى أن قال في هذا الكتاب:

«وإياكم أن تفرطوا في جنب الله فتكونوا من الخاسرين، فبعداً وسحقاً لمن رغب عن طاعة الله ولم يقبل مواعظ أوليائه... رحم الله ضعفكم وغفلتكم، وصبركم على أمركم، فما أغرَّ الإنسان بربه الكريم»^(٢).

٣ - وسئل الإمام العسكري (ع): «هل رأى رسول الله (ص) ربّه؟ فوقّع: إن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمته ما أحبّ»^(٣).

٤ - ومما جاء في كتابه إلى أهل قم وآبه:

«إن الله تعالى بجوده ورأفته قد منّ على عباده بنبيه محمد (ص) بشيراً ونذيراً، ووفقكم لقبول دينه، وأكرمكم بهدأيته، وغرس في قلوب أسلافكم الماضين - رحمة الله عليهم - وأصلا بكم الباقين - تولّى كفايتهم، وعمّرهم طويلاً في طاعته - حُبّ العترة الهادية، فمضى من مضى على وتيرة الصواب ومنهاج الصدق وسبيل الرشاد، فوردوا موارد

(١) الكافي: ١/١٠٣.

(٢) تحف العقول: ٣٦٤ - ٣٦٥.

(٣) الكافي: ١/٩٥ - ٩٦.

الفائزين، واجتنتوا ثمرات ما قدّموا، ووجدوا غبّ ما أسلفوا».

«ومنها: فلم تزل نيتنا مستحكمة، ونفوسنا إلى طيب آرائكم ساكنة، والقراية الراسخة بيننا وبينكم قوية، وصية أوصى بها أسلافنا وأسلافكم»^(١).

٥ - ومما جاء في كتابه (ع) إلى أبي الحسن علي بن الحسين ابن بابويه القمي:

«اعتصمتُ بحبل الله. بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والجنة للموحدّين، والنار للملحدّين، ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا إله إلا الله أحسن الخالقين، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرين».

و«منها: عليك بالصبر وانتظار الفرج، فإن النبي (ص) قال: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»، ولا يزال شيعتنا في حزن حتى يظهر ولدي الذي بشر به النبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. فاصبر يا شيخخي يا أبا الحسن علي، وأمر جميع شيعتي بالصبر، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. والسلام عليك وعلى جميع شيعتنا ورحمة الله وبركاته، وصلى الله على محمد وآله»^(٢).

٦ - وكتب أحد المؤمنين إليه يسأله أن يعلمه دعاء يدعو به، فكتب إليه:

«ادعُ بهذا الدعاء: يا أسمع السامعين، ويا أبصر المبصرين، ويا أنظر الناظرين، ويا أسرع الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم

(١) المناقب: ٤٦٠/٢.

(٢) المصدر السابق نفسه.

الحاكمين: صل على محمد وآل محمد، وأوسع لي في رزقي، ومدد لي في عمري، وامن عليَّ برحمتك، واجعلني ممن تنتصر به لدينك، ولا تستبدل بي غيري»^(١).



ونعود الآن بعد عرض هذه الأمثلة من مكاتبات الناس للإمام العسكري (ع) وجوابه عليها بما يقتضي كل سؤال منها من قصر أو طول وشرح أو إجمال، إلى ما رواه الرواة وسمعه السامعون من لسان الإمام في موضوعات الفكر الديني والثقافة الإسلامية، كالتفسير والفقه، والآداب والأخلاق، والروابط الاجتماعية وحسن السلوك، وفي سائر الأمور الأخرى التي كان يستجلبها السائلون ويستوضحها طلاب العلم لمعرفة لباب معناها وحقيقة المراد منها.

وقد يدور في خلد القارئ المتتبع لتاريخ الأئمة (ع) وتراثهم الفكري هاجسٌ يشبه الاستفهام أو العجب بشأن قلة الروايات المسندة إلى الإمام العسكري (ع) - كما كانت قليلة كذلك عن أبيه أيضاً من قبله -، بالمقارنة إلى الكمّ الذي كانت عليه الحال فيما نُقل عن آبائهما الطيبين الطاهرين، ولكن المطلعين على حقائق الأمور يعلمون أن السبب في ذلك عائد إلى ما مرَّ شرحه في الفصل السابق من قسوة القيود وضغط الظروف التي كانت تحيط بالإمام العسكري فلا تسمح للناس بحرية لقاءه والإفادة منه.

وكان المؤرخ النيقده علي بن عيسى الإربلي قد لفتت نظره هذه القلة في المأثور عن الإمامين العسكريين (ع) فنَبّه على ذلك معللاً له بما

(١) إعلام الوري: ١٤٣/٢ وكشف الغمة: ٢١٧/٣ وبحار الأنوار: ٢٩٨/٥٠.

ذكرنا، وقال في بيان ما علّل به: «لأنهما كانا محبوبين في عسكر السلطان، ممنوعين من الانبساط في الفتيا وأن يلقاهما كل أحد من الناس»^(١).

ومهما يكن من أمر هذه القيود الجائرة والموانع القاهرة، فقد تسرّب إلى المجتمع من عطاء هذا الإمام وإملاءاته الثقافية ما أرشدنا إلى نفاسة ما نُقِلَ عنه وأسند إليه، بحكم كونه مستمداً من ينبوع الرسالة وعباب النبوة، ومتصلاً بروافد الإمامة المفعمة بالعلم والمعرفة والممتدة عبر عصور الأئمة كابرأ بعد كابر.

ويأتي في طليعة ذلك التراث المشرق وفي صدر أعلّاقه الثمينة ما رواه الرواة عن الإمام العسكري (ع) في تفسير كلام الله تعالى وتبيين معانيه، وإيضاح مقاصده وشرح مبانيه، وإبراز لباب المفاهيم المودعة فيه^(٢)، كما ترشدنا إليه الشواهد الآتية:

(١) كشف الغمة: ٣١٨/٣.

(٢) لا بد من الإشارة هنا إلى وجود كتابين في التفسير يطلق عليهما اسم (تفسير العسكري)، وقد ذكرهما الباحث المعروف الشيخ آقابزرگ الطهراني وقال عن أولهما: (الظاهر ان المراد من العسكري هذا هو الإمام الهادي (ع) الملقب بصاحب العسكر وبالعسكري أيضاً)، وقد نُسبت رواية هذا التفسير عن الإمام الهادي (ع) إلى أبي علي الحسن بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي البرقي، وقيل: إنه يقع في عشرين ومائة مجلدة، و(الظاهر أنه لم يبق من كافة مجلداته المذكورة عين ولا أثر) (الذريعة: ٤/٢٨٣ - ٢٨٤).

أما التفسير الثاني المسمى (تفسير العسكري) أيضاً فقد قال عنه الباحث المتقدم: إنه من إملاء الإمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري، وإن نُسخه متداولة، وإن له عدة طبعات ناصاً على أماكن الطبع وتواريخها (الذريعة: ٤/٢٨٥).

وقد ترجم أستاذنا السيد الخوئي قدس سره في معجم رجاله راويي هذا التفسير وهما علي بن محمد بن سيار ويوسف بن محمد بن محمد بن زياد، وقال عنهما: (كلاهما مجهول الحال) (معجم رجال الحديث: ١٢/١٥٩ و٢٠/٢٠٩)، ثم قال عن =

١ - قال - سلام الله عليه - مجيباً على سؤال من سأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾:

«جعلها ملائمة لطبايعكم، موافقة لأجسادكم، لم يجعلها شديدة الحمي والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة الريح فتصدع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم، ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في حرثكم وأبنيتكم ودفن موتاكم. ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسكون وتتماسك عليها أبدانكم وبنيانكم، وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم، فلذلك جعل الأرض فراشاً لكم».

«ثم قال: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ يعني سقفاً من فوقكم محفوظاً يدير فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم. ثم قال: ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر ينزله من علو ليبلغ به قلال جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثم فرقه رذاذاً ووابلاً وهطلاً وطلاً لتنشفه أرضوكم، ولم يجعل ذلك المطر نازلاً عليكم قطعة واحدة تفسد أراضيكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم».

«ثم قال: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ يعني مما يخرج من الأرض رزقاً لكم، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أي أشباهاً وأمثالاً من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنها لا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم»^(١).

= التفسير نفسه: (إن الناظر في هذا التفسير لا يشك في أنه موضوع، وجلّ مقام عالم محقق أن يكتب مثل هذا التفسير، فكيف بالإمام (ع)) (معجم رجال الحديث: ١٢/١٦٠).

٢ - وقال (ع): في شرح قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾:

«إن الأُمِّيَّ منسوبٌ إلى أمّه، أي هو كما خرج من بطن أمّه لا يقرأ ولا يكتب، ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ المنزل من السماء ولا المكذّب به، ولا يميّزون بينهما ﴿إِلَّا أَمَانِي﴾ أي إلا أن يُقرأ عليهم ويقال لهم: إن هذا كتاب الله وكلامه، لا يعرفون إن قرء من الكتاب خلاف ما فيه، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي ما يقرأ عليهم رؤسائهم من تكذيب محمد (ص)... وهم يقلدونهم مع أنه محرّم عليهم تقليدهم، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾».

ثم قال (ع): «هذا القوم من اليهود كتبوا صفةً زعموا أنها صفة محمد (ص)، وهي خلاف صفته، وقالوا للمستضعفين منهم: هذه صفة النبي المبعوث في آخر الزمان: إنه طويل عظيم البدن والبطن أهدب أصهب الشعر، ومحمد (ص) بخلافه، وهو يجيء بعد هذا الزمان بخمسائة سنة، وإنما أرادوا بذلك لتبقى لهم على ضعفائهم رياستهم... فقال الله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ من هذه الصفات المحرّفات المخالفات لصفة محمد (ص): الشدّة لهم من العذاب في أسوأ بقاع جهنم، ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ الشدّة من العذاب ثانية مضافة إلى الأولى مما يكسبونه من الأموال التي يأخذونها إذ ثبتوا عوامّهم على الكفر بمحمد (ص)».

فقال له أحد السامعين من حضّار هذا المجلس: «إذا كان هؤلاء القوم من اليهود لا يعرفون الكتاب إلا بما يسمعون من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟، وهل عوام اليهود إلا كعوامنا يقلّدون علماءهم!».

فقال (ع): «بين عوامنا وعلماؤنا وبين عوام اليهود وعلماؤهم فرق من جهةٍ وتسوية من جهة: أما من حيث أنهم استوتوا فإن الله قد ذمَّ عوامنا بتقليدهم علماءهم كما ذمَّ عوامهم، وأما من حيث أنهم افترقوا فلا».

فقال السائل مستوضحاً: (بَيِّنْ لي يا ابن رسول الله).

«قال (ع): إن عوام اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح، وبأكل الحرام والرِّشَا، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات، وعرفوهم بالتعصب الشديد الذي يفارقون به أديانهم، وأنهم إذا تعصبوا أزالوا حقوق من تعصبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقه من تعصبوا له من أموال غيرهم، وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم يقارفون المحرمات، واضطروا بمعارف قلوبهم إلى أن من فعل ما يفعلونه فهو فاسق لا يجوز أن يُصدَّق على الله ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمَّهم لَمَّا قلدوا من قد عرفوه ومن قد علموا أنه لا يجوز قبول خبره ولا تصديقه في حكايته ولا العمل بما يؤديه إليهم عن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله (ص) إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم».

«وكذلك عوام أمتنا إذا عرفوا من فقهاءهم الفسق الظاهر والعصبية الشديدة، والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقاً، وبالترفف بالبر والإحسان على من تعصبوا له وإن كان للإذلال والإهانة مستحقاً. فمن قلد من عوامنا مثل هؤلاء الفقهاء فهم مثل اليهود الذين ذمهم الله بالتقليد لفسقة فقهاءهم».

«فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً عن هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه، وذلك لا يكون إلا بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنه من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة

فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنّا شيئاً ولا كرامة، وإنما كثر التخليط فيما يُحَمَّلُ عنّا أهل البيت لذلك، لأنّ الفسقة يتحملون عنّا فيحرفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء على غير وجوها لقلّة معرفتهم، وآخرون يتعمدون الكذب علينا ليجرّوا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم. ومنهم قوم نُصَّاب لا يقدرّون على القدرح فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا، ويتقصّون بنا عند نُصَّابنا، ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها، فيقبله المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا، فضلّوا وأضلوا، وهم أضرُّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي (ع) وأصحابه، فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المتشبهون بأنهم لنا موالون ولأعدائنا معادون، يدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب، لا جرم أنّ مَنْ عَلِمَ اللّه من قلبه من هؤلاء العوام أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيم وليه لم يتركه في يد هذا المتلبس الكافر، ولكنه يُفِيضُ له مؤمناً يقف به على الصواب، ثم يوفقه الله للقبول منه، فيجمع الله له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على مَنْ أضرّه لعن الدنيا وعذاب الآخرة»^(١).

٣ - وسأله سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾؟

فقال (ع): «له الأمر من قبل أن يأمر به، وله الأمر من بعد أن يأمر»^(٢).

(١) الاحتجاج: ٥٠٨/٢ - ٥١٣.

(٢) المناقب: ٤٦٧/٢ وكشف الغمة: ٢١٦/٣.

٤ - وقال في جواب مَنْ سألَه عن قول الله عز وجل: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾: «هل يمحو الله إلا ما كان وهل يثبت إلا ما لم يكن».

فقال السائل في نفسه: هذا خلاف ما يُنقل عن بعضهم من أنه لا يعلم الشيء حتى يكون!

فأدرك الإمام (ع) ما يدور في خاطر السائل فنظر إليه شزراً وقال: «تعالى الله الجبار العالم بالشيء قبل كونه، الخالق إذ لا مخلوق، والرب إذ لا مربوب، والقادر قبل المقدور عليه»^(١).

وقال (ع) في إيضاح أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق:

«الله خالق كل شيء، وما سواه مخلوق»^(٢).



وعندما نتقل من شؤون تفسير القرآن الكريم إلى ميادين الفقه وأحكام الشريعة، فإننا نجد المأثور عنه ماثلاً للعيان في جميع المصادر الخاصة بهذا الموضوع، وبإمكان الراغب في الوقوف عليه مراجعة كتب الحديث المعنية بذلك، وفي مقدمتها الكتب الأربعة الشهيرة: كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ، وكتاب مَنْ لا يحضره الفقيه لمحمد بن علي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ، وكتابا الاستبصار والتهذيب لمحمد بن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ. وقد ضمت هذه المصادر الأربعة الرئيسة - وكذلك الكتب الأخرى المهمة بهذا الجانب من جوانب الفكر الإسلامي - قدراً لا

(١) إثبات الوصية: ٢١٠ وكشف الغمة: ٣/٢١٥.

(٢) المناقب: ٤٦٧/٢.

يستهان بعده من الأسانيد المتصلة بالإمام العسكري (ع) في شؤون العبادات والمعاملات والإيقاعات والعقود، وقد نصَّ الإمام في بعضها على ذكر علل الأحكام المسؤول عنها وأسبابها التي تخفى على جمهور الناس وعامتهم، كما في قوله (ع) في جواب أحد السائلين وقد قال متظلماً: «ما بال المرأة المسكينة تأخذ سهماً واحداً ويأخذ الرجل سهمين؟»، فردَّ عليه الإمام قائلاً: «إن المرأة ليس عليها جهاد ولا نفقة ولا عليها معقلة (أي دية)، إنما ذلك على الرجال»^(١). وإلى كثير من أمثال ذلك مما يجده الباحث متوفراً في مظانه المعروفة.



وإذا عرَّجنا على الجوانب الأخرى من (تراث الإمامة)، وعلى ما يرتبط منها بشؤون التوعية والتثقيف خاصة، برز أمامنا اهتمام الإمام (ع) بتربية شيعته فكراً وسلوكاً وتقى وأخلاقاً ودلالة حكيمة على المنهج الوسط الرافض للإفراط والتفريط، وكان على رأس تلك التوجيهات لشيعته نهيمهم عن الغلو في الأئمة وزجرهم عن الشذوذ في الاعتقاد بهم والنظرة إليهم، ومن ذلك ما حدَّث به إدريس بن زياد عن نفسه من أنه كان يقول في الأئمة قولاً عظيماً ويغالي فيهم غلواً كبيراً ولا بد أن الإمام قد علم ذلك منه، قال: «فخرجتُ إلى العسكر للقاء أبي محمد (ع)، فقدمتُ وعليَّ أثر السفر... فكان أول ما تلقَّاني به أن قال: يا إدريس، بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون»^(٢).

ومن أمثلة ذلك أيضاً في توجيه شيعته وتأديبهم بأدب أهل

(١) إعلام الوری: ١٤٢/٢.

(٢) المناقب: ٤٦٢/٢.

البيت (ع) مخاطبته إياهم قائلاً: «أوصيكم بتقوى الله، والورع في دينكم، والاجتهاد لله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم من برٍّ أو فاجر، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد (ص). صلوا في عشائركم، واشهدوا جنازتهم، وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس وقيل هذا شيوعي فيسرنى ذلك. اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيئاً. جرّوا إلينا كل مودة وادفعوا عنّا كل قبيح... لنا حق في كتاب الله، وقراءة من رسول الله (ص)، وتطهير من الله، لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت، وتلاوة القرآن، والصلاة على النبي (ص) فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصيتمكم به، وأستودعكم الله»^(١).

ومن تلك الأمثلة أيضاً في حثهم على التمسك بمكارم الأخلاق وحضهم على توثيق العلاقات والروابط الإنسانية في المجتمع ما رواه عنه أحد أصحابه قال:

«سمعتُ أبا محمد الحسن (ع) يقول: إن في الجنة باباً يقال له باب المعروف لا يدخله إلا أهل المعروف»، فقال الراوي: «فحمدتُ الله تعالى في نفسي وفرحتُ مما أتكلفه من حوائج الناس. فنظر إليَّ أبو محمد (ع) وقال: نعم فدمُّ على ما أنت عليه، فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، جعلك الله منهم يا أبا هاشم ورحمك»^(٢).

(١) تحف العقول: ٣٦٧.

(٢) إعلام الوری: ١٤٣/٢ - ١٤٤ وكشف الغمة: ٢١٦/٣ والفصول المهمة: ٢٦٧ وبحار الأنوار: ٢٥٨/٥٠.

وقال الإمام العسكري (ع) أيضاً محرّضاً على قضاء حوائج الإخوان ولين الجانب لهم:

«أعرّف الناس بحقوق إخوانه وأشدهم قضاء لها أعظمهم عند الله شأنًا، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن أبي طالب (ع) حقاً»^(١).

ثم ضمت كتب الحديث والآداب والأخلاق - فيما ضمت من تراث الإمام العسكري (ع) - مجموعة من كلماته الذهبية القصار، التي حملت على اختصار ألفاظها من ضروب الحكمة وألوان التوجيه ما لا نستطيع تحليل أبعادها وتبيان أهدافها بكلمات وسطور. ونورد فيما يأتي بعضاً من هذه الجواهر المتلاثلة والفصوص المتوهجة، ليكون القارئ الكريم على علم بما حملت تلك الأقوال من كنوز الفكر ومعادن المعرفة:

«ليست العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة كثرة التفكير في أمر الله».

«أورّع الناس مَنْ وقف عند الشبهة. أغبّد الناس من أقام على الفرائض. أزهّد الناس من ترك الحرام. أشد الناس اجتهاداً مَنْ ترك الذنوب».

«بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً».

«أقل الناس راحةً الحقود».

«إنكم في آجال منقوصة وأيام معدودة، والموت يأتي بغتة، من

يزرع خيراً يحصد غبطة، ومن يزرع شراً يحصد ندامة، لكل زارع ما زرع. من أعطى خيراً فالله أعطاه، ومن وقى شراً فالله وقاه».

«حصلتان ليس فوقهما شيء: الإيمان بالله ونفع الإخوان».

«خيراً من الحياة ما إذا فقدته أبغضت الحياة، وشرُّ من الموت ما إذا نزل بك أحبت الموت»^(١).



ويجب أن لا يفوتنا ونحن في ختام الحديث عن تراث الإمامة أن نقف على شيء مما كان يستشهد به الإمام العسكري (ع) في بعض المناسبات من الشعر العربي الرصين البليغ، وما كان ينم عنه ذلك الاستشهاد من ذوق أدبي بالغ الرفعة في جودة الانتقاء وبراعة الاختيار، كقوله (ع) وهو يدعو لبعض أصحابه أن يُرزق ولدًا:

«اللهم ارزقه ولدًا يكون له عضدًا، فنعم العضد الولد. ثم تمثل:

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضُدٌ^(٢)
كما رُوي أنه كان يتمثل في رجاء الأولاد بقول الشاعر:

لعلك يوماً أن تراني كأنما بنِّي حوَالِيَّ الأَسْوَدُ اللُّوَابِدُ
فإن تميمًا قبل أن يلد الحصى أقام زمانًا وهو في الناس واحدٌ^(٣)



(١) تحف العقول: ٣٦٧ - ٣٦٨.

(٢) و(٣) كشف الغمة: ٣/٣٠٧ والفصول المهمة: ٢٧٠ وبحار الأنوار: ٥٠/٢٧٥

وكلمة اعتراف بالجميل يجب أن تقال في ختام الحديث عن
(تراث الإمامة):

إن الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام أبي محمدٍ العسكري (ع) على تراثه العظيم وما حمل من فكر وعطاء، إنما يعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له، الذين سمعوا منه ذلك أو كاتَّبوه فحدَّثوا به وأبلغوه إلى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالاطلاع عليه والإفادة منه والاهتداء بهديه، ونخص بالذكر منهم أولئك النوابغ الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات حفظتها من الضياع وحمتها من النسيان، وكان فيهم من بَوَّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من اكتفى بإيداع ما سَمِع في مجموعات أُطلق عليها في فهارس تلك العصور اسمُ (النوادر) أو (كتاب مسائل).

ونورد فيما يأتي - رعايةً لما التزمنا به من الاختصار والإيجاز - جريدة تحوي أسماء الرواة عن الإمام العسكري (ع)، مع التنويه بمن نصَّ المؤرخون على من كان منهم صاحب كتاب أو مدوِّنة، وتسمية ما ذكر المترجمون لهم من مؤلفات ومصنفات. معلنين الإقرار لهم باليد البيضاء والإحسان الخالد على جميع طلاب العلم والمعرفة المستفيدين من ذلك كله على كرِّ السنين، ومسجلين أسمى مشاعر التقدير والإكبار لهم بحكم

كونهم بعضاً من تلك الطلائع المتقدمة في الجمع والتدوين في التاريخ العربي الإسلامي، ومن جملة الرعيل السابق من رواد هذا الميدان في المائة الهجرية الثالثة^(*):

- ١ - إبراهيم بن خضيب الأنباري.
- ٢ - إبراهيم بن عبدة بن إبراهيم النيسابوري.
- ٣ - إبراهيم بن علي.
- ٤ - إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري.
- ٥ - إبراهيم بن يزيد.
- ٦ - أحمد بن إبراهيم، أبو حامد، المراغي.
- ٧ - أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داوود بن حمدون، أبو عبد الله، الكاتب النديم، شيخ أهل اللغة وصاحب المصنفات. ذكرنا مؤلفاته في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه من الرواة عنه أيضاً.

(*) عُني الباحث المرحوم الشيخ عناية الله علي القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري، بجمع رجال الكشي (وهو من مؤلفي النصف الأول من القرن الرابع) وكتاب رجال ابن الغضائري (من مؤلفي النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠هـ وكتابي الرجال والفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، فأورد هذه الكتب بألفاظها، مع تمييز نص كل واحد منها منفرداً مستقلاً من غيره. وسمى هذا المجموع (مجمع الرجال)، وهو مطبوع في سبعة أجزاء.

وقد رجعت إلى هذا الكتاب - بما تضمن من نصوص تلك الكتب - في ضبط أسماء الرواة عن الإمام العسكري (ع)، وفي تبين أسماء مؤلفات من كان منهم مؤلفاً، ورمزنا له ب(مجمع). كما رجعت في بعض هؤلاء المؤلفين إلى فهرست ابن النديم أيضاً.

(مجمع: ٨٧/١).

- ٨ - أحمد بن إدريس القمي المعلم.
- ٩ - أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك بن الأحوص، أبو علي، الأشعري القمي، له مؤلفات، منها:
- أ - كتاب علل الصلاة، كبير
- ب - كتاب علل الصوم، كبير.
- ج - مسائل الرجال لأبي الحصن الثالث (ع)، من جمعه.
- (مجمع: ٩٦/١).

١٠ - أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن فضال، أبو عبد الله، المتوفى سنة ٢٦٠هـ، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً.

(مجمع: ١٠٤/١ - ١٠٥).

١١ - أحمد بن حماد المحمودي، أبو علي - وربما كان ولده محمد هو الراوي عن الإمام العسكري (ع).

(مجمع: ١١١/١).

١٢ - أحمد بن عبد الله بن مروان الأنباري.

١٣ - أحمد بن محمد الحضيبي، نزيل الأهواز.

١٤ - أحمد بن محمد بن سيّار، أبو عبد الله، الكاتب البصري، من كتّاب آل طاهر، صنّف كتباً متعددة تقدم ذكرها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً.

(مجمع: ١٥٠/١).

١٥ - أحمد بن هلال العبرتائي، البغدادي، المولود سنة ١٨٠هـ والمتوفى سنة ٢٦٧هـ. له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً.

(مجمع: ١/١٧٣).

١٦ - أحمد بن يزيد.

١٧ - إسحاق بن إسماعيل النيسابوري.

١٨ - إسحاق بن محمد بن أحمد، أبو يعقوب، البصري.

١٩ - إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل، الهاشمي العباسي.

٢٠ - جابر بن يزيد الفارسي، أبو القاسم.

٢١ - جعفر بن إبراهيم بن نوح.

٢٢ - جعفر بن سهيل الصيقل، وكيل أبي الحسن وأبي محمد (ع).

٢٣ - الحسن بن أحمد المالكي.

٢٤ - الحسن بن جعفر الفافاني، أبو طالب.

٢٥ - الحسن بن علي بن النعمان الكوفي، له مؤلفات منها:

أ - كتاب نوادر الحديث.

(مجمع: ٢/١٣٨).

٢٦ - الحسن بن محمد بن بابا.

٢٧ - الحسن بن موسى الخشاب، له مؤلفات منها:

أ - كتاب الأنبياء.

ب - كتاب الحج.

- ج - كتاب الرد على الواقعة.
- د - كتاب النوادر.
- (مجمع: ١٥٦/٢).
- ٢٨ - الحسن بن النضر، الأبرش، أبو عون.
- ٢٩ - الحسين بن أشكيب المروزي، المقيم بسمرقندوكش، له مصنفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً.
- ٣٠ - الحسين بن الحسن بن أبان.
- ٣١ - حفص بن عمرو العمري، ويدعى حفص بالجَمال.
- ٣٢ - حمدان بن سليمان النيسابوري، أبو سعد (أو سعيد)، له مؤلف.
- (مجمع: ٢٣٢/٢).
- ٣٣ - حمزة بن محمد.
- ٣٤ - داوود بن أبي زيد (أو يزيد) النيسابوري.
- ٣٥ - داوود بن عامر الأشعري القمي.
- ٣٦ - داوود بن القاسم، أبو هاشم، الجعفري البغدادي، له مؤلف.
- (مجمع: ٢٨٨/٢ - ٢٨٩).
- ٣٧ - سعد بن عبدالله بن أبي خلف، أبو القاسم، الأشعري القمي، المتوفى سنة ٣٠١ و قيل في سنة ٢٩٩ هـ، له مؤلفات كثيرة، منها:
- أ - كتاب احتجاج الشيعة على زيد بن ثابت في الفرائض.
- ب - كتاب الاستطاعة.

- ج - كتاب الإمامة .
- د - كتاب بصائر الدرجات، أربعة أجزاء .
- هـ - كتاب جوامع الحجج .
- و - كتاب الدعاء .
- ز - كتاب الرحمة: وهو يشتمل على كتبٍ، منها: كتاب الوضوء، كتاب الطهارة، كتاب الصلاة، كتاب الزكاة، كتاب الصوم، كتاب الحج .
- ح - كتاب الردّ على علي بن إبراهيم بن هاشم في معنى هاشم ويونس .
- ط - كتاب الردّ على الغلاة .
- ي - كتاب الردّ على المجبّرة .
- ك - كتاب الضياء في الإمامة .
- ل - كتاب فضل الدعاء والذكر .
- م - كتاب فضل العرب .
- ن - كتاب فضل النبي (ص) .
- س - كتاب فهرست كتب ما رواه .
- ع - كتاب في فضل أبي طالب وعبدالمطلب وعبدالله .
- ف - كتاب في فضل قم والكوفة .
- ص - كتاب قيام الليل .
- ق - كتاب المتعة .

- ر - كتاب مثالب رواة الحديث.
- ش - كتاب المزار.
- ت - كتاب مقالات الإمامية، ولعله المسمى: كتاب فرق الشيعة.
- ث - كتاب مناقب رواة الحديث.
- خ - كتاب مناقب الشيعة.
- ذ - كتاب المتخبات، نحو من ألف ورقة.
- ض - كتاب ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه.
- ظ - كتاب النوادر. (مجمع: ١٠٥/٣ - ١٠٧).
- ٣٨ - السندي بن الربيع، الكوفي البغدادي: له مؤلف.
(مجمع: ١٧٣/٣).
- ٣٩ - سهل بن زياد، أبو سعيد، الآدمي الرازي، له كتابان ذكرناهما في كتابنا (الإمام محمد بن علي الجواد (ع)).
(الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ١٧٩/٣ - ١٨٠).
- ٤٠ - شاهويه بن عبد الله الجلاب.
- ٤١ - صالح بن أبي حمّاد، أبو الخير، الرازي، له مؤلفات، منها:
أ - كتاب خطب أمير المؤمنين (ع).
ب - كتاب نوادر.
(مجمع: ٢٠٢/٣).
- ٤٢ - صالح بن عبد الله الجلاب.
- ٤٣ - عبد العظيم بن عبد الله الحسني: له مؤلف ذكرناه في كتابنا (الإمام

علي بن محمد الهادي (ع))، لأنه كان من الرواة عنه أيضاً.

٤٤ - عبد الله بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع، أبو العباس، الحميري القمي: قدم الكوفة في سنة نيف وتسعين ومائتين، وسمع منه أهلها: له مؤلفات كثيرة، منها:

- أ - كتاب الإمامة.
 - ب - كتاب التوحيد والاستطاعة والأفاعيل والبداء.
 - ج - كتاب الدلائل.
 - د - كتاب الطب.
 - هـ - كتاب الغيبة.
 - و - كتاب الغيرة (أو الغيبة) والحيرة.
 - ز - كتاب فضل العرب.
 - ح - كتاب قرب الإسناد (إلى الرضا (ع)).
 - ط - كتاب قرب الإسناد (إلى أبي جعفر بن الرضا (ع)).
 - ي - كتاب قرب الإسناد (إلى صاحب الأمر (ع)).
 - ك - كتاب ما بين هشام بن الحكم وهشام بن سالم (في القياس والأرواح والجنة والنار والحديثين المختلفين).
 - ل - كتاب المسائل والتوقيعات.
 - م - كتاب مسائله عن محمد بن عثمان العمروي.
- (مجمع: ٢٧٣/٣ - ٢٧٤).
- ٤٥ - عبد الله بن حمدويه البيهقي.

- ٤٦ - عبدالله بن محمد، أبو محمد، الشامي الدمشقي .
- ٤٧ - عبدالله بن محمد بن خالد بن عمر، أبو الفباس، العياليسي
اللاوعي التميمي، له من المؤلفات:
أ - كتاب نوادر (صغير).
ب - كتاب نوادر (كبير). (مجمط: ٢٥٩/٣ و٤٨/٤).
- ٤٨ - عبدوس بن إبراهيم، الفعار البغدادي: له مؤلف.
(مجمط: ١١٢/٤).
- ٤٩ - عثمان بن سفيد، الفمري، الزيّات والسّمّان، أبو عمرو.
- ٥٠ - عروة بن يحيى، الدهقان القمي البغدادي الوكيل.
- ٥١ - علي بن بكل، أبو محمد، الأسلامعي.
- ٥٢ - علي بن جعفر، قيّم لأبي الحسن (ع).
- ٥٣ - علي بن جعفر بن الفباس، الخزاعي المروزي.
- ٥٤ - علي بن الحسن بن علي بن حصّال، أبو الحسن، اللاوعي، كثير المؤلفات، وقد ذكرناها بالتفصيل في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)).
- ٥٥ - علي بن رميس البغدادي.
- ٥٦ - علي بن الرّيّان بن الصلت: له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)).
- ٥٧ - علي بن زيد بن علي الفلوي.
- ٥٨ - علي بن سليمان بن داوود الرقي.

- ٥٩ - علي بن شجاع النيسابوري .
- ٦٠ - علي بن عبد الله بن مروان البغدادي .
- ٦١ - علي بن محمد بن الياس .
- ٦٢ - علي بن محمد بن زياد الصيمري .
- ٦٣ - عمر بن أبي مسلم .
- ٦٤ - العمركي بن علي، أبو محمد، البوفكي النيسابوري - وبوفك: قرية من قرى نيسابور -، له من المؤلفات:
- أ - كتاب الملاحم .
- ب - كتاب نوادر . (مجمع: ٢٧٤/٤) .
- ٦٥ - عمرو بن سويد المدائني .
- ٦٦ - عيسى بن أحمد بن عيسى، أبو موسى، السُرَّمَرَّائِي .
- ٦٧ - الفضل بن الحارث .
- ٦٨ - الفضل بن شاذان (أو شاذان)، أبو محمد، النيسابوري، له مؤلفات كثيرة ذكرناها في كتابنا: (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً .
- ٦٩ - القاسم بن هشام اللؤلؤي، له من المؤلفات:
- أ - كتاب النهي .
- ب - كتاب النوادر .
- (مجمع: ٥٣/٥) .
- ٧٠ - محمد بن إبراهيم بن مهزيار .

٧١ - محمد بن أبي الصهبان عبد الجبار القمي: له من المؤلفات: كتاب روايات.

(مجمع: ١١٦/٥).

٧٢ - محمد بن أحمد بن جعفر القمي.

٧٣ - محمد بن أحمد بن مطهر البغدادي اليونسي.

٧٤ - محمد بن أحمد بن نعيم، أبو عبد الله، الشاداني النيسابوري.

٧٥ - محمد بن بلال.

٧٦ - محمد بن الحسن بن شمون البصري، المتوفى سنة ٢٥٨هـ: له مؤلف.

(مجمع: ١٨٧/٥).

٧٧ - محمد بن الحسن الصفار، له كتاب مسائل كتب بها إلى أبي محمد الحسن بن عليّ (ع).

(مجمع: ١٨٩/٥).

٧٨ - محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات الكوفي، المتوفى سنة ٢٦٢هـ: له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه روى عنه أيضاً:

٧٩ - محمد بن حفص بن عمرو، أبو جعفر، العمري.

٨٠ - محمد بن ربيع بن سويد السائي.

٨١ - محمد بن صالح الأرمني.

٨٢ - محمد بن صالح الخثعمي.

- ٨٣ - محمد بن صالح بن محمد، الدهقان الهمداني .
- ٨٤ - محمد بن عبد الحميد العطار الكوفي .
- ٨٥ - محمد بن علي بن بلال .
- ٨٦ - محمد بن علي التستري .
- ٨٧ - محمد بن علي الذراع .
- ٨٨ - محمد بن علي القسري .
- ٨٩ - محمد بن علي الكاتب .
- ٩٠ - محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين البغدادي اليونسي : له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام علي بن محمد الهادي (ع)) لأنه كان من الرواة عنه أيضاً .
- ٩١ - محمد بن موسى السريعي .
- ٩٢ - محمد بن موسى بن الحسن بن فرات .
- ٩٣ - محمد بن نصير .
- ٩٤ - محمد بن يحيى بن زياد .
- ٩٥ - محمد بن يحيى المعاذي .
- ٩٦ - محمد بن يزداد الرازي .
- ٩٧ - هارون بن مسلم بن سعدان الكوفي الذي تحوّل منها إلى البصرة ثم إلى بغداد فمات بها، وكان يلقّب: الكاتب السرمّرائي، له مؤلفات منها:
- أ - كتاب التوحيد .

- ب - كتاب الخطب .
 ج - كتاب الدعاء .
 د - كتاب روايات ومسائل .
 هـ - كتاب الفضائل .
 و - كتاب المغازي .
 (مجمع : ٦ / ٢٠٤) .
 ٩٨ - يحيى البصري .
 ٩٩ - يعقوب بن إسحاق البرقي .
 ١٠٠ - يعقوب بن منقوش (أو منقوش) .
 ١٠١ - يوسف بن السخت، أبو يعقوب، البصري .



الكنى

- ١٠٢ - أبو البختری .
 ١٠٣ - أبو خلف العجلي .



وبعد:

فماذا يستطيع القائل أن يقول في التعريف بمن جمع السؤدد من أطرافه والسمو من جهاته، فالتفت في بُرْدِيهِ أزكى نفحات السماء وأعظم أمجاد الأرض!

وماذا بقي لمتحدثٍ أن يتحدث وهو بإزاء هذا الطود الشامخ والمقام الباذخ، وحيث تتلأأ أنوار النبوة والقرآن في إنسان، وتتجسد روائع الغيب والشهادة في رجل، وتتجسم بدائع الدنيا والدين في فرد.

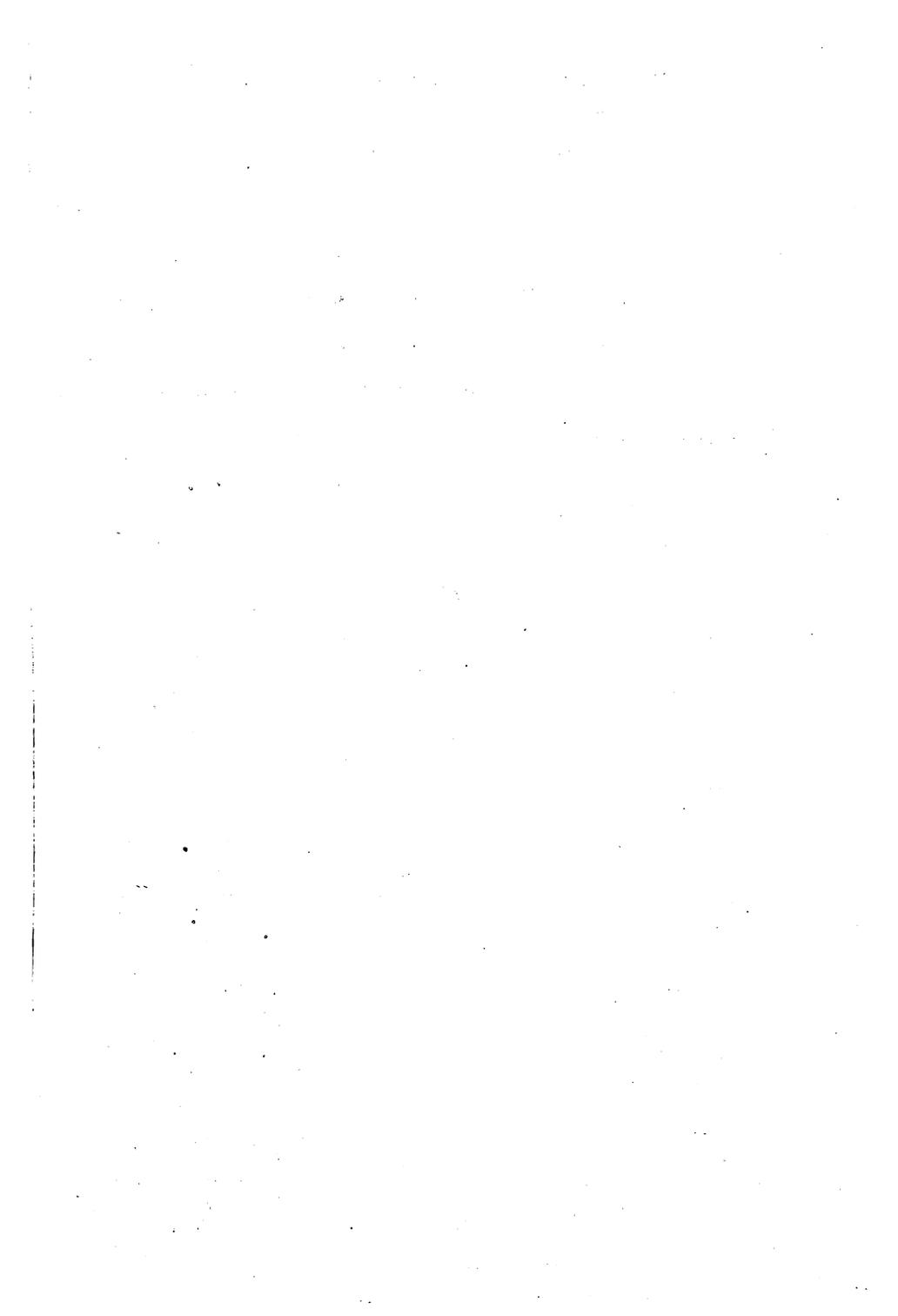
إنه الإنسان الذي كان من بعض امتيازات شخصيته المقدسة انتماءؤه إلى تلك العترة الطيبة المباركة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها من الدنس، وإلى هاتيك الشجرة الزاهرة الناضرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإلى ذلك الجمع المنتجب الذي يشكّل مع القرآن الكريم ثقليّ تركة الرسالة اللذّين لن يفترقا حتى يردا الحوض يوم القيامة.

ومع أن ما تقدّم عرضه من تاريخ الإمام الحسن العسكري (ع) في هذا البحث كان قائماً على الإيجاز والاختصار - نزولاً على ما التزمنا به في منهج تحرير هذه السلسلة -، فحسبه أنه لم يكن إيجازاً مخلصاً بإبراز الخطوط الأساسية العريضة لذلك التاريخ، ولا اختصاراً مقصراً في بيان النقاط الرئيسة منه، على الرغم من الاعتراف بأن مجال الحديث في

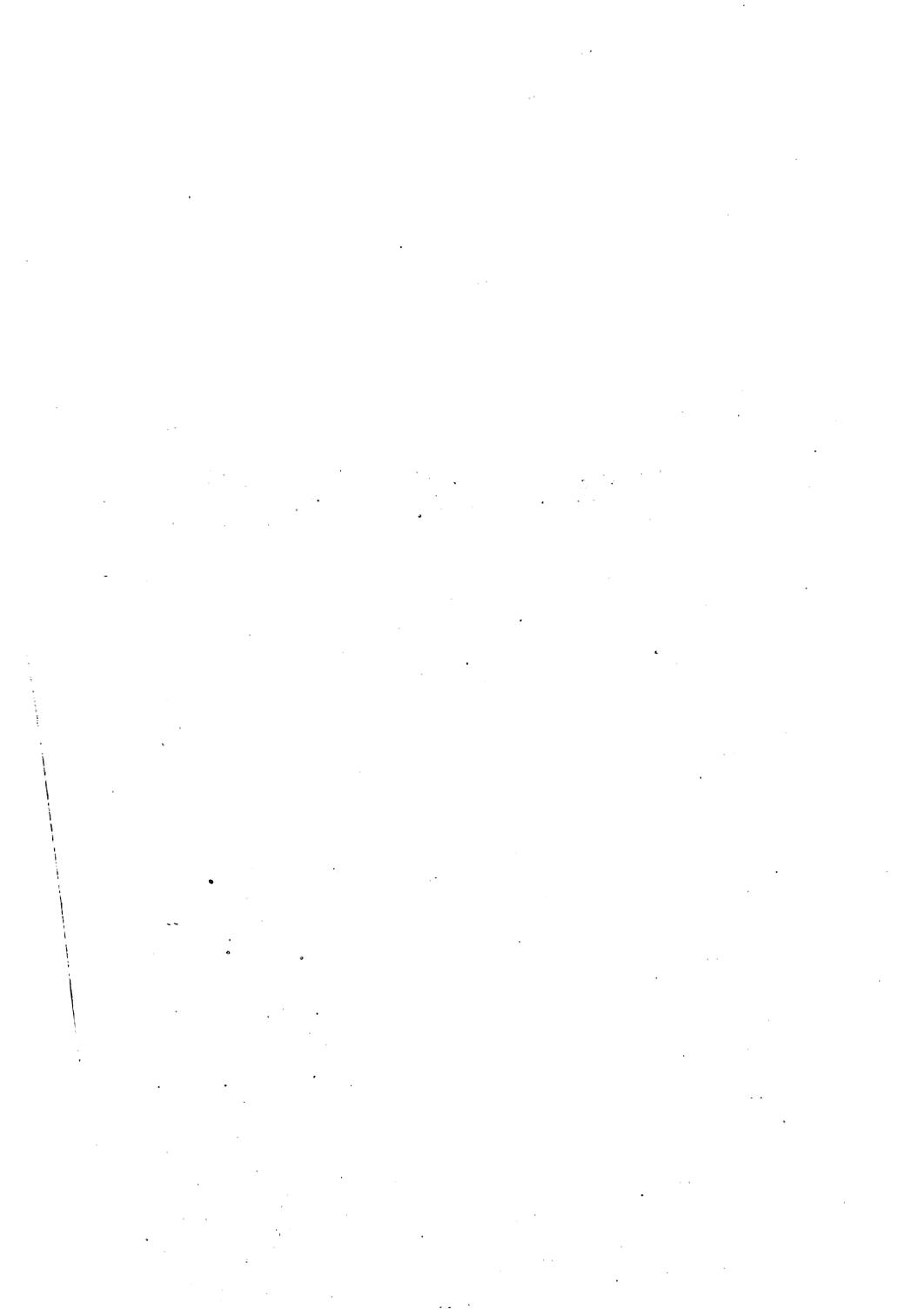
الحقيقة أوسع مما أسلفنا بكثير، وأن ميدان الكلام فسيح جداً لمن شاء التبسط فيه .

وليس عندي ما أقوله في نهاية المطاف سوى أبلغ الحمد لله تعالى على مننه السابغة وآلائه الواسعة، وأجزل الشكر على نعمه الجسيمة ومواهبه العظيمة، وأصدق إقرار العبودية بأياديه الجميلة وعطاياه الجزيلة، سائلاً منه عزّ وجل أن يمنحني المزيد من التوفيق والتسديد، ويتفضل عليّ بدوام ما عوّدني عليه من مدد الخير والتأييد، أنه نعم المولى ونعم النصير .





عَمَّا لَدُنْهُ
الإمام محمد بن الحسن البهائي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عقدتُ الفصل الأول من هذه الرسالة على «محمد بن الحسن المهدي بين ولادته وإمامته»، فتحدثت فيه عن تاريخ ولادته - يوماً وشهراً - سنة - في أرجح الروايات وأصحها، وعن تلك الليلة السعيدة التي ولد فيها هذا المنتظر لإقامة دولة الحق وما فعل الإمام الحسن العسكري (ع) إثر الولادة من إجراء أحكام السنّة؛ من الأذان في أذني الوليد وذبح العقائق وتوزيع الصدقات على الفقراء.

ثم تحدثت خلال ذلك عما كان يحيط بخبر هذا المولود من سرّيّة وكتمان بالغين وعن الأسباب الدافعة على هذا التخفي والجوانب المتعددة التي شملها ذلك الكتمان، وكيف استغل الأعداء والمشككون هذا التستر لإنكار وجود ولدٍ للإمام العسكري. وأوردتُ أسماء المؤرخين الذين نصوا على ولادة الإمام المهدي - وفيهم الشيعي والمالكي والشافعي والحنفي والحنبلي - والروايات المروية عن الإمام العسكري (ع) بوجود ولده وإراءته إياه لبعض خواص شيعته. وناقشت في أثناء ذلك بعض الشكوك المثارة في هذا الموضوع؛ كالاختلاف في تاريخ الولادة؛ ومسألة وصية الإمام العسكري لوالدته دون ولده، وعدم الاتفاق على اسم أمّ المهدي؛ وعدم حضور أحدٍ من النساء غير السيدة حكيمّة ساعة الولادة؛ وكذلك ادعاء جعفر بن علي الإمامة بعد أخيه الحسن منكرّاً وجود ولدٍ لأخيه، معتمداً في كل ذلك على أقدم المصادر وأوثق الروايات.

وعقدتُ الفصل الثاني على «الإمام محمد بن الحسن المهدي (ع)

بين إمامته وغيبته»، فتحدثت فيه عن الدليل على إمامته في أبرز وجوهه الثلاثة التي ذكرها الباحثون، وكان الوجه الأول منها: النص عليه من جهة أبيه خاصة بالقدر الذي يصح عدّه من المتواتر معنى ومضموناً، وكذلك النص عليه بالذات من قبل أئمة أهل البيت (ع) السابقين على الإمام العسكري.

ثم كان الوجه الثاني من الأدلة على إمامته: النص النبوي على عدد الأئمة وكونهم اثني عشر لا يزيدون ولا ينقصون، وتصريح المحدثين بأن ذلك الحديث صحيح ومتواتر وفي أعلى درجات الصحة والتواتر، وإلى الحد الذي ينفي كل محاولة للتشكيك فيه أو نسبته إلى الضعف أو الإبهام.

وكان الوجه الثالث من ذلك الدليل: النص النبوي على اسم المهدي وغيبته، وهو نص متواتر المعنى والمدلول بما لا يصح فيه النقاش أو التردد، وقد أوردت في الروايات المأثورة عن النبي (ص) في ذلك مما صرّح فيها بكون المهدي من قريش؛ ومن أولاد عبدالمطلب؛ ومن العترة أهل البيت من آل محمد (ص)؛ ومن أولاد علي وفاطمة؛ ومن ذرية الحسين؛ وكونه ثاني عشر الأوصياء والأئمة؛ وابن الحسن العسكري (ع)، مثبتاً عدم صحة بعض الأخبار المنسوبة إلى النبي (ص) مما يخالف ما أسلفناه، سواء منها ما يتعلق باسم أبي المهدي أو الزعم بأنه لا مهدي إلا عيسى بن مريم، مضافاً إلى الرد على بعض الاعتراضات والشبهات المتعلقة بهذا الموضوع. ثم أردفت ذلك بإيراد جريدتين ذكرت في أولهما أسماء بعض الصحابة الذين رووا عن النبي (ص) حديثه في المهدي، وفي الثانية أسماء بعض رجال الحديث من غير الشيعة الإمامية الذين نصّوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرّحوا بصحتها. وألحقت ذلك بسرد أسماء بعض الباحثين من

المحدثين الذين ألفوا الكتب والرسائل في موضوع المهدي من غير الشيعة أيضاً، وكذلك أسماء بعض الشعراء الذين ذكروا المهدي في شعرهم؛ مترقبين يوم ظهوره ومقرين بحتمية ذلك.

وعقدتُ الفصل الثالث على «غيبة الإمام المهدي (ع) بين المثبتين والمنكرين» فتحدثت فيه عن غيبة الإمام والدليل عليها، مستعرضاً الآراء في إمكان بقاء الإنسان على قيد الحياة طيلة قرون وقرون، وذكرتُ ما يجب أن يقال في مقدمة هذا البحث من أن الإيمان بمسألة الغيبة جزءٌ لا يتجزأ من الإيمان بالأمر التي ورد النص القطعي عليها في القرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح بحكم كونهما مصدر التشريع والعقيدة وباب المعرفة عند المسلمين، وأوردتُ في خلال ذلك النصوص النبوية على الغيبة وما يدعم ذلك من الأحاديث المصرحة بضرورة وجود إمام حيٍّ في كل عصر وزمان لئلا يموت الإنسان الجاهل بإمام زمانه ميتة جاهلية. ثم شرحتُ موضوع (الغيبة الصغرى) التي كان يتصل المؤمنون فيها بإمامهم بواسطة وكلائه المعيّنين المعروفين فيسألون ويستفهمون وكيف كانوا يتلقون الأجوبة على تلك الأسئلة والحلول لتلك المشاكل، مستشهداً على ذلك بفقرات من تلك الجوابات المأثورة فيما تعم به الحاجة وما ينفع الناس.

ثم شرحت موضوع (الغيبة الكبرى) وما قال العلماء في تفسيرها وتحديد المراد منها وبيان دوافعها وأسبابها، موضحاً الموقف من مقولة إمكان بقاء الإنسان حياً طوال هذه السنين، ومبيناً حديث القرآن الكريم ومصادر الدين والتاريخ عن وقوع ذلك مرات ومرات، ثم حديث العلم المعاصر عن إمكان ذلك وعن منطلقات العمل الدؤوب في كل مراكز البحث العلمي في العالم في اتجاه إطالة عمر الإنسان. ثم ختمت الكلام في ذلك بذكر ما تنتظره البشرية اليوم من توقع ظهور مصلح منتظر يقود

ركب الإنسانية إلى النهج السوي ويحمله على الصراط المستقيم، مستشهداً بما بَشَّرَ به الفيلسوف البريطاني (برناردشو) من حاجة الكرة الأرضية إلى هذا المنقذ الذي سماه (السوبرمان) وما ذكره في كتابه «الإنسان والسوبرمان» من مواصفات هذا المنقذ ومزاياه الخاصة.

ثم أردفت الكتاب في آخره، بملحقين: عُني أولهما بالكلام عما يسمى (سرداب الغيبة) وما قال فيه الأولياء والأعداء؛ وعن الصحيح الثابت في هذا الموضوع. وعُني الثاني بتعريف وافٍ بوكلاء الإمام المهدي (ع) في عصر غيبته الصغرى، ليكون القارئ الكريم على علمٍ بجلال مقامهم وسمو منزلتهم.



وفي الختام - كما في البدء - أحمد الله تعالى أجزل الحمد على كريم آلائه وجميل نعمائه، ثم أضعف الحمد والشكر له عز وجل في آخر هذه السطور على ما وفقني إليه من إكمال هذه السلسلة بالحديث عن الإمام الثاني عشر المنتظر الموعود؛ خاتم الأوصياء وبقية الحجج؛ الذي نتلهم إلى رؤيته وإشراقه طلعتة وحلول يوم ظهوره، ليملاً الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً؛ فترفرف على البشرية راية دولة القرآن وكلمة الحق، وما ذلك على لطفه ومنه بيبعد.

والله أسأل - من قبل ومن بعد - أن يسدّد الخطا على الطريق، ويمد بمزيد من التوفيق، أنه خير مسدّد وموفق ومعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد حسن آل ياسين

الإمام محمد بن الحسن البهائي بين ولادته وإمامته

في أعماق تلك الليلة البهيجة القمراء؛ ومع قرب إشراقة الخيوط الأولى لفجرها الوضّاح المتلألئ^(١)، لليوم الخامس عشر من شهر شعبان على الأرجح الأصح^(٢)، ولعله كان يوم الجمعة^(٣)، من سنة

(١) ورد النص على ولادته عند الفجر في إعلام الوري: ٢/٢١٥؛ وعلى الولادة ليلاً في الإرشاد: ٣٧٢ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ وبحار الأنوار: ٥١/٢٨ وينابيع المودة: ٣٨٦.

(٢) ورد النص على الخامس عشر من شعبان في الكافي: ١/٥١٤ وكمال الدين: ٢٤٠ والإرشاد: ٣٧٢ وإعلام الوري: ٢/٢١٤ ووفيات الأعيان: ٣/٣١٦ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ والوافي بالوفيات: ٢/٣٣٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/٢ و٤ و٢٨ ومجمع الرجال: ٧/١٨٩ وإسعاف الراغبين: ١٣٩ وجواهر الكلام: ٢٠/١٠٠ وينابيع المودة: ٣٨٦.

وقيل: ثامن شعبان كما في وفيات الأعيان: ٣/٣١٦ والوافي بالوفيات: ٢/٣٣٦ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ٥١/١٥ و٣٦٠ ومجمع الرجال: ٧/١٨٩ وعمدة الزائر: ٣٣٤.

وقيل: في شهر رمضان (بحار الأنوار: ٥١/١٦) أو في غرته بالتحديد (عمدة الزائر: ٣٣٤) أو في الثالث والعشرين منه (كشف الغمة: ٣/٢٣٤).

وقيل: تاسع ربيع الآخر كما هو مروى في وفيات الأعيان أيضاً والوافي بالوفيات والأئمة الاثنا عشر.

(٣) ورد النص على يوم الجمعة في كمال الدين: ٢٤١ ووفيات الأعيان والأئمة الاثنا عشر وبحار الأنوار ومجمع الرجال وجواهر الكلام وعمدة الزائر.

خمس وخمسين ومائتين على الأشهر^(١)، ولد أبو القاسم محمد بن الإمام الحسن بن علي العسكري (ع)^(٢)، فكانت لولادته في نفس أبيه ونفوس من حضره من أهل بيته الأقربين فرحة غامرة لا توصف؛ وسرور بالغ لا يُحدُّ بكلمات.

وروى المسعودي عن «جماعة من الشيوخ العلماء» على حدِّ وصفه كما روى غيره أيضاً: أن السيدة حكيمة بنت الإمام أبي جعفر محمد الجواد (ع) كانت تشدها إلى إحدى جوارى الإمام العسكري - واسمها في هذه الرواية نرجس - رابطة وُدِّ وثقى، وكانت نرجس تحبها حباً جماً

(١) الكافي: ٥١٤/١ وإثبات الوصية: ٢١٩ وكمال الدين: ٢٤٠ والإرشاد: ٣٧٢ وإعلام الوري: ٢١٤/٢ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ وكشف الغمة: ٢٤٣/٣ والوافي بالوفيات: ٣٣٦/٢ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ والصواعق المحرقة: ١٠٠ وبحار الأنوار: ٢/٥١ و٤ و٢٨ ومجمع الرجال: ٧/١٨٩ وإسعاف الراغبين: ١٣٩ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢ ونبايح المودة: ٣٨٦ وعمدة الزائر: ٣٣٤.

وقيل: سنة ٢٥٤هـ (بحار الأنوار: ١٦/٥١).

وقيل: سنة ٢٥٦هـ (الكافي: ٥١٤/١ وكمال الدين: ٢٤١ وغيبة الطوسي: ٤١٩ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ وتاريخ الإسلام: ١١٣ والوافي بالوفيات: ٣٣٦/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ وبحار الأنوار: ١٥/٥١ و٢٢ و٣٦٠ و١٦/٥٢ ومجمع الرجال: ٧/١٨٩ وعمدة الزائر: ٣٣٤).

وقيل: سنة ٢٥٨هـ (وفيات الأعيان: ٣١٦/٣ ومطالب السؤل: ٧٩/٢ وكشف الغمة: ٢٣٤/٣ وتاريخ الإسلام: ١١٣ والوافي بالوفيات: ٣٣٦/٢ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧).

(٢) ورد النص على الاسم والكنية في جميع المصادر المعنوية بسير الأئمة وتواريخهم ومنها: الإرشاد: ٣٧٢ والخرائج والجرائج: ٩٠٣/٢ ووفيات الأعيان: ٣١٦/٣ ومطالب السؤل: ٨٠/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ والفصول المهمة: ٢٧٤ والأئمة الاثنا عشر: ١١٧ والصواعق المحرقة: ١٢٤ ونور الأبصار: ١٥٤ ونبايح المودة: ٣٦٦.

وتلقاها عند مجيئها إلى بيت ابن أخيها الإمام العسكري بحفاوة ولهفة فتقبَّل كَفَّها وتنزع خَفَّها بيدها^(١). وإن الإمام قد طلب من عمته وقد قدمت لزيارته في أحد الأيام أن تمكث عندهم لقرب موعد ولادة نرجس، لتتولى من أمرها ما تتولاه النساء من بعضهن حين الولادة. وبعد منتصف الليل من تلك الليلة (العشية) المباركة للنصف من شعبان على الأرجح - كما تقدم - قامت السيدة حكيمه ونرجس فصلتاً نافلة الليل، ثم حدث الطلق على أثر ذلك وتمت الولادة عند الفجر^(٢). فأخذت حكيمه الطفل بعد أن لفته في ثوب. وحملته إلى أبي محمد (ع)^(٣)، «فتناوله وأخرج لسانه فمسح على عينيه ففتحهما، ثم أدخله في فيه فحنَّكه^(٤)، وأذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى^(٥)، وعقَّ عنه بكبشين^(٦)، وأمر بتوزيع الخبز والطعام على الفقراء^(٧).



ومما يجب إيضاحه والوقوف ملياً عنده في هذا المقام تنمَّةٌ لخبر تلك الولادة: أن أمر هذا الوليد الكريم محمد بن الحسن كان قد أُحيط بالسرِّيَّة والكتمان من جميع وجوهه وسائر جهاته، وكان ذلك كله بدافع

(١) إثبات الوصية: ٢١٦.

(٢) الكافي: ٣٣١/١ وإثبات الوصية: ٢١٦ - ٢١٧ وكمال الدين: ٢٣٦ - ٢٣٧ وغيبة الطوسي: ٢٣٤ - ٢٣٦ والإرشاد: ٣٧٦ وإعلام الوري: ٢/٢١٤ - ٢١٥ والخرائج والجرائح: ١/٤٥٥ وكشف الغمة: ٣/٢٤٧ و٣٠١ وبحار الأنوار: ٢/٥١ - ١٢ و١٤ - ١٦ و١٩ - ٢٥ و٢٦ ونيابيع المودة: ٣٨٧.

(٣) إثبات الوصية: ٢١٨.

(٤) إعلام الوري: ٢/٢١٦ وبحار الأنوار: ١٨/٥١.

(٥) نيابيع المودة: ٣٨٧.

(٦) إثبات الوصية: ٢١٩.

(٧) كمال الدين: ٢٤٠ وبحار الأنوار: ٥/٥١ و٢٢ و٢٨.

الحرص على سلامة هذا الولد والحفاظ عليه من دسائس الأعداء ومكائدهم الشريرة، وقد علل المؤرخون ذلك «لصعوبة الوقت» و«شدة طلب سلطان الوقت له واجتهاده في البحث عن أمره»^(١)، مضافاً إلى ما هو معلوم من كون هذا الإمام - كما صرحت الأخبار النبوية التي تداول روايتها المسلمون جيلاً بعد جيل - هو الذي يقوم بالسيف ليحطم معاقل الجور ويبني دولة الحق ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت شروراً وظلماً^(٢).

وترشدنا النصوص التاريخية إلى أن وفاة الإمام العسكري (ع) قد أحدثت في يومها - نتيجة لهذه السرية - هزةً عنيفة في نفوس كثير من الناس حتى بعض أولئك القائلين بإمامته من غير خواصه والثقات المقربين إليه، لأنهم لما فقدوا إمامهم لم يروا لهذا الفقيه بين ظهرانيهم ولداً يتقبل التعازي ويتصدر المأتم وتتمثل فيه المواصفات الشرعية للإمامة والمؤهلات المطلوبة المسلّمة في الفقه الإسلامي.

وكان غير الشيعة من المسلمين كذلك أيضاً وبطريق أولى، فذهب جلّهم إلى إنكار وجود ولدٍ للإمام العسكري، لأنهم لم يشاهدوه مائلاً أمامهم يوم وفاة أبيه وفيما تلا ذلك من الأيام.

وكانت السلطة - بحكم ما يرويه محدثوها وقضاتها في مجالسهم

(١) الإرشاد: ٣٧١ وإعلام الوري: ١٥١/٢ والمناقب: ٤٥٧/٢ وكشف الغمة: ٣/٢١١ والفصول المهمة: ٢٧٢.

(٢) يراجع في الأخبار المأثورة في ذلك عن النبي (ص) والأئمة (ع) وخصوصاً ما ورد فيها من كونه الذي (يملاً الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً): سنن أبي داود: ٤٢٢/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ والبيان: ٥٦ و٥٩ والصواعق المحرقة: ٩٧ - ٩٩ والحاوي: ١٢٤/٢ - ١٢٦ و١٣٠ ومصادر أخرى سوف يرد ذكرها في خلال البحث.

الخاصة - تعلم على الإجمال أن لهذا الفقيه ولداً وأنه الثاني عشر الثائر القائم بالسيف، ولذلك فهي في بحث دؤوب عنه ولكن مع التظاهر بإنكار وجوده إمعاناً في الحرب النفسية والإعلامية التي تريد بها بلبلة أفكار العامة خلال عملية الفحص عن هذا المتواري عن الأنظار.

وربما زاد في هذه البلبلة أو دَعَمَهَا أن الإمام العسكري الذي أخفى خبر ولده عن غير خواصه المقربين لم يجعله وصياً عنه زيادة في ذلك الإخفاء، وإنما كانت أمه الوصية عن ابنها كما هو معروف.

ثم كان جعفر أخو الإمام العسكري - وهو المتهالك على الدنيا وزينتها كما اشتهر بين الناس - قد ادعى خلافة أخيه والإمامة من بعده، ومع أن كبار المسؤولين في الدولة يعلمون كذبه في ذلك لكنهم لم يروا بأساً من مجاراته في دعواه لبعض الوقت تكثيفاً لضباب الشكوك، غير أن الشيعة الواعين لم يصدقوه في ذلك بل أعلنوا رفض زعمه وكذب ادعائه بعد أن أخرجوه بالسؤال عن أمور مجهولة التفاصيل فردَّ جعفر عليهم تلك الأسئلة منكرًا أن يكون هو وأسلافه ممن يعلمون الغيب، فأثبت بإنكاره هذا جهله بتراث سلفه الذي يضم فيما يضم من كنوز المعرفة ما هو مدوّن محفوظ عند الأئمة (ع) من الشؤون الغيبية التي سمعها جدهم علي (ع) من لسان رسول الله (ص) الراوي عن الوحي والمحدث بالغيب^(١) فكتبه في جفرٍ خاص يتداوله أهل البيت (ع) خلفاً عن سلف، مما لم يكن علماً بالغيب بالمعنى المباشر.

وختلاصة القول إفادة مجموع الشواهد والمأثورات التي سردها

(١) يراجع في إخبار النبي (ص) أصحابه بما هو كائن من الأمور إلى قيام الساعة: صحيح البخاري: ١٢٩/٤ وسنن أبي داود: ٤١٠/٢ وسنن الترمذي: ٤٨٣/٤ - ٤٨٤ ومسند أحمد: ٢٥٤/٤ و٣٨٥/٥ و٣٨٩ و٤٠١ والمستدرک علی الصحیحین: ١٦١٧ و١٦٢٨.

المؤرخون بأن الكتمان الذي أحيط به خبر وجود محمد بن الحسن العسكري قد شمل الجوانب الآتية:

- ١ - إخفاء أمر حمل أمّه به، فلم يعرف ذلك إلا أخص الخواص من أصحاب أبيه.
- ٢ - إخفاء أمر الولادة، فلم تحضرها من النساء غير عمّة الإمام العسكري كما تقدم.
- وكان إخفاء أمر الحمل والولادة هو السبب في ورود بعض الروايات المخالفة للمشهور في تحديد يوم الولادة وشهرها وستتها، كما مرّ ذكرها وبيان مصادرها في أحد الهوامش المتقدمة.
- ٣ - إخفاء اسم أمه صيانة لها من احتمال قبض السلطة عليها في وقت ما؛ لاستجوابها في أمر ابنها، ولذلك اختلفت الروايات في تحديد اسمها من بين أسماء جواري الإمام^(١)، لئلا يعلم على وجه التعيين أم محمد بالذات من بين تلكم الإماء.
- ٤ - يضاف إلى ما سبقت الإشارة إليه من عدم نص الإمام العسكري على ابنه في وصيته، بل لم يشركه مع أمه في ذلك لئلا يكشف أمره للأعداء ويكون ذكره له مشجعاً لهم على ملاحقته ومطاردته.
- ٥ - إخفاء مكان وجود هذا الولد فلم يعلم به سوى أقرب المقربين من

(١) المشهور في اسمها أنها نرجس، وقيل: صقيل، وقيل: حكيمة، وقيل: سوسن،

وقيل: خمط، وقيل: ريحانة، وقيل: مريم بنت زيد.

يراجع في ذلك كله: الإرشاد: ٣٧٢ وجمهرة أنساب العرب: ٦١ والفصل: ٤/

١٨١ ومطالب السؤل: ٨٠/٢ وتذكرة الخواص: ٣٧٧ ووفيات الأعيان: ٣/

٣١٦ وكشف الغمة: ٣/٢٣٤ و٢٤٣ و٢٧٥ والفصول المهمة: ١٢/٥١ و١٥ و١٦

و١٧ و٢٢ و٢٤ و٢٨ و٣٦٠ و١٦/٥٢ ومجمع الرجال: ١٨٩/٧ ونور الأبصار:

١٥٤ وجواهر الكلام: ١٠٠/٢٠ وعمدة الزائر: ٣٣٤ وينابيع المودة: ٣٨٦ وتحفة

العالم: ٧٤/٢ وعقيدة الشيعة: ٢٢٧ - ٢٢٨.

ثقات الأصحاب، ولم يره إلا الأئمء المخلصون من خاصة الشيعة^(١).

وطبيعي أن تثير هذه السريّة المتعددة الجوانب كثيراً من الشكوك في نفوس الأبعدين عن دائرة الارتباط الوثيق والعلاقة المباشرة بشؤون الإمامة والأئمة، وهم الذين لم يعلموا بنبأ ولادته كي يقروا بوجوده، وكانت للسلطة - كما تقدمت الإشارة - يد طولى في تلك الحرب النفسية المستغلة لكتمان أمر هذا الوليد لنفي ميلاده وتكذيب خبره، وإن بقيت تبحث عنه هنا وهناك حقبة من الزمن حتى أيست من استطاعتها العثور عليه والإمساك به. ثم كان لجعفر بن علي في ادعائه الإمامة بعد أخيه أثر قوي في نفي وجود ابن لأخيه كي يحوز النار لرغيفه، فزاد نفيه في البلبلة وترداد الشائعات بموت الإمام العسكري (ع) من دون عقب.

وهكذا بدأت تتسرّب الرّيب وتقوى ليستغلها منذ ذلك اليوم بعض الكتاب والمؤرخين - ومنهم السطحيون ومنهم المعادون لأهل البيت -، فكان فيهم المؤكّد للنفي، بل كان فيهم المتهمم بمن يعتقد بإمامة من لم يوجد ولم يولد ولم ير النور.

ولكيلا نسوّد كثيراً من الصفحات بسرد ما حرره أولئك المنكرون على مرّ القرون، نجمل ذلك كله بالإشارة إلى الكتب التي أفرزتها المطابع في السنين الأخيرة وقد جمعت الأقاويل السابقة والشبهات اللاحقة، وهي كتب توحى وحدة مضمونها ومنطقاتها بأن هناك من خلفها (فئة) أو (فئات) - قد تكون متعاونة ومنظمة وربما لا تكون - تعمل بدأب وجدّ وفي إطار مخطط يكاد يكون كالمتفق عليه في التشكيك بالمهدي المنتظر ومحاولة نفي وجوده من الأصل بمختلف أساليب النفي والتشكيك.

ويستفاد مما قرأنا من كتابات هذه الزمرة أن عدداً من أفرادها قد غلّفوا أنفسهم بأسماء رمزية غير معروفة؛ ليدعوا أنهم كانوا في يوم من الأيام من شيعة أهل البيت المؤمنين بالأئمة الاثني عشر ثم انقلبوا على الأعقاب بعد وضوح الأمر لديهم حسب زعمهم، وبرز من بينهم مَنْ رمز لنفسه باسم (أحمد الكاتب) ومن اختار اسم (حسين الموسوي) ومن أطلق على نفسه اسم (ناصر الدين شاه) وإلى آخر تلك الأسماء الملفقة الموهومة. ثم أطلّ علينا من بينهم أخيراً باحث يصلح أن يُعدَّ المنظر أو القائد لهذه المجموعة، وقد طرح نفسه في الساحة باسمه الصريح وعنوانه الواضح وهو (الدكتور عداب محمود الحمش)، فسار في الطريق نفسه وكرّر شكوك أولئك الكتّاب ودعاواهم ولكن بأسلوب حاول أن يكون أكثر فرقةً وضجيجاً، فحمل حملة شعواء على مجموع المأثور من الحديث النبوي عامةً وما يتربط منه بموضوع المهدي خاصة؛ مما أوردته كتب الحديث الشهيرة التي ترجع إليها طوائف المسلمين من السنة والشيعه، ولم يستثن من كل ذلك إلا الصحيحين - كالعادة - من دون ذكر لما يمكن أن يُردّد ويفرض من الأحاديث الواردة فيهما، بل مرتضياً ومصححاً لكل ما رواه الشيخان، حتى لو كان الرواة أمثال سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان.

ثم كان آخر المطاف ذلك الاستطلاع الصحفي الذي طلعت علينا به جريدة «الملتقى الدولي» المصرية وهو يحمل عنوان (قنبلة فجرتها أجهزة الاستخبارات الغربية/ حكاية إذاعة بيان المهدي المنتظر عبر الفضائيات)^(١)، وقد أورد محرر الاستطلاع في بدئه خلاصةً للتحليلات

(١) جريدة الملتقى الدولي/ العدد ذو الرقم (٤٨٠) السنة التاسعة/ الصادر في يوم

والنتائج التي توصل إليها الكاتب الصحفي محمد عيسى داوود في كتابه «المهدي المنتظر على الأبواب» إذ قال فيه عن المهدي ما لفظه:

«إنه هدية الله عز وجل لتحقيق وعده للمؤمنين الصادقين بالنصر المؤكد والتمكين في الأرض، وظهور دين سيد الخلق والأكوان والكائنات سيدنا محمد (ص) على الدين كله ولو كره المشركون... ولو كره الحاقدون... مصداقاً للحديث الشريف المتفق عليه عند سائر المسلمين من أهل السنة والشيعة: (لا تنقضي الدنيا حتى يقبض الله للأرض رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً)... أن المهدي يمثل السمو في الدين والفكر والسلوك... و«ليس هو عيسى (ع) على الإطلاق... حقاً سيتعاصران لكنهما شخصان مختلفان، وحديث (لا مهدي إلا عيسى بن مريم) حديث فيه نظر».

ثم استطرد كاتب الاستطلاع بعد هذا التمهيد قائلاً:

«حدث في شهر يناير سنة ١٩٩٢م أن كرَّ بعض أعداء الإسلام على (المهدي المنتظر) فكرةً وقضيةً وكلمةً حقَّ بحرب شعواء محسوبة المبادئ والنهايات، حافلة بالمغالطات... وألبوا الكتاب والمفكرين في أمريكا وأوروبا بل والعرب؛ على هدم هذه الفكرة واقتلاعها من جذورها، ونشروا فعلاً مئات المقالات والأبحاث التي شككت وتشكك حتى الآن المسلمين بأوروبا وأمريكا والمسلمين بكل مكان وتُسقط في أذهانهم أن حرب اليهود والمسلمين هي دائماً حرب خاسرة للمسلمين، ولا مهرب أمامهم من السلام الاستسلامي».

وقال الأستاذ محمد عيسى في خلال كتابه المذكور: إن المفكر الأمريكي اليهودي الأصل (L.S. HANS ILYA) كان قد أثار قضية المهدي «وصرح بأن المهدي المنتظر هو (وهم) لا بد منه للمسلمين،

لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا دون أوهام النصر على اليهود واسترداد بيت المقدس. حتى إننا كمفكرين نلاحظ أنه كلما أذَلَّ اليهود المسلمين تفجرت قضية المهدي وكانت الشماعة التي يعلّق عليها المسلمون آمالهم، وكلما دان أودنا لليهود أمرٌ وجدت المسلمين يقولون إنها مقدمة للمهدي، ولم ير أحدٌ من هو المهدي الذي حلموا به ولا يزالون».

«أما الكاتب الإنجليزي (AOZOAL D.K.L) فقد قال: إن المهدي كذبة كبرى لا يريد المسلمون أن يفيقوا منها، وإن كل المسلمين لا يريدون شيئاً من هذه الحياة سوى ظهور مسلم واحد يبيد اليهود كلهم ولا يُبقي منهم أثراً. ومَلِكُ المسلمين المنتظر هو هذا المسلم فلماذا لا يعتقد المسلمون فيه».

«وقد كتب المفكر الألماني (G.H. FANMLRNNDG) ما خلاصته: أن رأس الفكر الإسلامي المعاصر يرتكز على أن مهدي آخر الزمان سيملك الدنيا وينتصر على اليهود، ويعيد القدس للمسلمين، وهو رجل له أمارات وكلها ظهرت، ومع هذا فالمهدي لم يظهر مع تحقق كل علامات التي يتوهمونها، وهذا دليل على أن المهدي مجرد (وهم) لا أساس له من الصحة، إلا أن كرامة المسلمين المهانة حافزٌ يردد هذه الفكرة ليعوّض النقص والعجز والانقسام الذي يحكم كل المسلمين في عالمٍ لا بقاء فيه إلا للقوي».

«ولكن هذا الكاتب الألماني كان أكثر الكُتّاب أدباً وحنكة عندما ختم بحثه بهذه الكلمات: إن المهدي فكر، والفكر كثيراً ما يكون إرادة، والإرادة إذا قوّت كثيراً ما تحقق المعجزات، فهل يملك المسلمون الإرادة القوية في يوم قريب ويخرج منهم المهدي كفاتح، وحلمهم

يتحقق ولو في أي شخص بحيث يروونه مهدي آخر الزمان. هذا ما ستجيب عنه الأيام والسنوات العشر القادمة».

ثم يختم الباحث محمد عيسى داوود كتابه معلقاً على تلك الأفكار والتكهنات فيقول:

«ونحن المسلمين نرى أن هذا الصراع والتسابق في هدم فكرة المهدي - كأنهم إلى نصب يوفضون - هو صدى لصحوة المسلمين وكرُّ على (فكرة) هي (الحقيقة) شيء واحد».

«ونحن لا نكره أن يناقشوا أي فكرة إسلامية... ولكننا نبغض أن يتستر (الحقد) تحت عباءة (النقاش) وأن يلبس (اللسان البذيء) ثوب (اللسان الناطق بالعلم والحكمة) وأن ينكروا ما لا يعرفون أسرارها الحقيقية».



ولا أريد التعقيب هنا على هذا الاستغلال اليهودي الدنيء للموضوع ومهاجمة كتابهم ومأجورهم لمجموع المؤمنين بالمهدي والمنتظرين لظهوره، لأن كذب اليهود ودسهم وتزويرهم للحقائق - من يوم ادعائهم صلب المسيح (ع) إلى يوم اختلاق أسطورة محرقتهم النازية المزعومة في العصر الأخير - أشهر من أن يذكر؛ وأبين من أن يقام عليه برهان.

ولكنني أضيف حملتهم على الإمام المنتظر إلى قائمة الحملات المتعاقبة على المهدي والمهدوية على مرّ القرون، إن لم يكن بعضها من صنع أيديهم من حيث لا نعلم وقد تردّت لبوس من يدعي الانتماء إلى جمهور المسلمين.

كما أنني لستُ في هذا المقام بصدد مناقشة التفاصيل والمنطلقات التي وردت في كتاب الدكتور عذاب وكتب جماعته المشار إليهم ومن كان على شاكلتهم، فإن لذلك مجالاً غير هذا المجال، ولكنني أقف من جميع أقوالهم على خصوص ما يتعلق ببحثنا هذا المعنيّ بمحمد بن الحسن العسكري (ع)؛ أو على لباب ما يخص هذا البحث، بعيداً عن الجلبة الإعلامية التي أريد بها الخداع والإبهام والإيهام، حيث ظن أفراد هذه الفئة - المكشوف منهم والمرموز له - إنهم قد أتقنوا التخطيط لهجومهم وهياؤوا له السلاح الكفيل بالقضاء على خصومهم، غافلين عن كونه سلاحاً قديماً شهره قبلهم أسلافهم مؤسسو مدرسة ابن تيمية وأضرابه والمتخرجون عليهم وعليها عبر العصور، ولم يكن لهم اليوم من جهد مضاف إليه سوى إعادة الصقل واللمعان، بأمل أن يصطادوا به بعض المغفلين والسذج ممن لم يقفوا على البيئات ولم يعوا الحقائق.

وكانت خلاصة ما زعموه في هذا الموضوع - كما جاء على لسان أحد الناطقين عنهم وبلفظ (الكاتب) لأفكارهم -: أن مسألة القول بكون محمد بن الحسن العسكري هو المهدي المنتظر الذي يغيب، قد جمعت عدة فرضيات:

الأولى - وجود الولد.

الثانية - أنه الإمام بعد أبيه.

الثالثة - أنه المهدي المنتظر.

الرابعة - أنه الغائب.

ثم قال: «إن كل واحدة من هذه الفرضيات بحاجة إلى إثبات، وخاصة الفرضية الأولى التي تبنتني عليها سائر الفرضيات»، «لأن من المعروف أن دعوى ولادة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري

تأتي بأدلة عقلية ونقلية وتاريخية، فلا بد إذن من مراجعتها والتحقق منها^(١)، على الرغم من زعمه بـ«أن القول بوجود ولدٍ للإمام العسكري في السر هو قول باطني سرّي» وأن للغلاة الباطنيين دوراً في صنع الفرضية المهدوية^(٢).

أما الدكتور عدا ب فقد كرر ما يشبه ذلك فقال: «لو تحقق عندنا ولادة المهدي فعلاً لكان لهذه التخيلات موضع للنظر فيها»^(٣)، وقال في موضع آخر من كتابه: «وقد نصّت كتبنا المعتمدة!! على أن الحسن العسكري - الإمام الحادي عشر - توفي ولم يكن له ولد»^(٤)، ثم أعاد تكرار ذلك في موضع ثالث فقال: «إذا ثبتت ولادته تاريخياً فيمكن ساعتئذ مناقشة القضايا التي ترتبت عليها»^(٥)، ثم زاد في ادعاءاته وتخرصاته فقال: «فرضية ولادة ووجود الإمام محمد بن الحسن العسكري التي لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم»^(٦).

وزاد (كاتب) هذه الزمرة وهو يستدل على «عدم معرفة أي أحد بمولد ابن للحسن العسكري في حياته» بـ«إقبال عامة الشيعة على تعزية أخيه جعفر بن علي وتهنئته!!» وبوصية العسكري باتفاق جميع الشيعة إلى أمه ولم يوص إلى أحد غيرها، «وإذا كان له ولد حتى في الرحم لكان أوصى إليه، وهذا ما لم يحدث». ثم حاول هذا المتستر باسمه المستعار أن يقيم البرهان على مجمل دعاويه هذه فقال: «إن الأدلة التاريخية

(١) متاهات في مدينة الضباب: ٧٣/١.

(٢) المصدر نفسه: ٧٥/٢ و ٨٢.

(٣) المهدي المنتظر: ١٤٩.

(٤) المصدر نفسه: ١٩٦.

(٥) المهدي المنتظر: ٤١٣.

(٦) المصدر نفسه: ٤٢٣.

الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود ولد للإمام العسكري، فهو لم يعلن ذلك الأمر ولم يشر إلى وجود ولد له في وصيته... وقد انطلق القائلون بنظرية وجود الولد من قصة الجارية نرجس... واختلف المؤرخون الشيعة حول هوية أمه؛ ولم يقل جميعهم أن نرجس هي أم المهدي وترددوا بينها وبين سوسن وخمط... وقد اختلفوا حول تاريخ ولادته المفترضة في اليوم والشهر والسنة مما يؤكد قيام رواياتهم على التخرض والتخمين... وكانت كل تلك الروايات رغم ضعفها الشديد الذي يسقطها عن الحجية ويجعلها شبيهة بالإشاعات تنتهي إلى امرأة واحدة هي حكيمة، مما يجعل الرواية خبراً واحداً لا يمكن الاحتجاج به».

والمستفاد من مجموع هذا النسخ في أبواق التشكيك والضرب على طبول التضليل: إجماع هذا الفريق على أن البحث في أساسه معتمد على ما سموه «الفرضية الأولى» التي «تبتني عليها سائر الفرضيات!!» وهي مسألة تحقق ولادة محمد بن الحسن المهدي، زاعمين أن الكتب التي وصفوها بالمعتبرة قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد؛ وأن الأدلة التاريخية الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود هذا الولد، لأن:

- ١ - الإمام العسكري (ع) لم يعلن أمر هذا الولد كما يقولون.
- ٢ - وأن أي أحد لم يكن يعرف بمولد هذا الابن في حياة أبيه.
- ٣ - وأن الاختلاف في تاريخ ولادته المفترضة في اليوم والشهر والسنة يؤكد قيام ذلك على التخرض والتخمين.
- ٤ - وأن الحسن العسكري قد عهد بوصيته إلى أمه ولم يوص إلى أحد غيرها، وإذا كان له ولد لأوصى إليه.

- ٥ - وأن اختلاف المؤرخين في اسم أم المهدي دليل على النفي والعدم.
- ٦ - وأن حضور حكيمة دون غيرها من النساء ساعة الولادة يجعل الخبر من أخبار الآحاد التي لا يمكن الاحتجاج بها.
- ٧ - وأن إقبال عامة الشيعة على تعزية جعفر بوفاة أخيه دال على عدم وجود الولد.



هذه - باختصار - خلاصة أمينة لأهم ما جاء به أفراد تلك الزمرة أو الزمر المتجاوب بعضها مع بعض؛ فيما أودعوا في مدوناتهم ومؤلفاتهم من الأقاويل التي سبق لـ«سلفهم» أن أبدع بعضها ثم أضافوا إليها بعضاً آخر من ابتكارهم وإبداعهم. ولا بد لنا ونحن بصدد تبيان الحقيقة وتمزيق حجب التعمية والضباب أن نقف باختصار أيضاً وقفة الفحص والتدقيق على كل فقرة من تلك الفقر التي أراد المشككون التعكز عليها لتمرير أفكارهم القائمة في أحسن الاحتمالات على الجهل بالواقع وسطحية النظر والتفكير؛ إن لم تكن منبعثة من عوامل المغالطة والدس والتشهير.

ولما كانت «الفرضية الأولى» لدى هؤلاء جميعاً هي مسألة «ولادة» هذا الإنسان و«وجوده» على الأرض، فإننا نبدأ عملية الشرح والإيضاح بذكر أسماء المحدثين والمؤرخين والنسّابين الذين وقفتُ على ذكرهم للولادة في مصنفاتهم المطبوعة التي تسنى لي الاطلاع عليها، لنرى مقدار الصدق والموضوعية والصحة فيما ذكر «دعاة الشك» من أن الكتب المعتمدة قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد، ولنرى أيضاً كيف سيتخبطون فيما تبجحوا به من أن ولادته إذا ثبتت

تاريخياً كان من الممكن ساعتهئذ مناقشة القضايا التي ترتبت عليها - على مقتضى مقولات الدكتور عدا ب - وفيما ادعوه من أن الأدلة التاريخية الظاهرية والطبيعية كانت معاكسة لدعوى وجود ولد للإمام العسكري (ع).

وأورد فيما يأتي أسماء أولئك المؤلفين الذين وقفت على تصريحاتهم بولادة محمد بن الحسن العسكري ووجوده، مُرتبة على تسلسل تواريخ وفياتهم، مع الاعتراف بأن هذا العرض للأسماء قائم على التمثيل والاستشهاد لعدم القدرة على الحصر والاستيعاب:

١ - محمد بن يعقوب الكليني، المتوفى سنة ٣٢٩هـ، في كتابه (الكافي): ١/٥١٤.

٢ - علي بن الحسين المسعودي، المتوفى سنة ٣٣٣هـ وقيل ٣٤٥هـ، في كتابه (إثبات الوصية): ٢٢٩ و(مروج الذهب): ٤/١٣٨.

٣ - محمد بن محمد بن النعمان المفيد، المتوفى سنة ٤١٣هـ، في كتابه (الإرشاد): ٣٧٢.

٤ - الفضل بن الحسن الطبرسي، المتوفى سنة ٥٤٨هـ، في كتابه (إعلام الوري): ٢/١٥١.

٥ - محمد بن علي بن شهر آشوب السروي، المتوفى سنة ٥٨٨هـ، في كتابه (المناقب): ٢/٤٥٧.

٦ - محمد بن طلحة العدوي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢هـ، في كتابه (مطالب السؤل): ٢/٧٩.

٧ - يوسف بن قرغلي الشهير بسبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤هـ، في كتابه (تذكرة الخواص): ٣٧٧.

- ٨ - محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٨هـ، في كتابه (البيان): ١٠٢ - ١١٢ و(كفاية الطالب): ٣١٢.
- ٩ - قاضي القضاة ابن خلكان أحمد بن محمد الشافعي، المتوفى سنة ٦٨١هـ، في كتابه (وفيات الأعيان): ٣/٣١٦.
- ١٠ - علي بن عيسى الأربلي، المتوفى سنة ٦٩٣هـ، في كتابه (كشف الغمة): ٣/١٩٧.
- ١١ - أبو الفدا إسماعيل بن علي الشافعي الحموي، المتوفى سنة ٧٣٢هـ، في كتابه (تاريخ أبي الفدا): ٤٥٢.
- ١٢ - الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٧٤٨هـ، في كتابه (تاريخ الإسلام): الجزء الذي فيه حوادث ٢٥١ - ٢٦٠هـ.
- ١٣ - الصفدي خليل بن أيبك الشافعي، المتوفى سنة ٧٦٤هـ، في كتابه (الوافي بالوفيات): ٢/٣٣٦.
- ١٤ - أحمد بن علي الحسن بن الداودي النسابة، المتوفى سنة ٨٢٨هـ، في كتابه (عمدة الطالب): ١٨٨.
- ١٥ - ابن الصباغ علي بن محمد المكي المالكي، المتوفى سنة ٨٥٥هـ، في كتابه (الفصول المهمة): ٢٧٤.
- ١٦ - ابن طولون محمد بن علي الحنفي الدمشقي، المتوفى سنة ٩٥٣هـ، في كتابه (الأئمة الاثنا عشر): ١١٧ - ١١٨.
- ١٧ - ابن حجر أحمد بن محمد الشافعي الهيثمي، المتوفى سنة ٩٧٣هـ، في كتابه (الصواعق المحرقة): ١٠٠ و١٢٤.
- ١٨ - الحسين بن عبد الله السمرقندي، المتوفى حوالي سنة ١٠٤٣هـ، في كتابه (تحفة الطالب) المنشور في مجلة تراننا: ٣٥٧ - ٣٥٨،

العددان ٣ و ٤ من السنة ١٦ (وهو مطبوع بشكل مستقل عن ناشر هذه الموسوعة).

١٩ - الشيخ محمد الصبان المصري، الشافعي، المتوفى سنة ١٢٠٦هـ، في كتابه (إسعاف الراغبين): ١٤٠.

٢٠ - مؤمن بن حسن الشبلنجي الشافعي، المتوفى بعد سنة ١٢٩٠هـ، في كتابه (نور الأبصار): ١٥٤.

٢١ - سليمان القندوزي الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤هـ، في كتابه (ينابيع المودة): ٣٦٦ و ٣٨٦ و ٤٥٠ - ٤٥٢.

٢٢ - محمد أمين السويدي البغدادي، المتوفى بعد سنة ١٣٣٩هـ، في كتابه (سبائك الذهب): ٧٨.

مضافاً إلى من ترجم للإمام الحسن العسكري (ع) ونصّ على أنه «والد المنتظر محمد» ومنهم:

٢٣ - ياقوت الحموي، المتوفى سنة ٦٢٦هـ، في كتابه (معجم البلدان): ١٧٥/٦.

٢٤ - علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، في كتابه (الكامل في التاريخ): ٣٧٣/٥.

٢٥ - حسين بن محمد المالكي الدياربركري، المتوفى سنة ٩٨٢هـ، في كتابه (تاريخ الخميس): ٣٤٣/٢.

٢٦ - عبد الحي بن العماد الحنبلي، المتوفى سنة ١٠٨٩هـ، في كتابه (شذرات الذهب): ١٤١/٢.

هؤلاء هم الذين وقفتُ على كلماتهم فيما يحضرنني من مؤلفات السلف من الفقهاء والمحدثين والنسابين والمؤرخين - وفيهم الشيعي

والشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي -، وقد نصوا جميعاً على ولادة محمد بن الحسن العسكري ووجوده، وذكر أحد الباحثين المعاصرين أنه وقف على تصريحات مائة وثمانية وعشرين عالماً من علماء أهل السنة المسلمّين بولادة محمد بن الحسن المهدي^(١). وما أدري كيف صارت هذه الأقوال والروايات جميعاً صفاً على الشمال وبحكم العدم في نظر أدياء التحقيق والتدقيق؟!!

وما دام هؤلاء الأعلام الذين ذكرناهم قد أجمعوا على الإقرار بهذه الحقيقة الصارخة المدويّة فلا يهمنا بعد ذلك وجود من يريد سلوك طريق العناد والمجادلة بغير الحق.



ثم نعود إلى ما زعمه الزاعمون من أن الإمام العسكري (ع) لم يعلن أمر هذا الولد، وأن أي أحد لم يكن يعلم مولد هذا الابن في حياة أبيه، فنجد أن ذلك زعم مفضوح البطلان، لما ورد من الروايات عن أصحاب الإمام العسكري، وقد تحدث بعضها عن ولادته؛ وبعض عن إخبار أبيه بمولده؛ وبعض آخر عن رؤية قوم له وهو طفل صغير في حياة أبيه، مما ينفي ادعاء الدكتور عدا ب من أن فرضية ولادة الإمام محمد بن الحسن العسكري ووجوده لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم.

وجاء في الرواية عن أحمد بن إسحاق وسعد الأشعري إذ قال كلّ منهما: «دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي العسكري (ع) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده. فقال لي: يا أحمد بن إسحاق؛ أن الله

تبارك وتعالى لم يُخلِ الأرض منذ خلق آدم ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجةٍ لله على خلقه... فقلت له: يا ابن رسول الله؛ فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض مسرعاً فدخل البيت، ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأن وجهه الفجر ليلة البدر؛ من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق؛ لولا كرامتك على الله عز وجل وعلى حججه ما عرضتُ عليك ابني هذا، أنه سمِّي رسول الله (ص) وكنيته، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً^(١).

وحدَّث الراوندي عن أبي نعيم محمد بن أحمد الأنصاري قال: «وجَّه قوم من المفوضة كامل بن إبراهيم المدني إلى أبي محمد (ع) قال: فدخلتُ عليه... وجلستُ إلى باب عليه ستر مرخي، فجاءت الريح فكشفت طرفه، فإذا أنا بفتي كأنه فلق قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، يعني به محمد بن الحسن»^(٢).

وروى الحافظ القندوزي الحنفي: أن الإمام العسكري «أرى ولده القائم المهدي لخواص مواليه»، وأنه «عرضه على أصحابه» في اليوم الثالث من ولادته وعلى «مَنْ كان في منزله وكانوا أربعين رجلاً» منهم معاوية بن حكيم ومحمد بن أيوب بن نوح ومحمد بن عثمان العمري^(٣)، وكان هؤلاء الأصحاب قد دخلوا عليه للتهنئة بولده بعد ولادته^(٤).

وجاء في خبر أحمد بن الحسن بن أحمد القمي قال: لما وُلِد الخلف الصالح ورد من مولانا أبي محمد الحسن بن علي (ع) على جدي

(١) كمال الدين: ٢١٦ وكشف الغمة: ٣/٣٣٣.

(٢) غيبة الطوسي: ٢٤٦ - ٢٤٧ والخرائج والجرائح: ١/٤٥٨ - ٤٥٩.

(٣) كمال الدين: ٢٤١ و٢٤٢ وبحار الأنوار: ٢٦/٥٢ وينابيع المودة: ٤٦٠.

(٤) غيبة الطوسي: ٢٣٠ وبحار الأنوار: ١٦/٥١ و١٧.

أحمد بن إسحاق كتابٌ «وإذا فيه مكتوب بخط يده (ع) الذي كان ترد به التوقيعات منه عليه: وُلِدَ لنا مولود، فليكن عندك مستوراً وعن جميع الناس مكتوماً، فإننا لم نظهر عليه إلا الأقرب لقرابته؛ والوليّ لولايته، أحببنا إعلامك ليسرّك الله به مثل ما سرّنا به. والسلام»^(١).

ورود فيما حدّث به أحمد بن إبراهيم قال: «دخلتُ على خديجة بنت محمد بن علي الرضا (ع) أخت أبي الحسن صاحب العسكر (ع) في سنة اثنتين وستين ومائتين بالمدينة، فكلمتها من وراء حجاب، وسألْتُها عن دينها، فسَمَّتْ لي مَنْ تَأْتَمُّ بهم ثم قالت: والخلف الزكي ابن الحسن بن علي أخي. فقلتُ لها: جعلني الله فداك؛ معاينَةً أو خبراً؟، فقالت: خبراً عن ابن أخي أبي محمد (ع) كتب به إلى أمّه»^(٢). إلى آخر ما حملته الروايات بهذا الشأن كما يأتي بيانه في الفصل الآتي.

ويضاف إلى ذلك كله ما تحدثت به عدة روايات عمّن رآه من خواص أبيه وهو طفل صغير^(٣)، أو رآه على عاتق أبيه وهو في الثالثة من العمر^(٤)، أو نصّتُ على رؤية بعضهم له بعد وفاة أبيه^(٥) وفي بعضها التصريح من الراوي بأنه رآه «وهو غلام أيفع» وأنه قبّل يديه ورأسه^(٦).



(١) كمال الدين: ٢٤٢ وبحار الأنوار: ١٦/٥١.

(٢) إثبات الوصية: ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٣) الكافي: ١/٣٣٠ - ٣٣٢ و ٥١٤ - ٥١٥ وإثبات الوصية: ٢٢٠ وغيبة الطوسي: ٢٦٩ وإعلام الوري: ٢/٢٤٨ و ٢٥٢ والخرائج والجرائح: ٢/٩٥٧ - ٩٥٨ و ٣/١١١١ - ١١١٢ وكشف الغمة: ٣/٣٠٢ - ٣٠٣.

(٤) بحار الأنوار: ٢٤/٥٢.

(٥) كشف الغمة: ٣/٣٤١ وبحار الأنوار: ١٤/٥٢ و ٢٥ - ٢٦.

(٦) غيبة الطوسي: ٢٦٨ وينابيع المودة: ٤٦١.

أما ما ذكرته هذه الفئة - ومنهم (كاتبهم) المشار إليه - من أن الاختلاف في تحديد تاريخ ولادة محمد بن الحسن المهدي في اليوم والشهر والسنة دليل على قيام روايات وجوده على التخصيص والتخمين؛ فهو برهان قاطع على جهلهم الفاضح وعدم اطلاعهم على كتب الأخبار ومصادر التاريخ، لأن اختلاف الروايات في تواريخ الولادات والوفيات بارز للعيان في كثير من سير الأشخاص وشؤون الأحداث.

وحسبنا من كل تلك الشواهد في مقام إثبات جهل هؤلاء اللابسين كذباً لبوس البحث والتحقيق ما نجده في كتب السيرة والحديث والتاريخ من الاختلاف في تعيين يوم ولادة النبي (ص) والشهر الذي وُلِدَ فيه^(١)، والاختلاف في تعيين يوم بعثته وشهرها أيضاً^(٢)، ثم اختلافهم في تعيين يوم وفاته وشهرها^(٣) مع أنها من أهم حوادث التاريخ التي هزت المجتمع هزاً عنيفاً وإلى أبعد الحدود.

(١) ولد في الثاني من ربيع الأول أو الثامن أو العاشر أو الثاني عشر أو السابع عشر أو لثمان بقين منه، أو في شهر رمضان.

يراجع: (سيرة ابن هشام: ١٦٧/١ وتاريخ يعقوبي: ٤/٢ وطبقات ابن سعد: ١/١٠٦٢ وأنساب الأشراف: ١/٩٢ وتاريخ الطبري: ٢/١٥٦ والكافي: ١/٤٣٩ والاستيعاب: ١/١٣ وتهذيب الطوسي: ٦/٢ والمناقب: ١/١١٨ والبداية والنهاية: ٢/٢٦٠).

(٢) بُعث لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، أو لسبع وعشرين من رجب، أو لثمان من ربيع الأول، أو غير ذلك.

يراجع في هذه الأقوال: (سيرة ابن هشام: ١/٢٤٩ وتاريخ يعقوبي: ٢/١٥٠ وتاريخ الطبري: ٢/٢٩٤ والاستيعاب: ١/١٣ وتهذيب الطوسي: ٦/٢ والمناقب: ١/١١٩ ونهاية الأرب: ١٦/١٦٦).

(٣) توفي لليلتين بقيتا من صفر، أو في أول يوم من شهر ربيع الأول، أو لليلتين خلتا منه، أو لعشر خلون منه، أو لاثنتي عشرة ليلة خلت منه.

يراجع في ذلك: تاريخ يعقوبي: ٢/٩٣ وطبقات ابن سعد: ٢/٥٧ و٥٨ =

فهل يرى هؤلاء الكتّاب من باحثي آخر الزمان في هذا الخلاف في تحديد تلك التواريخ المتعلقة بسيد خلق الله وخاتم أنبيائه دليلاً على أن الأمر كله كان قائماً على التخرص والتخمين!!؟



وأما وصية الإمام العسكري (ع) إلى أمّه فلم تكن لدى العارفين بملاسات الظروف المحيطة بذلك دليلاً على عدم وجود الولد كما تقول المتقولون. ونكتفي في الجواب على هذا الوهم بما ذكره الشيخ الطوسي بياناً لحقيقة الأمر إذ قال:

«إن قيل: كيف يجوز أن يكون للحسن بن علي ولدٌ مع إسناده وصيته في مرضه الذي توفي فيه إلى والدته المسماة بحديث والمكناة بأمّ الحسن؛ فوقوفه وصدقاته... ولو كان له ولد ذكرٌ لذكره في وصيته؟».

«قيل: إنما فعل ذلك قصداً إلى تمام ما كان غرضه في إخفاء ولادته وستر حاله عن سلطان الوقت... وهو احتاج إلى الإشهاد عليها وجوه الدولة وأسباب السلطان وشهود القضاة، ليتحرس بذلك وقوفه ويتحفظ صدقاته؛ ويتم به الستر على ولده بإهمال ذكره».

«وقد فعل نظير ذلك الصادقُ جعفر بن محمد (ع) حين أسند وصيته إلى خمسة نفر أولهم المنصور إذ كان سلطان الوقت، ولم يفرد ابنه موسى (ع) بها إبقاء عليه، وأشرك معه الربيع (الوزير) وقاضي الوقت وجاريتته أم ولده حميدة؛ وختمهم بذكر ابنه موسى بن جعفر (ع) لستر أمره وحراسة نفسه... ولو لم يكن موسى ظاهراً مشهوراً في أولاده لما

= وتاريخ الطبري: ٢٠٠/٣ ودلائل النبوة: ٢٠١/٧ و٢٣٤ و٢٣٥ والاستيعاب: ١/١٣ و٢٠ وتهذيب الطوسي: ٢/٦ والمناقب: ١٢٢/١ وشرح نهج البلاغة: ١٣/٣٥ والبداية والنهاية: ٢٥٥/٥ و٢٥٦.

ذكره في وصيته... كما فعل الحسن بن علي والد صاحب الزمان»^(١).

وأما اختلاف المؤرخين في اسم أمه فيرجع السبب فيه إلى الحرص على كتمان اسمها من بين جواري الإمام - كما سلفت الإشارة إليه في صدر هذا الفصل -، لثلا تقع تحت طائلة المطاردة أو الاعتقال إن عُرف شخصها بالذات، أو تُوجَّه نحوها الضغوط المرعبة للتعرف منها على أخبار ابنها وأخذ المعلومات عن مكان اختفائه. وليس في ذلك الاختلاف بعد وضوح سببه أي دليل على نفي وجودها أو وجود ولد لها كما يشيع المغرضون.

وروى بعض المؤرخين أن هذا الاختلاف في اسم الأم كان مدعاة لأن يوگُل «السلطان في الوقت الذي توفي فيه الحسن بن علي العسكري (ع) بداره وجواريه مَنْ يتفقد حملهن لكي يظفر بولده وبقيته»^(٢)، ولذلك بعد يأس السلطة من العثور على ولد موجود للإمام بعد كبس الدار والبحث عنه فيها^(٣).

وجاء في رواية الكليني: أن السلطان بعث إلى داره «مَنْ فَتَّشَهَا وفتش حجرها... وجاءوا بنساء يعرفن الحمل فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل، فجعلت في حجرة ووُكِّل بها تحريد الخادم وأصحابه ونسوة معهم»، «ولم يزل الذين وُكِّلوا بحفظ الجارية التي تُؤمَّم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل»^(٤).

(١) الغيبة للطوسي: ١٠٧ - ١٠٨، ويراجع في ذلك أيضاً كتاب الفصول العشرة للشيخ المفيد: ١٣ و١٤.

(٢) كشف الغمة: ٣/٣٤٥.

(٣) الخرائج والجرائع: ١/٤٦٠.

(٤) الكافي: ١/٥٠٥.

وحدّث الراوندي: أن المعتمد العباسي وجّه بخدمه فقبضوا على الجارية التي كانوا يظنون أنها أم محمد، «فطالبوها بالصبي فأنكرته، وادعتُ حبلاً بها لتغطي حال الصبي، فسُلِّمَتْ إلى ابن أبي الشوارب القاضي»، ثم سرعان ما مات الوزير عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، ووردت الأنباء بخروج صاحب الزنج بالبصرة، «فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم»^(١).



وأما حضور حكيمة ابنة الإمام الجواد (ع)^(٢) الولادة يومها وقيامها مقام القابلة - كما تقدم بيانه في صدر هذا الفصل، وكما نصّ عليه ابن حزم رايماً له عن جماعة من معاصري ولادة الإمام المهدي (ع)^(٣) - فليس فيه ما يبعث على الغرابة أو يثير التساؤل، بعد معرفة التزام الإمام العسكري وجميع أهل داره بكتمان خبر هذه الولادة وعدم إعلانها على رؤوس الأشهاد.

ولعل من أوضح الشواهد على جهل هذا الكاتب وأفراد فريقه بأحكام الفقه ومسائل الشريعة عدّهم خبر الولادة من أخبار الآحاد التي لا يمكن الاحتجاج بها لانفراد حكيمة بحضور تلك الولادة، ولو رجعوا إلى ما ذكره الفقهاء المسلمون في أحكام الشهادات لرأوا النص على الاكتفاء بشهادة النساء وحدهن فيما لا يصح أن يطلع عليه غيرهن من عورات النساء وحملهن وحيضهن وشؤون الولادة والرّضاع، بل النص

(١) الخرائج والجرائح: ٣/ ١١٠٣ - ١١٠٤.

(٢) توفيت حكيمة ابنة محمد بن علي الرضا (ع) في سنة ٢٧٤هـ، ودفنت مما يلي رجلي الإمامين العسكريين، وقبرها في الروضة العسكرية معروف بزوره الزائرون.

(٣) الفصل: ١٨١/٤.

على الاكتفاء بشهادة المرأة الواحدة في مثل ذلك^(١)، وهو أمر لا يحتاج لدى جمهور العارفين إلى مزيد شرح وتطويل، ولوضوح ذلك قال الشيخ الطوسي معلقاً عليه: «على أن الولادة في الشرع قد استقر بقول القابلة ويحكم بقولها في كونه حياً أو ميتاً»^(٢).



وأما ما طَبَّلَ به المطبَّلون من دلالة ما رُوي من إقبال عامة الشيعة على تعزية جعفر بن علي بوفاة أخيه^(٣) على عدم وجود ولدٍ للإمام العسكري فهو من أتفه وجوه الاستدلال؛ بل من أوهى ما يمكن أن يقال؛ إذا ما وقفنا على تفصيل أفاعيل جعفرٍ هذا في ذلك اليوم.

ويقول الشيخ المفيد متحدثاً عما وقع أيام وفاة الإمام العسكري (ع): «أن جعفر بن علي أخا الإمام أبي محمد (ع) تولى أخذَ تركة أخيه، «وسعى في حبس جواري أبي محمد واعتقال حلائله، وشنَّ على أصحابه بانتظارهم ولده وقطعهم بوجوده والقول بإمامته، وأغرى بالقوم حتى أخافهم وشردهم... واجتهد في القيام عند الشيعة مقام أخيه، ولم يقبل أحد منهم ذلك ولا اعتقه فيه»^(٤).

وقال الفضل الطبرسي: «إن جعفرأ تولى أخذ تركة أخيه بعد وفاته، «وسعى إلى السلطان في حبس جواري أبي محمد (ع)... واجتهد في القيام مقامه فلم يقبله أحد من الطائفة؛ بل تبرأوا منه ولقبوه الكذاب»^(٥).

(١) يراجع في التفاصيل على سبيل المثال: كتاب المخلى: ١٠/٢٦٧ - ٢٧٠.

(٢) غيبة الطوسي: ٨١.

(٣) توفي جعفر هذا في سنة ٢٧١هـ وهو ابن خمس وأربعين سنة، ودفن في دار أبيه.

(٤) الإرشاد: ٣٧١ - ٣٧٢.

(٥) إعلام الوری: ١٥١/٢ - ١٥٢.

وقال ابن الصباغ المالكي: إن جعفرأ استولى على تركة أخيه، «وسعى في حبس مواليه، وشنع على أصحابه عند السلطان، وذلك لكونه أراد القيام عليهم مقام أخيه فلم يقبلوه لعدم أهليته لذلك ولا ارتضوه»^(١).

واشتهرت الرواية في المصادر عن أحمد بن الوزير عبيدالله بن يحيى بن خاقان أنه قال: لما دُفن الإمام العسكري «جاء جعفر أخوه إلى أبي فقال: اجعل لي مرتبة أخي وأنا أوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار. فزبره أبي وأمه ما كره وقال له: يا أحمق؛ السلطان - أطال الله بقاءه - جرّد سيفه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردّهم عن ذلك فلم يتهياً له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتّبك مراتبهم ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تنلها بنا. فاستقلّه أبي عند ذلك واستضعفه وأمر أن يُحجّب عنه»^(٢).

وقال الطوسي والمجلسي معلّقين على موضوع جعفر وأفعاله وادعاءاته:

«أما إنكار جعفر بن علي صاحب الزمان أن يكون ولدأ لأخيه الحسن بن علي وُلد في حياته... فليس يعتمد على مثله أحد من المحضّلين، لاتفاق الكل على أن جعفرأ لم تكن له عصمة كعصمة الأنبياء... بل الخطأ جائر عليه والغلط غير ممتنع منه، وقد نطق القرآن بما كان من ولد يعقوب مع أخيهم يوسف وطرحهم إياه في الجب...»

(١) الفصول المهمة: ٢٧٢.

(٢) الكافي: ٥٠٦/١ والإرشاد: ٣٦٦ وإعلام الوري: ١٥٠/٢ والمناقب: ٤٥٧/٢

وكشف الغمة: ٢٠٥/٣.

وهم أولاد الأنبياء... فإذا جاز منهم مثل ذلك مع عظم الخطأ فيه فلم لا يجوز مثله من جعفر بن علي مع ابن أخيه^(١).

وأضيف إلى التعليق المتقدم؛ مشيراً إلى ما حدثنا به القرآن الكريم من قتل أحد ابني آدم لأخيه، وإلى ما رواه المؤرخون مجمعين من أفاعيل بعض الأعمام بأبناء أخوتهم كفعل أبي لهب - تَبَّتْ يدها - بابن أخيه النبي الأعظم (ص)؛ وكفعل العباس بن عبد المطلب في خروجه مع جيش المشركين في در لحرب ابن أخيه، وإلى آخر ما ورد في مصادر التاريخ من الأشباه والنظائر لهذه المواقف السيئة التي وقفها بعض الأخوة والأعمام، مما لم يجد فيها أي عاقل حصيف دليلاً على نفي النسب أو إنكار القربى والحسب أو الشك في الولادة والوجود، بل لم يفهم الناس منها - على فظاعتها - سوى هيمنة غرائز الشر والسوء على سلوك أولئك القائمين بتلك الأعمال المنكرة والتصرفات الذميمة المرفوضة.



وخلاصة القول الذي نختم به هذا الفصل المعني بولادة الإمام محمد بن الحسن المهدي (ع): أن الشيء الثابت القطعي الذي ترشدنا إليه هذه الإمامة السريعة بشبهات الجاهلين والمغرضين ووضوح ما أسلفنا ذكره في إثبات زيفها وبطلانها؛ أنه لم يبق في قوس هؤلاء المشككين منزع لسهامهم؛ ولم يوفقوا في جميع ما دَوَّنوا وجعجعوا به من ظنون وأوهام إلى طرح ما يقنع ويصمد أمام ما سبق شرحه وبيانه.

وما أدري هل كان هؤلاء «القوم» المدَّعون للبحث العلمي جادّين

(١) بحار الأنوار: ٢٠١/٥١ - ٢٠٢ والغيبة للطوسي: ١٠٦ - ١٠٧.

حقاً ومدركين (بوعي لمعنى قولهم: بأن الكتب (المعتبرة!!) قد نصت على أن الحسن العسكري توفي ولم يكن له ولد، أم أنهم عنوا بها أوراقاً - بالخصوص - من مدونات (سلفهم) المعاند المتعصب أو (خلفهم) اليهودي المتستر، وإن خالفت صراحة وعلناً جميع ما أورده المحدثون والمؤرخون المسلمون؛ على اختلاف المذاهب والآراء والعصور والقرون!!؟

وهل يرى القارئ الخبير البصير بعد كل ما تقدّم أن بإمكان تلك المغالطات والمزاعم المتخذة من اختلاف تاريخ الولادة أو اسم الأم أو مسألة الوصية منطلقاً للتردد والتشكيك، أن تمسح الأحداث وتطمس الحقائق وتقلب وقائع التاريخ رأساً على عقب؟؟

ونكتفي هنا في ختام هذا الحديث لزيادة الإيضاح أن ننقل ما علّق به الشيخ الطوسي محمد بن الحسن على ذلك فقال في جملة كلامه:

«إن ستر ولادة صاحب الزمان (ع) ليس بخارق للعادات، إذ جرى أمثال ذلك فيما تقدم من أخبار الملوك، وقد ذكره العلماء... ومن ذلك ما هو مشهور كقصة كيخسرو وما كان من ستر أمه حملها وإخفاء ولادتها... وكان جده كيقاوس أراد قتل ولده فسترته أمه إلى أن ولدته، وكان من قصته ما هو مشهور في كتب التاريخ» ومنها تاريخ الطبري^(١).

«وقد نطق القرآن بقصة إبراهيم (ع) وأن أمه ولدته خفياً وغيبته في المغارة حتى بلغ وكان من أمره ما كان، وما كان من قصة موسى (ع) فإن أمه ألقته في البحر خوفاً عليه وإشفاقاً من فرعون عليه، وذلك مشهور نطق به القرآن».

«ومثل ذلك قصة صاحب الزمان (ع) سواء، فكيف يقال أن هذا خارج عن العادات»^(١).



والحمد لله الذي هدانا لمعرفة الحق ونهج الرشاد بلطفه ومنه، ووقفنا لتجنب مسالك التضليل والتفريط بتسديده وفضله، وما كنا لنهتدي إلى ذلك لولا أن هدانا الله تعالى بكرمه ورحمته.



(١) غيبة الطوسي: ١٠٥ - ١٠٦.

الإمام محمد بن الحسن البهدي

بيت إمامته وغيبته

في سنة ٢٦٠هـ كما أجمعت روايات المؤرخين، توفي الإمام الحسن العسكري (ع)؛ فخلت الساحة الإسلامية من إمامها الشرعي المفترض الطاعة والجامع لشرائط الإمامة وصفاتها المقررة في الفقه الإسلامي، وأصبح ابنه محمد بن الحسن منذ هذا اليوم هو الإمام من بعده بالنص والتعيين.

وكان الدليل على إمامته - كما يقول الباحث الطبرسي - ذا ثلاثة

أوجه:

الوجه الأول: «النص عليه من جهة أبيه خاصة».

الوجه الثاني: «النص على عدد الأئمة الاثني عشر».

الوجه الثالث: «النص عليه بذكر غيبته وصفتها ووقوعها على الحد

المذكور»^(١).

ونورد فيما يأتي بعض التفاصيل في بيان ما يتعلق بكل وجهٍ من

هذه الوجوه الثلاثة؛ فنقول وبالله الاستعانة:

(١) إعلام الوری: ٢/٢٥٧.

الوجه الأول من أدلة الإمامة: نصُّ أبيه عليه:

وكانت نصوص الإمام العسكري على كون ابنه محمد هو الإمام من بعده كثيرة جداً على الرغم من التزام التكنم وقسوة الظروف وخشية السلطان، وكانت إحدى تلك الروايات ما حدّث به أبو الأديان خادم الإمام الحسن (ع) وحامل كتبه إلى وكلائه في الأمصار، قال:

«كنتُ أخدم الحسن بن علي العسكري (ع) وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلتُ عليه في علته التي توفي فيها وكتب معي كتباً فقال: امض بها إلى المدائن، فإنك ستغيب... وتدخل إلى سُرٍّ من رأى... وتسمع الواعية في داري... قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فإذا كان ذلك فمَنْ؟ قال: مَنْ طالبك بجوابات كتبي».

قال أبو الأديان: «وخرجتُ بالكتب إلى المدائن وأخذتُ جواباتها، ودخلتُ سرمن رأى يوم الخامس عشر... فإذا أنا بالواعية في داره... وإذا أنا بجعفر الكذاب أخيه بباب الدار والشيعية من حوله يعزونه ويهنونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد بطلت الإمامة، لأنني كنتُ أعرفه بشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور، فتقدمتُ... فلم يسألني عن شيء... فلما صرنا في الدار إذا نحن بالحسن بن علي (ع) على نعشه مكفناً... ثم خرج صبي بوجهه سمرة وبشعره قطط وبأسنانه تفلُّج... فتقدم الصبي وصلى عليه... ثم قال لي: يا بصري؛ هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه - إلى آخر الرواية -»^(١).

وجاء في الخبر عن علي بن محمد المعروف بابن بندار عن محمد بن علي بن بلال قال:

(١) كمال الدين: ٢٦٢ والخرائج والجرائح: ٣/ ١١٠١ - ١١٠٣.

«خرج إليّ من أبي محمد قبل مضيّه بسنتين يخبرني بالخلف من بعده، ثم خرج إليّ من قبل مضيّه بثلاثة أيام يخبرني بالخلف من بعده»^(١).

وحدّث الصدوق بسنده عن أحمد بن إسحاق بن سعيد قال:

«سمعتُ أبا محمد الحسن بن علي العسكري (ع) يقول: الحمد لله الذي لم يخرجني من الدنيا حتى أراني الخلف من بعدي أشبه الناس برسول الله (ص) خَلَقًا وَخُلُقًا، يحفظه الله تعالى في غيبته ثم يظهره فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٢).

وروى أيضاً بسنده عن محمد بن عثمان العمري قال: سمعتُ أبي يقول:

«سئل أبو محمد الحسن بن علي (ع) وأنا عنده عن الخبر الذي رواه عن آبائه (ع) أن الأرض لا تخلو من حجةٍ لله على خلقه إلى يوم القيامة؛ وأن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية؟ فقال: إن هذا حق كما أن النهار حق. فقيل له: يا ابن رسول الله؛ فمن الحجة والإمام بعدك؟ فقال: ابني محمد هو الإمام والحجة بعدي، من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إن له غيبة يحار فيها الجاهلون ويهلك فيها المبطلون ويكذب فيها الوَقَّاتون»^(٣).

وروى أيضاً بسنده عن أبي الفضل الحسين بن الحسن العلوي قال:

(١) أصول الكافي: ٣٢٨/١.

(٢) كمال الدين: ٢٢٨.

(٣) كمال الدين: ٢٢٨.

«دخلتُ على أبي محمد الحسن بن علي (ع) بسرمن رأى فهنَّأته بولادة ابنه القائم»^(١).

إلى غير ذلك من الروايات عن الإمام العسكري - وقد تقدم ذكر بعضها في الفصل الأول عند الحديث عن ولادة الإمام مهدي -، وهي من الكثرة والوفرة بمكان، بل تكاد على اختلاف ألفاظها ومناسباتها معدودة في المتواتر معنى ومضموناً، ويستطيع الراغب بالوقوف عليها مراجعتها في مظانها المعلومة^(٢).

وهكذا يتضح أن ادعاء عدم إعلام الإمام العسكري أصحابه بأمر هذا الولد مرفوض جملة وتفصيلاً، لكثرة الروايات المبينة لذلك والصريحة فيه كما مر، وقد تحدث بعضها عن أخبار أبيه بمولده؛ وبعضها عن التهنة له بذلك؛ وبعضها عن رؤية قوم لهذا الولد وهو طفل صغير في حياة أبيه، وقد شاهدوا وجوده في حياته كما نصَّ على ذلك الشيخ الطوسي، وذكر أن هؤلاء المشاهدين له كانوا أصحاب الإمام العسكري وخاصته والوسائط بينه وبين شيعته ينقلون إليهم عنه معالم الدين ويخرجون إليهم أجوبته في مسائلهم، «وهم جماعة كان الحسن بن علي (ع) عدلهم في حياته، واختصهم أمناء له في وقته . . . وكانوا أهل عقل وأمانة وثقة ظاهرة؛ ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكانوا معظمين عن سلطان الوقت لعظم أقدارهم وجلالة محلهم»^(٣).

(١) كمال الدين: ٢٤٢ وغيبة الطوسي: ٢٣٠ و٢٥١.

(٢) يراجع في مصادر ذلك: الكافي: ٣٢٨/١ - ٣٢٩ وإثبات الوصية: ٢٠٥ و٢١٥ - ٢١٦ وكمال الدين وتمام النعمة (في كثير من صفحات الكتاب) والإرشاد: ٣٧٥ و٣٧٦ والغيبة للطوسي (في كثير من فصول الكتا وأبوابه) وإعلام الوري: ٢٤٨/٢ - ٢٥٣ وكشف الغمة: ٣/٢٤٣ و٢٤٦ و٣٣٤ - ٣٣٦ والفصول المهمة: ٢٧٤ - وبحار الأنوار: ١٦٠/٥١ و١٦١ ونبايح المودة: ٤٦٠ - ٤٦٢.

(٣) غيبة الطوسي: ١٠٨ - ١٠٩.

أما ما أورده المشككون - ومنهم الدكتور عدا ب - من أن فرضية وجود محمد بن الحسن العسكري وولادته «لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم» فهو كلام لا يليق بأي متعلّم قوله والإقرار به، لأن الروايات المتعددة المأثورة عن أئمة أهل البيت (ع) جميعاً تبعاً للمأثور عن النبي (ص) صريحة في النص على هذا الحفيد والتبشير به قبل تولده بعشرات السنين، وقد حدّث بذلك الثقات من أصحابهم، بل يصح أن يعدّ هذا النص والتبشير - بالإضافة إلى كونه دليلاً نقلياً صحيح الإسناد - بمثابة ملحمة تاريخية إعجازية ناطقة بوجوده وولادته قبل وقوعها بزمان غير قليل .

ولوضوح ذلك كله وقبح محاولات إنكاره وتكذيبه حاول (كاتبتهم) ذو الاسم المستعار أن يخفف من ذلك القبح فلم ينكر أخبار المهدي ولكنه قال: إن تاريخ أهل البيت ورواياتهم تقول: «بغموض شخصية المهدي ورفض تحديده» و«أن الأحاديث الصادرة عن أهل البيت أو الرائجة في أيامهم كانت تتحدث بشكل مجهول وغامض عن القائم المهدي، ولا تحدده بالذات مَنْ هو، ولا تشخصه بالضبط، وإنما تتحدث عن صفاته وعلامات خروجه وشروط قيامه»^(١).

وجليّ لكل ذي عينين أن روايات أهل البيت - وقد تقدم إيراد بعضها ويأتي بعض آخر منها - صريحة كل الصراحة في تحديد «شخصية المهدي» بلا «غموض» ولا خفاء؛ وليس فيها ما يصح أن يقال عنه بأنه «مجهول وغامض» .

وخلاصة القول - كما نصّ عدد من الباحثين القدامى - أن «أخبار الغيبة قد سبقت زمان الحجة (ع) بل زمان أبيه وجدّه . . . وخلّدتها

المحدثون من الشيعة في أصولهم المؤلف في أيام السيدين الباقر والصادق (ع)، وأثروها عن النبي (ص) والأئمة واحداً بعد واحد... ومن جملة ثقات المحدثين والمصنفين من الشيعة: الحسن بن محبوب الزرادي، وقد صنف كتاب المشيخة الذي هو في أصول الشيعة... قبل زمان الغيبة بأكثر من مائة سنة، فذكر فيه بعض ما أورده من أخبار الغيبة، فوافق الحَبْرُ الحُبرَ، وحصل كل ما تضمنه الخبر بلا اختلاف»^(١).

وكان المتقدمون من المحدثين والمؤرخين - ومن أوائلهم الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٨١هـ - قد أولوا هذا الموضوع اهتمامهم الخاص في مؤلفاتهم وكتبهم، وأورد الصدوق المذكور في كتابه كمال الدين وتمام النعمة أبواباً تضمنت النصوص النبوية على المهدي وكونه الثاني عشر من الأئمة (ع)، ثم نصوص الزهراء وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) على ذلك، وكذلك نصوص الأئمة التالين لعلي ابتداء من الحسن بن علي فالحسين بن علي فأولاده واحداً بعد آخر (ع)^(٢).

ونورد من جملة تلك النصوص على سبيل المثال ما رواه الصدوق بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال:

«سمعتُ دعبل بن علي الخزاعي يقول: لما أنشدتُ مولاي الرضا (ع) قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلٍ وحيٍ مقفر العرصات

(١) إعلام الوري: ٢٥٧/٢ - ٢٥٨ وكشف الغمة: ٣٣٦/٣ - ٣٣٧.

(٢) يراجع في هذه النصوص: كمال الدين: ١٤٩ - ٢١٧.

فلما انتهيتُ إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميزُ فينا كلَّ حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات

«بكى الرضا (ع) بكاءً شديداً، ثم رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعي؛ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري مَنْ هذا الإمام ومتى يقوم؟ قلت: لا يا سيدي، إلاّ أنني سمعتُ بخروج إمام منكم يطهّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً. فقال: يا دعبل؛ الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي، وبعد عليّ ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته المطاع في ظهوره، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. وأما (متى) فأخبار عن الوقت، ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي (ع) أن النبي (ص) قيل له: يا رسول الله؛ متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله كمثل الساعة لا يجليها لوقتها إلا هو»^(١) ويعدُّ هذا النص الرضوي الصحيح السند وأمثاله من النصوص المأثورة عن النبي والأئمة في المهدي المنتظر وكونه ابن الحسن بن علي العسكري نصوصاً إعجازية لافتة للنظر، لصدورها قبل تاريخ ولادة الإمام المهدي بعشرات السنين.

ويقول الشيخ الطوسي وهو يستعرض الأخبار الواردة عن رسول الله (ص) والأئمة (ع) في هذا الموضوع:

«موضع الاستدلال من هذه الأخبار ما تضمن الخبر بالشيء قبل كونه فكان كما تضمّنه، فكان ذلك دلالة على صحة ما ذهبنا إليه من

إمامة ابن الحسن، لأن العلم بما يكون لا يحصل إلا من جهة علام الغيوب، فلو لم يُرَوَّ إلا خبر واحد ووافق مخبره ما تضمنه الخبر لكان ذلك كافياً، ولذلك كان ما تضمنه القرآن من الخبر بالشيء قبل كونه دليلاً على صدق النبي (ص) وأن القرآن من قبل الله تعالى، وإن كانت المواضع التي تضمنت ذلك محصورة، ومع ذلك مسموعة من مخبر واحد، لكن دلاً على صدقه من الجهة التي قلناها. على أن هذه الأخبار متواتر بها لفظاً ومعنى: فأما اللفظ فإن الشيعة تواترت بكل خبرٍ منه، وأما المعنى فإن كثرة الأخبار واختلاف جهاتها وتباين طرقها وتباعد رواتها يدل على صحتها، لأنه لا يجوز أن يكون كلها باطلة، وبذلك يستدل في مواضع كثيرة على معجزات النبي (ص) التي هي سوى القرآن وأمور كثيرة في الشرع تتواتر معنى وإن كان كل لفظ منها منقولاً من جهة الأحاد... ولذلك استدل على سخاء حاتم وشجاعة عمرو وغير ذلك بمثل ذلك؛ وإن كان كل واحدٍ مما يروى من عطاء حاتم ووقوف عمرو في موقف من المواقف من جهة الأحاد^(١).

وهكذا يتجلى بوضوح من مجموع ما تقدم أن النصَّ على إمامة محمد بن الحسن العسكري - من أبيه ومن سائر الأئمة السابقين عليه - ثابت ومسلَّم لا يرقى إليه شك أو ترديد، إلا ما يمكن أن يدور في أذهان بعض الناس ممن لا يستحضرون النصوص القرآنية والأدلة الدينية المتلقاة بالقبول عند جميع المسلمين، فيقفون حائرين أمام صغر عمر هذا الفتى يوم صيرورته إماماً إثر وفاة أبيه، وربما دفعتهم هذه الحيرة إلى التوقف في الاعتقاد بإمامته أو رفضها بتوهم مانعية صغر السن من ذلك.

ولا بد لنا هنا من إعادة الإشارة والتأكيد على لباب المطلب في

هذه المسألة وما كان على شاكلتها من المسائل الدينية، في كونها مستندة أولاً وأخيراً إلى إرادة الله تعالى، بعيداً عن الأعراف الدنيوية المتداولة بين الناس، لأن قضية النبوة - وامتدادها الشرعي المتمثل بالإمامة - جزء لا يتجزأ من الشؤون الإلهية التي يعجز البشر عن إخضاعها لمقاييسهم المتعارفة وتقرير الأحكام بشأنها كما تملي أفكارهم وآراؤهم المستمدة من مشاهداتهم ونواميس عاداتهم، وقد أشار إلى ذلك الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان وهو يتحدث عن صغر سن الإمام المهدي حين إمامته فقال:

«إن سنّه كانت «عند وفاة أبيه خمس سنين، آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب، وجعله آية للعالمين، وآتاه الحكمة كما آتاه يحيى صبيّاً، وجعله إماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم في المهد نبياً»^(١).

أما من كان في شك من ذلك فلا مناص لإزالة شكه من العودة به إلى صلب المسألة ومنطلق البحث الأساس، فيُسأل عن مدى إيمانه بالقرآن الكريم وما جاء فيه من ضروب المعجزات وخوارق العادات؛ وبالحدِيث الصحيح وما ورد فيه من ذلك، إذ لا يمكن الوصول إلى النتائج والاتفاق عليها في شؤون الدين إلا في ضوء الإقرار بهذين الأصلين الرئيسيين اللذين يشكلان المصدر الثابت للاعتقاد السليم والإيمان الخالص.

وكان الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين قد أفاض في شرح هذا الموضوع فأحسن وأجاد، وجاء في جملة ما قال:

إن «كُلٌّ مَنْ سَأَلْنَا مِنَ الْمُخَالَفِينَ عَنِ الْقَائِمِ (ع) لَمْ يَخْلُ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَائِلاً بِإِمَامَةِ الْأَئِمَّةِ الْأَحَدِ عَشَرَ مِنْ آبَائِهِ (ع) أَوْ غَيْرِ قَائِلٍ بِإِمَامَتِهِمْ . فَإِنْ كَانَ قَائِلاً لَزِمَهُ الْقَوْلُ بِإِمَامَةِ الْإِمَامِ الثَّانِي عَشَرَ ، لِتَصَوُّصِ آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ بِاسْمِهِ وَنَسَبِهِ ؛ وَإِجْمَاعِ شِيعَتِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِإِمَامَتِهِ وَأَنَّهُ الْقَائِمُ الَّذِي يَظْهَرُ بَعْدَ غَيْبَةِ طَوِيلَةٍ فِيمِلَأُ الْأَرْضَ قِسْطاً وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنِ السَّائِلُ مِنَ الْقَائِلِينَ بِالْأَئِمَّةِ الْأَحَدِ عَشَرَ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْنَا جَوَابٌ فِي الْقَائِمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنَ الْأَئِمَّةِ ، وَكَانَ الْكَلَامُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي إِثْبَاتِ إِمَامَةِ آبَائِهِ الْأَئِمَّةِ الْأَحَدِ عَشَرَ (ع) . وَهَكَذَا لَوْ سَأَلْنَا يَهُودِي فَقَالَ لَنَا : لِمَ صَارَتِ الظُّهْرُ أَرْبَعًا وَالْعَصْرُ أَرْبَعًا وَالْعَتَمَةُ أَرْبَعًا وَالغَدَاةُ رَكَعَتَيْنِ وَالْمَغْرَبُ ثَلَاثًا ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْنَا فِي ذَلِكَ جَوَابٌ ، بَلْ لَنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ : إِنَّكَ مُنْكَرٌ لِنُبُوَّةِ النَّبِيِّ الَّذِي أَتَى بِهَذِهِ الصَّلَوَاتِ وَعَدَدِ رَكَعَاتِهَا فَكَلَّمْنَا فِي نُبُوَّتِهِ وَإِثْبَاتِهَا ، فَإِنْ بَطَلَتْ بَطَلَتْ هَذِهِ الصَّلَوَاتُ وَسَقَطَ السُّؤَالُ عَنْهَا ، وَإِنْ ثَبَّتْ نُبُوَّتَهُ لَزِمَكَ الْإِقْرَارُ بِفَرْضِ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ عَلَى عَدَدِ رَكَعَاتِهَا ، لِصِحَّةِ مَجِيئِهَا عَنْهُ وَاجْتِمَاعِ أُمَّتِهِ عَلَيْهَا عَرَفَتْ عِلَّتَهَا أَمْ لَمْ تَعْرِفْهَا . وَهَكَذَا الْجَوَابُ لِمَنْ سَأَلَ عَنِ الْقَائِمِ (ع)»^(١) .

وهذا هو فصل الخطاب ولب الباب .

الوجه الثاني من أدلة الإمامة: النص النبوي على عدد الأئمة:

وكونهم اثني عشر لا يزيدون ولا ينقصون، وهو نص صريح على تعيين العدد وثبوته، ودالٌّ على المطلوب إذا ما أضيف إلى ما تقدم من نصوص إمامة محمد بن الحسن العسكري (ع)، وقد أورده ابن حزم جازماً قاطعاً وقال بعد إيراده: «هذه رواية جاءت مجيء التواتر»^(٢) ،

(١) كمال الدين : ٢٧ .

(٢) الفصل : ٨٩/٤ .

وقال الحافظ ابن حجر الهيتم بعد الاستشهاد به: «حديث صحيح ورد من طرق عن نحو أربعين صحابياً»^(١).

وكيف لا يكون صحيحاً ومتواتراً وقد أخرج المحدثون المسلمون جميعاً بأسانيدهم وطرقهم المعتمدة عندهم، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: البخاري ومسلم في صحيحهما^(٢)، وأبو داود والترمذي في سننهما^(٣) والإمام أحمد بن حنبل في مسنده^(٤) والحافظ الطبراني في معجمه^(٥) وكثير غيرهم. ورواه ابن حنبل في بعض أسانيد بلفظ «الأئمة من قريش»^(٦)، وجاء في بعض ألفاظ الطبراني في رواياته: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قيماً لا يضرهم مَنْ خذلهم»^(٧)، وفي بعض آخر: «اثنا عشر قيماً من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم»^(٨).

وواضح لكل قارئ لهذه الروايات أن الحصر العددي فيها غير قابل للتفسير والتأويل، لعدم إمكان انطباقه بأي نحو من الأنحاء على من تولى شؤون السلطان في التاريخ الإسلامي ممن يطلق عليهم اسم (الخلفاء) و(أمرء المؤمنين)، إذ لا يمكن أن يحمل هذا الحديث - كما قال الحافظ القندوزي الحنفي - «على الخلفاء بعده من أصحابه لقلنتهم عن اثني عشر، ولا يمكن أن يحمل على الملوك الأموية لزيادتهم على

(١) الصواعق المحرقة: ٦.

(٢) صحيح البخاري: ١٠١/٩ وصحيح مسلم: ٣/٦ و٤.

(٣) سنن أبي داود: ٤٢١/٢ وسنن الترمذي: ٥٠١/٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ١٢٩/٣ و١٨٣ و٤٢١/٤، ٨٦/٥ - ٩٠ و٩٢ و١٠٦.

(٥) المعجم الكبير: ٢١٤/٢ - ٢١٦ و٢١٨ و٢٤٨ و٢٥١ و٢٧٧ و٢٨٣ و٢٨٥.

(٦) مسند ابن حنبل: ١٢٩/٣ و١٨٣.

(٧) المعجم الكبير: ٢١٤/٢.

(٨) المصدر نفسه: ٢٨٦/٢.

اثني عشر... ولا يمكن أن يحمل على الملوك العباسية لزيادتهم على العدد المذكور»^(١).

وعلى الرغم من تواتر هذا الحديث - معنيّ وحصر عددٍ - وصحته المسلمة عند جميع المعنيين، فقد حكم (كاتب) فئة التشكيك بضعفه وأبى الإقرار به، وقال في ضمن تعليقاته العجبية على ما سماه «نظرية الاثني عشر» عند الشيعة:

«قام أصحاب النظرية باستيراد أحاديث من أهل السنة مروية عن رسول الله (ص) تشير إلى عدد الخلفاء أو الأمراء من بعده وتذكر رقم اثني عشر، وأضافوا إليها أحاديث اختلقوها بعد ذلك!!! تشير إلى حصر الإمامة في اثني عشر إماماً»، ثم طعن في جميع هذه الأحاديث قائلاً: إنها «ضعيفة عند السنة ولا يلتزم أحد بمضمونها»^(٢).

وأضاف هذا (الكاتب) إلى ذلك في موضع آخر من كتابه وهو يكرر رفضه لهذه الأحاديث فقال:

«الدليل النقلي الذي يعتمد على الروايات حول المهدي والأئمة الاثني عشر... انطلق في البداية من رواية سنينة ضعيفة تحتوي على ذكر اثني عشر أميراً أو خليفة... وهي ليست واضحة في مضمونها ولا مبينة لأسماء الخلفاء ولا مقتصرة على اثني عشر خليفة»^(٣).

وغير خفي على كل واقف على هذه الأقوال إنها مجرد ادعاءات عريّة عن الدليل والبرهان، لأن ما زعمه من ضعف هذه الأحاديث مردود

(١) ينابيع المودة: ٤٤٦.

(٢) كتاب الكاتب المذكور: ١١٠ - ١١١.

(٣) كتاب الكاتب المذكور: ١٨٧.

بورودها في الصحيحين المعروفين وفي غيرهما من مصادر الحديث الشهيرة بين المسلمين، وأما القول بأنها غير واضحة المضمون ولا مقتصرة على اثني عشر خليفة فيكفيها في ردّه حثّه على مراجعة كتب اللغة العربية ومعجماتها ليفهم منها معاني ألفاظ الحديث، إذ ربما أنساه السكن الطويل في لندن معاني تلك الألفاظ فلم يعد يعرف المراد منها في هذا المقام.

وحسبنا في كشف جهل هذا الرجل بحقائق الدين ومفاهيم الحديث أن نذكر له ما أعلنه الدكتور عدا ب محمود المؤهل لأن يكون شيخ هذه المجموعة وقطب رحاها؛ من أن إسناد حديث (الأئمة من قریش) صحيح لا شائبة فيه^(١) وحديث (الاثني عشر) صحيح مشهور^(٢)، وبذلك ألقم هؤلاء الأتباع المشككين جواباً مسكناً لا يقوون معه على الاستمرار في ترديد هذه الأقاويل.

الوجه الثالث من أدلة الإمامة: النص على اسم «المهدي» وغيبته:

وقد علم جميع الواقفين على مصادر الحديث الشريف أن هذا النص لم يكن خبيراً واحداً أو اثنين، وإنما هي مجموعة أخبار نبوية متواترة المعنى والمدلول ومتوحدة الهدف والسياق والاتجاه، وإن لم تكن متطابقة تماماً في اللفظ لتعد من المتواتر اللفظي، وقد تجاوزت العشرات عدداً إلى المئات، ورواها جمع غفير من الصحابة، وأخرجها عدد غفير أيضاً من الحفاظ ونقله الحديث. وبهذه الاستفاضة والتواتر لم

(١) المهدي المنتظر: ٢٨٠.

(٢) المهدي المنتظر: ٢٨٣.

يعد يصح علمياً النقاش أو التردد في صحة هذه الأحاديث وفي القطع بما جاء فيها وبما دلت عليه.

وإذا كان في بعض تلك الأحاديث ما لم يكن قطعي السند وإن كان ظاهر المعنى والدلالة، فإن قواعد علم الحديث المتفق عليها عند المعنيين توجب الأخذ بها والعمل بموجبها؛ لاعتزادها وانجبارها بالطائفة الأخرى الصحيحة السند والمسلمة الثبوت، ولذلك تداول الجمهور رواية الجميع لإجماعهم على مضمونها بالقطع واليقين.

ويمكننا إيجاز مدلول تلك الأحاديث وتصنيفها على النحو الآتي:

١ - الروايات المصرّحة بكون المهدي من قريش:

كقول النبي (ص): «أبشركم بالمهدي، رجل من قريش من عترتي، يُبعث في أمّتي على اختلافٍ من الناس وزلازل، فيملاً الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

٢ - المهدي من أولاد عبد المطلب:

كقول النبي (ص): «نحن سبعة من ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعليّ وجعفر والحسن والحسين والمهدي»^(٢).

٣ - المهدي من العترة:

من أهل البيت:

من آل محمد (ص):

(١) الصواعق المحرقة: ٩٩ والحاوي: ١٢٤/٢ وإسعاف الراغبين: ٢٤٣.

(٢) سنن ابن ماجه: ١٣٦٨/٢ والفصول المهمة: ٢٧٦ والحاوي: ١٢٤/٢ وينايع

كقول النبي (ص): «المهدي من عترتي»^(١) أو قوله (ص): «المهدي منا أهل البيت»^(٢) أو قوله (ص): «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^(٣) أو قوله (ص): «لا تذهب الدنيا - أو لا تنقضي الدنيا - حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي»^(٤) أو قوله (ص): «لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلماً وعدواناً ثم يخرج من عترتي - أو من أهل بيتي - من يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»^(٥). وقال الشيخ الشبلنجي: «تواترت الأخبار عن النبي (ص) أن المهدي من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً»^(٦).

٤ - المهدي من أولاد علي (ع):

كقول النبي (ص): «إن علياً وصيي، ومن ولده القائم المنتظر المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(٧) وقوله (ص) وقد أخذ بيد علي (ع): «سيخرج من صلب هذا فتى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً»^(٨).

(١) سنن أبي داود: ٤٢٢/٢ والصواعق المحرقة: ٩٧ والحاوي: ١٢٤/٢ وإسعاف الراغبين: ١٣١.

(٢) سنن ابن ماجه: ١٣٦٧/٢.

(٣) سنن أبي داود: ٤٢٢/٢ والصواعق المحرقة: ٩٧ والفصول المهمة: ٢٧٣ والحاوي: ١٢٥/٢ ونور الأبصار: ١٥٧.

(٤) سنن الترمذي: ٥٠٥/٤ ومسند ابن حنبل: ٣٧٦/١ و٣٧٧ و٤٣٠ و٤٤٨ وتذكرة الحفاظ: ٤٨٨/٢ والحاوي: ٨١٢٥/٢.

(٥) مسند ابن حنبل: ٣٦/٣.

(٦) نور الأبصار: ١٥٧.

(٧) ينابيع المودة: ٤٤٨.

(٨) الحاوي: ١٣٠/٢.

٥ - المهدي من أولاد فاطمة (ع):

كقول النبي (ص): «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(١) وقال السهيلي في شرح السيرة وهو يتحدث عن فضائل فاطمة الزهراء (ع): «ومن سؤدها أيضاً أن المهدي المبشّر به آخر الزمان من ذريتها»^(٢).

٦ - المهدي من أولاد الحسين (ع):

كقول النبي (ص) من جملة حديث طويل: «ثم ضرب على منكب الحسين فقال: من هذا مهدي الأمة»^(٣)، وقوله (ص) أيضاً: «لا تذهب الدنيا حتى يقوم بأمتي رجل من ولد الحسين يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً»^(٤).

أما ما روى أبو داوود في سننه من حديث أبي إسحاق السبيعي من قول علي (ع) وقد نظر إلى ابنه الحسن فقال: «إن ابني هذا سيد كما سماه النبي (ص)، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم - إلى آخر الحديث»^(٥) فلا يمكن تصحيحه وقبوله، لأن أبا داوود رواه عن مجهول لم يُسمَّه بل اكتفى بالقول: «حُدِّثُ عن هارون»، ولأن الحديث

(١) سنن أبي داوود: ٤٢٢/٢ وسنن ابن ماجه: ١٣٦٨/٢ والمستدرک علی الصحیحین: ١٦٦١ والبیان: ٦٤ وسیر أعلام النبلاء: ١١/١٧ والفصول المهمة: ٢٧١ والصواعق المحرقة: ٩٧ والحاوي: ١٢٤/٢ و١٣٧. ومما ينبغي ذكره تعقياً على هذا الحديث أن الحافظ الهيثمي في صواعقه والشيخ الصبان في الإسعاف قد نصا على وروده في صحيح مسلم ولكني لم أجده في طبعة محمد علي صبيح القاهرة.

(٢) الروض الأنف: ١/٢٨٠.

(٣) البيان: ٨٢.

(٤) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٥) سنن أبي داوود.

منقطع لعدم سماع أبي إسحاق من علي (ع) وهو المولود لستين بقيتا من خلافة عثمان كما نصّ ابن حجر، ولاحتمال طروء التصحيف بين الحسن والحسين (ع)، مضافاً إلى أن هذا الحديث مما تفرد به أبو داود ولم يخرج غيره .

٧ - المهدي التاسع من ذرية الحسين (ع):

كما في رواية سلمان الفارسي قال: «دخلت على النبي (ص) فإذا الحسين علي فخذه، وهو يقبل خديه ويلثم فاه ويقول: أنت سيد ابن سيد أخو سيد، وأنت إمام ابن إمام أخو إمام، وأنت حجة ابن حجة أخو حجة أبو حجج تسعة تاسعهم قائمهم المهدي»^(١).

٨ - المهدي ثاني عشر الأوصياء وثاني عشر الأئمة:

كقول النبي (ص) في حديث طويل: «... إن وصيي علي بن أبي طالب، وبعده سبطاي الحسن والحسين، تتلوه تسعة أئمة من صلب الحسين... إذا مضى الحسين فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه جعفر، فإذا مضى جعفر فابنه موسى، فإذا مضى موسى فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه محمد، فإذا مضى محمد فابنه علي، فإذا مضى علي فابنه الحسن، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمد المهدي. فهؤلاء اثنا عشر»^(٢).

٩ - المهدي ابن الحسن العسكري:

كقول النبي (ص) وهو يحدث جابر بن عبد الله الأنصاري عن

(١) ينابيع المودة: ٤٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤١.

الأئمة من بعده ذاكراً أسماءهم واحداً بعد واحد، إلى أن قال: «فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري، فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة، فيغيب ثم يخرج، فإذا خرج يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).



أما ما ورد في بعض المصادر في خلال حديث أسند إلى النبي (ص) أنه ذكر المهدي وقال: «من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي»^(٢) فالظاهر أن جملة «واسم أبيه اسم أبي» من الزيادات التي لم تكن في الأصل من جملة الحديث.

وقد روي هذا النص المشتمل على الزيادة عن عاصم بن أبي النجود بسنده عن عبدالله بن مسعود عن النبي (ص)، ولكن أغلب الحفاظ وأكثر المحدثين قد رووه بلا زيادة «واسم أبيه اسم أبي» ومنهم الترمذي في سننه وقال: «وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأم سلمة وأبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح»^(٣)، وكذلك رواه الإمام أحمد في مسنده في عدة مواضع والطبراني بطرق متعددة من غير هذه الزيادة.

وجمع الحافظ الكنجي الشافعي طرق هذا الحديث وأوصلها إلى أكثر من ثلاثين راوياً عن عاصم، ونقل ما جمعه الحافظ أبو نعيم من تلك الطرق المنتهية إلى عاصم^(٤)، ولم يرد في طريق منها لفظ «واسم أبيه اسم أبي»، مما يستفاد منه أنها زيادة من أحد الرواة عن عاصم،

(١) إسعاف الراغبين: ١٣٩ - ١٤٠ وينايع المودة: ٤٤٣.

(٢) الحاوي: ١٢٥/٢.

(٣) سنن الترمذي: ٥٠٥/٤.

(٤) البيان: ٦٠ - ٦٢.

ولذلك قال الحافظ الكنجي: «ولا يرتاب اللبيب أن هذه الزيادة لا اعتبار بها مع اجتماع هؤلاء الأئمة على خلافها»^(١).

وأما ما ورد في بعض الكتب من حديث «المهدي من ولد العباس» أو «يخرج من ولد العباس» فهو مردود فاقد الحجية، لأن سنده المتصل بكعب الأحبار منقطع بما جاء فيه «عن شيخ» ولم يسمه، وكذلك السند الذي فيه محمد بن الوليد، ونقل السيوطي عن الدارقطني قوله فيه: «هذا حديث غريب تفرد به محمد بن الوليد»^(٢)، وقال الشيخ محمد الصبان: «وخبر ابن عدي: المهدي من ولد العباس عمي؛ في إسناده وضاع»^(٣).

وكذلك القول في الحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه قال: «حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا محمد بن إدريس الشافعي، حدثني محمد بن خالد الجندي، عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك: أن رسول الله (ص) قال: لا يزداد الأمر إلا شدة؛ ولا الدنيا إلا إداراً؛ ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا مهدي إلا عيسى بن مريم»^(٤)، فقد ورد هذا الحديث من غير طريق محمد بن خالد الجندي مجرداً من زيادة (ولا مهدي إلا عيسى بن مريم)، وأورده ابن حجر الهيتمي متردداً فيه وقال: «على تقدير ثبوته»، وروى عن الحاكم قوله فيه: «أوردته تعجباً لا محتجاً به»، ثم روى عن البيهقي قوله فيه: «تفرد به محمد بن خالد، وقد قال الحاكم: أنه مجهول، واختلف عنه في إسناده، وصرح النسائي بأنه منكر»^(٥)، وقال

(١) المصدر نفسه: ٦٢.

(٢) الحاوي: ١٦٥/٢.

(٣) إسعاف الراغبين: ١٣٧.

(٤) سنن ابن ماجه.

(٥) الصواعق المحرقة: ٩٨.

ابن تيمية: هذا الحديث ضعيف وليس مما يعتمد عليه^(ط)، وروى الحافظ الكنجي عن الشافعي المطلب قوله في محمد بن خالد الجندي: «كان فيه تساهل في الحديث»، ثم قال الكنجي: «اتفقوا على أن الحديث لا يُقبل إذا كان الراوي معروفاً بالتساهل في روايته»^(١). وقال السيوطي معلقاً على هذا الحديث بعد إيراده: «قال القرطبي في التذكرة: إسناده ضعيف، والأحاديث عن النبي (ص) في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث، فالحكم بها دونه»^(٢).



وهكذا نجد في استعراض هذه الأحاديث - بعد الجمع بين متفرقاتها والملاءمة في مضامينها - إنها تحصر مهدي هذه الأمة حصراً بآبَنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ دُونَ غَيْرِهِ مِنْ مَدْعَى الْمَهْدِيَّةِ، وَهَذِهِ هِيَ النَّتِيجَةُ الْقَطْعِيَّةُ الثَّابِتَةُ الَّتِي لَا يَرْقَى إِلَيْهَا شَكٌّ وَلَا يَصِحُّ فِيهَا تَرَدُّدٌ، وَكَمَا قَالَ الْحَافِظُ الْكَنْجِيُّ الشَّافِعِيُّ: فَإِنَّ «انضْمامَ هَذِهِ الْأَسَانِيدِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ وَإِيْدَاعَ الْحَفَاطِ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ يُوْجِبُ الْقَطْعَ بِصَحَّتِهِ»^(٣).

ولم يبق ما يمكن أن يقال - تشكيكاً أو تعقيباً على مدلول هذه الأحاديث الصريحة الثابتة - إلا ما طرح عدد من الباحثين القدامى من تساؤلات قد تدور في ذهن بعض المعترضين؛ وما أجاب به أولئك الباحثون على هذه الاعتراضات بالتفصيل، وكان أوسعها شرحاً وبيانا ما

(ط) منهاج السنة: ٢١١/٤.

(١) البيان: ٨٧.

(٢) الحاوي: ١٦٥/٢.

(٣) البيان: ٦٥.

أورده محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢هـ، فقال فيما تقتطف من مجموع كلامه:

«فإن قال معترض: هذه الأحاديث النبوية الكثيرة بتعدادها؛ المصرحة بجملتها وأفرادها؛ متفق على صحة إسنادها، ومجمع على نقلها عن رسول الله (ص) وإيرادها، وهي صحيحة صريحة في إثبات كون المهدي من ولد فاطمة (ع)؛ وأنه من رسول الله (ص)؛ وأنه من عترته؛ وأنه من أهل بيته؛ وأن اسمه يواطىء اسمه؛ وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً؛ وأنه من ولد عبدالمطلب؛ وأنه من سادات الجنة. وذلك مما لا نزاع فيه، غير أن ذلك لا يدل على أن المهدي الموصوف بما ذكره (ص) من الصفات والعلامات هو هذا أبو القاسم محمد بن الحسن الحجة الخلف الصالح، فإن ولد فاطمة كثيرون، وكل من يولد من ذريتها إلى يوم القيامة يصدق عليه أنه من ولد فاطمة وأنه من العترة الطاهرة وأنه من أهل البيت، فيحتاجون مع هذه الأحاديث المذكورة إلى زيادة دليل على أن المهدي المراد هو الحجة المذكور، ليتم مرامكم».

«فجوابه: أن رسول الله (ص) لما وصف المهدي (ع) بصفات متعددة من ذكر اسمه ونسبه ومرجه إلى فاطمة (ع) وإلى عبدالمطلب وأنه أجلّى الجبهة أقى الأنف، وعدّد الأوصاف الكثيرة التي جمعها الأحاديث الصحيحة المذكورة آنفاً، وجعلها علامة ودلالة على أن الشخص الذي يسمى بالمهدي وتثبت له الأحكام المذكورة هو الشخص الذي اجتمعت تلك الصفات فيه، ثم وجدنا تلك الصفات المجعولة علامة ودلالةً مجتمعة في أبي القاسم محمد الخلف الصالح دون غيره، فيلزم القول بثبوت تلك الأحكام له وأنه صاحبها. وإلّا فلو جاز وجود ما هو علامة ودليل ولا يثبت ما هو مدلوله قدح ذلك في نصبها علامة ودلالة من رسول الله (ص) على ذلك».

«فإن قال المعترض: لا يتم العمل به بالعلامة والدلالة إلا بعد العلم باختصاص مَنْ وُجِدَتْ فيه بها دون غيره وتعيينه لها، فأما إذا لم يُعَلِّم تخصيصه وانفراده بها فلا يُحَكِّم له بالدلالة. ونحن نسلّم أنه من زمن رسول الله (ص) إلى ولادة الخلف الصالح الحجة محمد (ع) ما وُجِدَ من ولد فاطمة (ع) شخص جمع تلك الصفات التي هي العلامة والدلالة غيره، لكن وقت بعثة المهدي وظهوره وولايته هو في آخر أوقات الدنيا عند ظهور الدجال ونزول عيسى بن مريم (ع)، وذلك سيأتي بعد مدة مديدة، ومن الآن إلى ذلك الوقت المتراخي الممتد أزمان متجددة، وفي العترة الطاهرة من سلالة فاطمة (ع) كثرة يتعاقبون ويتوالدون إلى تلك الأيام، فيجوز أن يولد من السلالة الطاهرة والعترة النبوية مَنْ يجمع تلك الصفات فيكون هو المهدي المشار إليه في الأحاديث المذكورة، ومع هذا الاحتمال والإمكان كيف يبقى دليلكم مختصاً بالحجة محمد المذكور».

«فالجواب: إنكم إذا عرفتم أنه إلى وقت ولادة الخلف الصالح وإلى زماننا هذا لم يوجد مَنْ جمع تلك الصفات والعلامات بأسرها سواه، فيكفي ذلك في ثبوت تلك الأحكام له، عملاً بالدلالة الموجودة في حقه. وما ذكرتموه من احتمال أن يتجدد مستقبلاً في العترة الطاهرة من يكون بتلك الصفات لا يكون قادحاً في إعمال الدلالة؛ ولا مانعاً من ترتيب حكمها عليها، فإن دلالة الدليل راجحة لظهورها، واحتمال تجدد ما يعارضها مرجوح، ولا يجوز ترك الراجح بالمرجوح، فإنه لو جَوَّزنا ذلك لامتنع العمل بأكثر الأدلة المثبتة للأحكام الشرعية، إذ ما من دليل إلا واحتمال تجدد ما يعارضه متطرق إليه، ولم يمنع ذلك من العمل به وفقاً. ويؤكد أنه رسول الله (ص) - فيما أورده الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه (١٨٩/٧) يرفعه بسنده - قال لعمر بن الخطاب: (يأتي عليك

مع أمداد أهل اليمن أُويس بن عامر - من مرادٍ ثم من قَرَنٍ -، كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدة هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل)، فالنبي (ص) ذكر اسمه ونسبه وصفته وجعل ذلك علامة ودلالة على أن المسمى بذلك الاسم المتصف بتلك الصفات لو أقسم على الله لأبره وأنه أهل لطلب الاستغفار منه، وهذه منزلة عالية ومقام عند الله عظيم، فلم يزل عمر بعد وفاة رسول الله (ص) وبعد وفاة أبي بكر يسأل إمداد اليمن من الموصوف بذلك، حتى قدم وفد من اليمن فسألهم، فأخبر بشخص متصف بذلك، فلم يتوقف عمر في العمل بتلك العلامة والدلالة التي ذكرها رسول الله (ص)، بل بادر إلى العمل بها، واجتمع به وسأله الاستغفار، وجزم أنه المشار إليه في الحديث النبوي، لما علم تلك الصفات فيه، مع احتمال أن يتجدد في وفود اليمن مستقبلاً مَنْ يكون بتلك الصفات، فإن قبيلة مراد كبيرة، والتوالد فيها كثير، وعين ما ذكرتموه من الاحتمال موجود. وكذلك قضية الخوارج لما وصفهم رسول الله (ص) بصفات ورَّتب عليها حكمهم، ثم بعد ذلك لما وجدها علي (ع) موجودة في أولئك في واقعة حروراء والنهروان جزم بأنهم هم المرادون بالحديث النبوي، وقاتلهم وقتلهم، فعمل بالدلالة عند وجود الصفة مع احتمال أن يكون المرادون غيرهم. وأمثال هذه الدلالة والعمل بها مع قيام الاحتمال كثيرة، فعلم أن الدلالة الراجحة لا تُترك لاحتمال المرجوح».

«ونزيده بياناً وتقريراً فنقول: لزومُ ثبوت الحكم عند وجود العلامة والدلالة لمن وُجدت فيه أمرٌ يتعين العمل فيه والمصير إليه، فمن تركه وقال: بأن صاحب الصفات المراد بإثبات الحكم له ليس هو هذا بل شخص غيره سيأتي؛ فقد عدل عن النهج القويم ووقف نفسه موقف المليم».

«ويدل على ذلك أن الله عز وجل لما أنزل في التوراة على موسى أنه يبعث النبي العربي في آخر الزمان خاتم الأنبياء؛ ونعته بأوصافه؛ وجعلها علامة ودلالة على إثبات حكم النبوة له؛ وصار قوم موسى (ع) يذكرونه بصفاته ويعلمون أنه يُبعث، فلما قرب زمان ظهوره وبعثه صاروا يهددون المشركين به، ويقولون: سيظهر نبيٌّ نَعْتُهُ كَذَا وصفته كذا ونستعين به على قتالكم، فلما بُعث (ص) وجدوا العلامات والصفات بأسرها التي جُعِلَتْ دلالةً على نبوته أنكروه وقالوا: ليس هذا هو بل هو غيره وسيأتي، فلما جنحوا إلى الاحتمال؛ وأعرضوا عن العمل بالدلالة الموجودة في الحال، أنكر الله تعالى عليهم كونهم تركوا العمل بالدلالة التي ذكرها لهم في التوراة وجنحوا إلى الاحتمال».

«وهذه القصة من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على أنه يتعين العمل بالدلالة عند وجودها وإثبات الحكم لمن وُجِدَتْ تلك الأدلة فيه. فإذا كانت الصفات التي هي علامة ودلالة لثبوت تلك الأحكام المذكورة موجودة في الحجة الخلف الصالح محمد (ع) تعيّن إثبات كونه المهدي المشار إليه؛ من غير جنوح إلى الاحتمال بتجدد غيره في الاستقبال»^(١).



ونورد فيما يأتي في ختام الكلام عن الأحاديث النبوية المبشرة بمحمد بن الحسن المهدي (ع)، هاتين الجريدتين الدالتين - أوضح الدلالة - على صحة أسانيد تلك الأحاديث وكثرة روايتها وتواتر معناها وجلاء المراد منها لمن طلب لباب الحقيقة وألقى السمع وهو شهيد.

الجريدة الأولى: في ذكر بعض الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي (ع):

وهم فيما وقفتُ عليه من رواياتهم:

- ١ - معاذ بن جبل (ت ١٨هـ).
- ٢ - قتادة بن النعمان (ت ٢٣هـ).
- ٣ - عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ).
- ٤ - أبو ذر الغفاري (ت ٣٢هـ).
- ٥ - عبد الرحمن بن عوف (ت ٣٢هـ).
- ٦ - عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ).
- ٧ - العباس بن عبد المطلب (ت ٣٢هـ).
- ٨ - كعب الأحمار (ت ٣٢هـ).
- ٩ - عثمان بن عفان (ت ٣٥هـ).
- ١٠ - سلمان الفارسي (ت ٣٦هـ).
- ١١ - طلحة بن عبيد الله (ت ٣٦هـ).
- ١٢ - عمار بن ياسر (ت ٣٧هـ).
- ١٣ - علي بن أبي طالب (ت ٤٠هـ).
- ١٤ - تميم الداري (ت ٤٠هـ).
- ١٥ - زيد بن ثابت (ت ٤٥هـ).
- ١٦ - حفصة بنت عمر بن الخطاب (ت ٤٥هـ).

- ١٧ - الحسن بن علي بن أبي طالب (ت ٥٠هـ).
- ١٨ - عبد الرحمن بن سمرة (ت ٥٠هـ).
- ١٩ - مجمع بن جارية (ت نحو ٥٠هـ).
- ٢٠ - عمران بن حصين (ت ٥٢هـ).
- ٢١ - أبو أيوب الأنصاري (ت ٥٢هـ).
- ٢٢ - عائشة بنت أبي بكر (ت ٥٨هـ).
- ٢٣ - أبو هريرة (ت ٥٩هـ).
- ٢٤ - الحسين بن علي بن أبي طالب (ت ٦١هـ).
- ٢٥ - أم سلمة (ت ٦٢هـ).
- ٢٦ - عبد الله بن عمر بن الخطاب (ت ٦٥هـ).
- ٢٧ - عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٥هـ).
- ٢٨ - عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ).
- ٢٩ - زيد بن أرقم (ت ٦٨هـ).
- ٣٠ - عوف بن مالك (ت ٧٣هـ).
- ٣١ - أبو سعيد الخدري (ت ٧٤هـ).
- ٣٢ - جابر بن سمرة (ت ٧٤هـ).
- ٣٣ - جابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٨هـ).
- ٣٤ - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (ت ٨٠هـ).
- ٣٥ - أبو أمامة الباهلي (ت ٨١هـ).

٣٦ - بشر بن المنذر بن الجارود (ت ٨٣هـ).

٣٧ - عبدالله بن الحارث بن حمزة الزبيدي (ت ٨٦هـ).

٣٨ - سهل بن سعد الساعدي (ت ٩١هـ).

٣٩ - أنس بن مالك (ت ٩٣هـ).

٤٠ - أبو الطفيل (ت ١٠٠هـ).

٤١ - شهر بن حوشب (ت ١٠٠هـ).

الجريدة الثانية: في ذكر المحدثين الذين نصوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرّحوا بصحتها من غير الشيعة الإمامية:

١ - الترمذي (ت ٢٩٧هـ).

٢ - العقيلي (ت ٣٢٢هـ).

٣ - البربهاري (ت ٣٢٩هـ).

٤ - محمد بن الحسين الأبري (ت ٣٦٣هـ).

٥ - الحاكم (ت ٤٠٥هـ).

٦ - البيهقي (ت ٤٥٨هـ).

٧ - البغوي (ت ٥١٠هـ أو ٥١٦هـ).

٨ - ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ).

٩ - القرطبي المالكي (ت ٦٧١هـ).

١٠ - ابن منظور (ت ٧١١هـ).

١٢ - المزني (ت ٧٤٢هـ).

- ١٣ - الذهبي (ت ٧٤٨هـ).
- ١٤ - ابن القيم (ت ٧٥١هـ).
- ١٥ - ابن كثير (ت ٧٧٤هـ).
- ١٦ - التفتازاني (ت ٧٩٣هـ).
- ١٧ - نور الدين الهيثمي (ت ٨٠٧هـ).
- ١٨ - الجزري الشافعي (ت ٨٣٣هـ).
- ١٩ - أحمد بن أبي بكر البوصيري (ت ٨٤٠هـ).
- ٢٠ - ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ).
- ٢١ - شمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ).
- ٢٢ - السيوطي (ت ٩١١هـ).
- ٢٣ - الشعरاني (ت ٩٧٣هـ).
- ٢٤ - ابن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ).
- ٢٥ - المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ).
- ٢٦ - الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ).
- ٢٧ - البرزنجي (ت ١١٠٣هـ).
- ٢٨ - الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢هـ).
- ٢٩ - الشيخ محمد بن قاسم بن محمد جسوس المالكي (ت ١١٨٢هـ).
- ٣٠ - أبو العلاء العراقي (ت ١١٨٣هـ).
- ٣١ - السفاريني الحنبلي (ت ١١٨٨هـ).

٣٢ - الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥هـ).

٣٣ - الشيخ الصَّبَّان (ت ١٢٠٦هـ).

٣٤ - السويدي (ت ١٢٤٦هـ).

٣٥ - الشوكاني الزيدي (ت ١٢٥٠هـ).

٣٦ - الشبلنجي (ت ١٢٩١هـ).

٣٧ - أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية (ت ١٣٠٤هـ).

وعدد غير قليل من أعلام القرن الرابع عشر الهجري (*).

ومما ينبغي أن يضاف إلى هذه الجريدة المعنية بسرد أسماء المحدثين الرواة لأحاديث المهدي (ع) ذكر أولئك الباحثين الذين ألفوا الكتب والرسائل في هذا الموضوع من غير الشيعة الإمامية، ويحضرني منهم على سبيل المثال لا الحصر:

* عباد بن يعقوب الرواجني المتوفى سنة ٢٥٠هـ، له كتاب «أخبار المهدي».

* أبو نعيم الأصبهاني المتوفى سنة ٤٣٠هـ، له كتاب «أربعين حديثاً في أمر المهدي» وكتاب «مناقب المهدي» وكتاب «نعت المهدي».

* محمد بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨هـ، له كتاب «البيان في أخبار صاحب الزمان» وهو مطبوع.

(*) يراجع في تفاصيل نصوص هؤلاء المحدثين وأسماء من لم نذكر منهم - وهم غير قليل -، بحث السيد ثامر العميدي المنشور في مجلة (تراثنا) البيروتية، العدد ٤٣ - ٤٤، السنة ١١، ص ١٧ - ٢٦، ١٤١٦هـ. ومجلة الجامعة الإسلامية الصادرة في المدينة المنورة، العدد الثالث/ السنة الأولى.

- يوسف بن يحيى السلمى الشافعي المتوفى سنة ٦٨٥هـ، له كتاب «عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر» وهو مطبوع.
- * ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـ، له كتاب «المهدي».
- * ابن حجر الهيتمي الشافعي المتوفى سنة ٨٥٢هـ، له كتاب «القول المختصر في علامات المهدي المنتظر».
- * جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، له كتاب «العرف الوردى في أخبار المهدي»، وهو مطبوع، وكتاب «علامات المهدي».
- * ابن كمال باشا الحنفي المتوفى سنة ٩٤٠هـ، له كتاب «تلخيص البيان في علامات مهدي آخر الزمان».
- * محمد بن طولون الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ، له كتاب «المهدي إلى ما ورد في المهدي».
- * علي بن حسام الدين المتقي الهندي المتوفى سنة ٩٧٥هـ، له كتاب «البرهان في علامات مهدي آخر الزمان» وكتاب «تلخيص البيان في أخبار مهدي آخر الزمان».
- * علي القاري الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤هـ، له كتاب «الردُّ على مَنْ حكم وقضى أن المهدي جاء ومضى» وكتاب «المشرب الوردى في أخبار المهدي».
- * مرعي بن يوسف الكرعي الحنبلي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، له كتاب «فرائد فوائد الفكر في الإمام المهدي المنتظر».
- * القاضي محمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، له كتاب «التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح».

* رشيد الراشد التاذفي الحلبي المعاصر، له كتاب «تنوير الرجال في ظهور المهدي والدجال»، وهو مطبوع.



كذلك ينبغي أن يضاف إلى جميع ما تقدم: أسماء أولئك الشعراء الذين تضمنت قصائدهم ذكر انتظار المهدي (ع) والتطلع إليه والترقب ليومه والإقرار بحتمية ذلك وثبوته، ومنهم على سبيل الاستشهاد لا الاستيعاب:

* الكميث بن زيد الأسدي المتوفى سنة ١٢٦هـ، وفي ذلك يقول:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني^(١)

* إسماعيل بن محمد الحميري المتوفى سنة ١٧٣هـ، وفي ذلك

يقول:

بأن ولي الأمر والقائم الذي تطلّع نفسي نحوه بتطرّب
له غيبة لا بد من أن يغيبها فصلّى عليه الله من متغيّب
فيمكث حيناً ثم يظهر حينه فيملاً عدلاً كلّ شرق ومغرب^(٢)

* دعبل الخزاعي المتوفى سنة ٢٤٦هـ، في ذلك يقول:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله والبركات
يميّز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات^(٣)

* مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٨هـ، وفي ذلك يقول:

(١) الغدير: ١٨٤/٢ - ط النجف ١٣٦٥هـ ..

(٢) الغدير: ٢٢٣/٢.

(٣) ديوان دعبل: ٤٢.

عسى الدهر يشفي غداً من عندك قلب مغیظ بهم مكمِدِ
عسى سطوة الحق تعلو المحال عسى يغلب النقص بالسؤددِ
بسمعي لقائمكم دعوةٌ يلبي لها كلُّ مستنجدٍ^(١)

* ابن منير الطرابلسي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، وفي ذلك يقول في مداعبة له على سبيل الإنكار:

والبيتُ آل أمية الـ ظُهرَ الميامين الغُررُ
وأكذبُ الراوي وأظـ عَنُ في ظهور المنتظر^(٢)

* محمد بن طلحة الشافعي المتوفى سنة ٦٥٢هـ، وفي ذلك يقول:

وقد قال رسول اللـ به قولاً قد رويناؤه
إلى أن قال:

وقد أبداه بالنسب ة والوصفِ وسمّاهُ
ويكفي قوله: (متي) لاشراقٍ محيّاؤه
ومن بضعته الزهرا ء مرساه ومسراهُ
فمن قالوا هو المهديُّ ما مانوا بما فاهوا^(٣)

* ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفى سنة ٦٥٦هـ، وفي ذلك يقول:

ولقد علمتُ بأنه لا بدّ من مهديكم وليومه أتوقّعُ
يحميه من جند الإله كتائب كاليم أقبل زاخراً يتدفعُ
فيها لآل أبي الحديد صوارمٌ مشهورة ورماح خطّ شرّع^(٤)

(١) ديوان مهيبار: ٣٠٠/١.

(٢) الغدير: ٢٧٩/٤.

(٣) مطالب السؤول: ٧٩/٢.

(٤) شرح القوائد السبع العلويات: ٧٠.

* شمس الدين محمد بن طولون الحنفي الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣هـ، وفي ذلك يقول في أرجوزته التي يعدد فيها أسماء الأئمة الاثني عشر:

والعسكريُّ الحسن المطهَّرُ محمدُ المهديُّ سوف يظهرُ^(١)

* عبد الله بن علوي الحداد التريمي الشافعي المتوفى سنة ١١٣٢هـ، وفي ذلك يقول:

محمدُ المهديّ خليفة ربِّنا إمام الهدى بالقسط قامت ممالكُه
كأنِّي به بين المقام وركنِها يبايعه من كل حزبٍ مباركُه
ويقول في أخرى:

ومنا إمام حان حينُ خروجهِ يقوم بأمر اللّٰه خير قيام
فيملاً بالحقِّ والعدل والهدى كما ملئتُ جوراً بظلم طغام^(٢)



(١) الأئمة الاثنا عشر: ١١٨.

(٢) ديوان عبدالله بن علوي المسمى (الدر المنظوم): ١٨ و ١٤٦.

غيبة الإمام المهديّ (ع) بين المُثبِتِينَ والمُنكِرِينَ

كانت خلاصة الفصلين المتقدمين - كما قضت النصوص المتواترة ودلّت الروايات المتظافرة - أن مسألة «المهدية» في جذر فكرتها وأساس منطلقها عقيدة نابعة من صميم التشريع الإسلامي، وقد بشرّ بها الرسول الأعظم (ص) فيما أثير عنه منقولاً على لسان رجال الحديث طبقة بعد طبقة على مرّ الأجيال. كما ثبت أيضاً بما يابى الشك والتردد أن المهدي الذي وردت فيه تلك الأحاديث هو محمد بن الحسن العسكري بالذات والتعيين، وأنه ولد بسرّاً من رأى، وتداول خبر ولادته يومها جميع الخاصة من أصحاب أبيه ثم اشتهر بعد ذلك في مصادر التاريخ.

ولا بد لنا هنا - وبعد الإقرار بمجموع ما سلف بيانه - أن نتوقف قليلاً مدققين وممعنين فيما يترتب على اليقين بولادة محمد بن الحسن وثبوت كونه المهدي المنتظر، وأن ندرج في البحث في ضوء التساؤلات المتسلسلة الآتية:

- ١ - هل غاب المهدي؟
- ٢ - وما هو المراد بهذه الغيبة؟
- ٣ - وعلى فرض صحة هذه الغيبة هل يمكن أن يبقى الإنسان حياً طيلة هذه القرون؟

ويجدد بنا - وقد بلغنا هذه المرحلة الرئيسة والحساسة من البحث - أن نطرح التمهيد الآتي قبل الدخول في صلب الموضوع، ليكون عوناً لنا على استخلاص النتائج السليمة المقنعة ودحض الشبهات السطحية الطارئة:

من المعلوم المسلم لدى الجميع أن الإسلام قد جعل العقل أساس العقيدة ومرتكز الإيمان، ونهى عن التقليد الأعمى والتبعية العشواء، وفرض ضرورة استناد أصول الاعتقاد في مجملها إلى العقل معتمدة عليه ومستمدة قوتها وصلابتها منه وحده، دونما مشاركة شيء آخر من هوى النفس واندفاع العاطفة واتباع الآخرين بلا حجة.

وهكذا كان العقل هو القائد إلى الإيمان بالله تعالى وهو المرشد نحو الاعتقاد الثابت بوجوده ووحدانيته، ثم كان العقل - أيضاً - هو الدليل على ضرورة النبوة والإمامة والمعاد تفرعاً على الإيمان بالله عز وجل. أما المفردات الأخرى من أحكام الشرع ومسائل الدين فليست بحاجة إلى دليل عقلي خاص بكل مفردة منها على حدة، وليس لزاماً أن يقام عليها مثل هذا الدليل بعد أن كان الأساس قائماً عليه، بل يكفي في وجوب الإقرار بها مجرد ورود النص عليها بالطرق الشرعية المقررة للتعبد بالنصوص. ومن هنا آمن المسلمون - بصدق ويقين - بمسألة وجود الملائكة مثلاً أو تكلم عيسى (ع) في المهد أو تسبيح الحصى بيد النبي (ص) لورود النص على ذلك إما في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة المتواترة.

وإننا عندما نبحث موضوع المهدي وغيبته إنما نبحثه مع المسلمين المعترفين بأصول الإسلام وأسس التشريع، دون غيرهم من منكري وجود الله تعالى أو غير المقرين بالإسلام، وذلك لأن المسألة معتمدة في

جوهرها على الاستدلال بالقرآن المجيد والسنة الشريفة؛ فلا يصح الكلام فيها مع من لا يؤمن بالكتاب والسنة.

وبتعبير آخر: إننا نبحت هذا الموضوع على أساس الاعتقاد الديني المستند إلى الأدلة الشرعية التي أجمع المسلمون على وجوب العمل بها، ولا ندعي أنه من قبيل العملية الرياضية البديهية كحاصل ضرب ٢ × ٢؛ أو من قبيل القواعد الفلسفية التي لا مجال فيها للأخذ والرد كبطلان الدور والتسلسل.

وإذن. ينبغي أن يكون القارئ الكريم على علم بأننا سنبحت هذه المسألة بكل جوانبها في ضوء الكتاب والسنة، لأنهما مصدر التشريع وباب المعرفة عند المسلمين، وإن إنكارهما والخروج عليهما إنكار للإسلام وخروج على أحكامه وتكاليفه^(١).

وإذا اتضح هذا التمهيد - وهو واضح جداً - صحَّ منا تفريراً عليه أن نقول:

إن النصوص النبوية الشريفة التي رواها حفاظ الحديث - ومنهم من اتفق المسلمون على صحة ما حدّثوا به في ذلك - تُكرّر ذكر كلمة «الغيب» كثيراً^(٢)، وفي بعضها: «تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأمم»^(٣)، وفي أخرى: «يغيب عن أوليائه غيبة، لا يثبت على القول

(١) من الغريب جداً في هذا المقام ما يرويه الدكتور أحمد أمين في كتابه المهدي والمهدوية: ١٠٨ من «أن مذهب ابن خلدون قبول الخبر الواحد إذا أيده حكم العقل ورفض الأحاديث الكثيرة إذا لم يؤيدها العقل»، وأنه إنما أنكر المهدي والمهدوية لأن الأحاديث المعنية بذلك مخالفة لحكم عقله!!!

(٢) تراجع في هذه النصوص كتاب البيان للحافظ الكنجي الشافعي: ١٠٢ - ١١٣.

(٣) ينابيع المودة: ٤٨٨.

بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان»^(١)، وفي حديث ابن عباس: «بيعت المهدي بعد إياس وحتى يقول الناس: لا مهدي»^(٢)، وفي حديثه الآخر - وهو طويل جاء فيه - نقلاً عن رسول الله (ص): «والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً أن الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعز من الكبريت الأحمر. فقام إليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله؛ وللقائم من ولدك غيبة؟، قال: اي وربي، ليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين. ثم قال: يا جابر، إن هذا أمر من أمر الله وسر من سر الله، فأياك والشك فإن الشك في أمر الله عز وجل كفر»^(٣).

إن كلمة «الغيبة» كما وردت في الأحاديث المارة الذكر كما يقتضيها سياق الكلام لا تعني إحياء المهدي بعد موته وإعادته إلى الدنيا بعد وفاته، وإنما هي نظرة إلى اختفائه واحتجابه عن الناس وعدم رؤيتهم إياه ومشاهدتهم له، وهذا هو المتبادر إلى الأذهان عند قراءة تلك الروايات والوقوف على كلمة (الغيبة) المتكررة فيها.

ومما يزيد هذا المعنى تأكيداً ما ورد في الحديث النبوي الذي اتفق المسلمون على روايته عن الرسول الأعظم (ص): «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» أو «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»^(٤)، إذ هو صريح في ضرورة وجود إمام حي في كل عصر وحين بما يشمل حالتي الغيبة والحضور.

(١) المصدر نفسه: ٤٩٥.

(٢) الحاوي: ١٥٢/٢.

(٣) ينابيع المودة: ٤٤٨.

(٤) يراجع في هذا الحديث: صحيح مسلم: ٢٢/٦ ومسند أحمد: ٤٤٦/٣ و٤٦/٤

والكافي: ٣٧٦/١ والمعجم الكبير: ٣٨٨/١٩ ومجمع الزوائد: ٢١٨/٥ و٢٢٤

وعندما تثبت ولادة محمد بن الحسن ثبوتاً قطعياً لا ريب فيه تكون كلمة «غيبته» الواردة في النصوص النبوية وضرورية وجود الإمام في كل زمان دليلين جليين على استمرار حياة هذا الرجل طيلة تلك القرون؛ وعلى رفض جميع ما يقال في هذا الصدد من تردد واستبعاد.

والقول بوفاة المهدي بعد ثبوت ولادته - مع كونه مخالفاً لأحاديث الغيبة وحديث استمرار الإمامة - لم يشتهر في مصادر التاريخ ولم يعرف خبره على ألسن المؤلفين. متى مات... وفي أي يوم وشهر وسنة... ومتى شُيِّعَ وَمَنْ حضر تشييعه... وأين دُفِنَ وفي أي بلد... ولماذا لم تعلن الجهات الحاكمة تلك الوفاة لتتخلص من تمسك شيعته بالإيمان بوجوده؟؟

إن هذا كله يؤكد أن المهدي حي لم يموت، وأنه اختفى عن أعين أعدائه حفاظاً على حياته ونجاة بنفسه.

وكان اختفاؤه هذا على مرحلتين:

الأولى -: اختفاؤه عن أعين عامة الناس حينما هجم جيش الخليفة على دار الإمام العسكري (ع) إثر وفاته. وكان يتصل خلال هذا الاختفاء المسمى في المصادر بـ «الغيبة الصغرى» أو «القُصْرَى» بالثقات المخصوصين من وكلائه وسفرائه وأصحابه، ويتسلم منهم رسائل شيعته وأسئلتهم، ويمدهم بالأجوبة والردود عليها لإيصالها للسائلين والمستفهمين^(١).

(١) يراجع في مكاتبات الإمام المهدي (ع) وتوقيعاته وأجوبته على ما يرده من أسئلة شيعته في الفقه خاصة: كتب الحديث الأربعة المعروفة عند الشيعة الإمامية، وفي مكاتباته وتوقيعاته الأخرى غير الفقهية الكتب الآتية:

ونورد فيما يأتي من أمثلة تلك الأجوبة والردود ما أجاب به (ع) محمد بن علي بن هلال الكرخي على كتابه الذي ذكر فيه الغلاة وأقوابلهم الشاذة في اعتقادهم بالأئمة، وجاء في بعض ذلك الجواب ما لفظه:

«يا محمد بن علي، تعالى الله عز وجل عما يصفون، سبحانه وبحمده، لسنا نحن شركاءه في علمه ولا في قدرته، بل لا يعلم الغيب غيره كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾، وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من النبيين؛ ومن الآخرين محمد رسول الله وعلي بن أبي طالب وغيرهما ممن مضى من الأئمة إلى مبلغ أيامي ومنتهى عصري؛ عبيد الله عز وجل...».

«يا محمد بن علي، قد أذانا جهلاء الشيعة وحمقاؤهم... فأشهد الله الذي لا إله إلا هو - وكفى به شهيداً - ورسوله محمداً (ص) وملائكته وأنبياءه وأوليائه؛ وأشهدك وأشهد كل من سمع كتابي هذا أنني بريء إلى الله وإلى رسوله ممن يقول إننا نعلم الغيب أو نشارك الله في ملكه أو يحلنا محلاً سوى المحل الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدى بنا عما فسرتك لك وبيئته في صدر كتابي...».

= الإرشاد: ٣٧٨ - ٣٨٣.

إعلام الوري: ٢٦٢/٢ - ٢٧٥.

الاحتجاج: ٥٣٦/٢ - ٥٤٦، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥٨، ٥٦٠، ٥٦٣، ٥٩٠، ٥٩٧ -

٦٠٣.

الخرائج والجرائح: ١١١٣/٣ - ١١١٥.

كشف الغمة: ٢٤٩/٣ - ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٣٩.

بحار الأنوار: ٣٠٣/٥١، ٣٠٦، ٣٠٨، ١٥٠/٥٣، ١٩٧.

«وجعلتُ هذا التوقيع الذي في هذا الكتاب أمانة في عنقك وعنق من سمعه أن لا يكتبه من أحدٍ من مواليِّ وشيعتي، حتى يظهر على هذا التوقيع الكلُّ، لعل الله عز وجل يتلافهم فيرجعون إلى دين الله الحق وينتهون عما لا يعلمون منتهى أمره»^(١).

ومن أمثلة ذلك أيضاً جوابه (ع) على رسالة إسحاق بن يعقوب علي يد الوكيل الثاني محمد بن عثمان العمري؛ وقد سأل فيها عدة مسائل ومنها ما يتعلق بجعفر بن الإمام الهادي (ع) في ادعائه الإمامة وإنكاره وجود ابن أخيه، وكان مما جاء في هذا الجواب:

«أما ما سألتَ عنه - أرشدك الله وثبتك - من أمر المنكرين من أهل بيتنا وبني عمنا؛ فاعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحدٍ قرابة، ومن أنكرنني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح، وأما سبيل عمي جعفر وولده فسبيل أخوة يوسف (ع)»^(٢).

الثانية -: اختفاؤه الكامل عن كل الناس بحيث لا يتصل به أحدٌ مطلقاً^(٣)، وهو الاختفاء المسمى بـ«الغيبة الكبرى» أو «الطولى» في المصادر القديمة، ويقوم في آخرها بالسيف ليطهر الأرض من الجور والظلم، ويتحقق وعد الله تعالى بقوله في كتابه المجيد: ﴿وَرِيدٌ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً وَجَعَلْنَاهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ وقوله

(١) الاحتجاج: ٥٥٠/٢ - ٥٥١.

(٢) الاحتجاج: ٥٥٣/٢ - ٥٥٤ وبحار الأنوار: ٢٢٧/٥٠، و١٨٠/٥٣.

(٣) ينسب الدكتور أحمد أمين إلى الشيعة اعتقادهم في المهدي «أنه وهو في استتاره يحرك أتباعه ليزيلوا المظالم» وأنه «يعيش في الخفاء ويوحى من وراء ستار بالأوامر والنواهي» المهدي والمهدوية: ١٠٩ و١١٩.

أقول: كل كتب الشيعة تصرح بأن المهدي غائب لا يتصل به أحد، فأين الصدق في القول وأين الأمانة في النقل؟

عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(١).



وكان الشيخ الطوسي قد توقف لأكثر من مرة في بحثه المعني بالغيبة وشؤونها عند سبب الغيبة والاستتار وعلّة ذلك فقال في بعض ما أفاد به:

«مما يُقْطَع على أنه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه من القتل بإخافة الظالمين إياه؛ ومنعهم إياه من التصرف فيما جُعل إليه التدبير والتصرف فيه... وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته ولزم استتاره، كما استتر النبي (ص) تارة في الشَّعب وأخرى في الغار، ولا وجه لذلك إلا الخوف من المصارِّ الواصلة إليه».

«فأما التفرقة بطول الغيبة وقصرها فغير صحيحة، لأنه لا فرق في ذلك بين القصير المنقطع والطويل الممتد، لأنه إذا لم يكن في الاستتار لائمة على المستتر إذا أُحْوج إليه... جاز أن يتناول سبب الاستتار كما جاز أن تقصر أيامه».

«فإن قيل: إذا كان الخوف أحوجه إلى الاستتار فقد كان آباؤه (ع) عندكم على تقيّة وخوف من أعدائهم فكيف لم يستتروا؟ قلنا: ما كان على آباءه (ع) خوف من أعدائهم مع لزوم التقيّة والعدول عن التظاهر بالإمامة... وإمام الزمان (ع) كلُّ الخوف عليه لأنه يظهر بالسيف ويدعو إلى نفسه ويجاهد من خالفه عليه... على أن آباءه (ع) متى قُتلوا أو ماتوا كان هناك من يقوم مقامهم ويسدُّ مسدّهم... وصاحب الأمر (ع)

بالعكس من ذلك، لأن من المعلوم أنه لا يقوم أحد مقامه ولا يسد مسدّه، فبان الفرق بين الأمرين»^(١).

ثم كرر الطوسي بيان سبب الغيبة والامتناع من الظهور فقال شارحاً وموضحاً: «لا علة تمنع من ظهوره إلا خوفه على نفسه من القتل، لأنه لو كان غير ذلك لما ساغ له الاستتار».

«إن قيل: أليس آباؤه (ع) كانوا ظاهرين ولم يخافوا ولا صاروا بحيث لا يصل إليهم أحد؟ قلنا: آباؤه (ع) حالهم بخلاف حاله، لأنه كان المعلوم من حال آبائه لسلطين الوقت وغيرهم أنهم لا يرون الخروج عليهم، ولا يعتقدون أنهم يقومون بالسيف ويزيلون الدول... وليس يضر السلطان اعتقاد من يعتقد إمامتهم إذا أمنوهم على مملكتهم ولم يخافوا جانبهم... وليس كذلك صاحب الزمان (ع)، لأن المعلوم منه أنه يقوم بالسيف ويزيل الممالك ويقهر كل سلطان، ويبسط العدل ويميت الجور، فمن هذه صفته يُخاف جانبه وتُتقى فورته، فَيُتَّبَع ويُرْصَد وتوضع العيون عليه... فيخاف حينئذٍ ويُحَوِّج إلى التحرز والاستظهار بأن يخفي شخصه عن كل من لا يأمنه من ولي وعدو».

«وأيضاً: فأباؤه (ع) إنما ظهروا لأنه كان من المعلوم أنه لو حدث بهم حادث لكان هناك من يقوم مقامه ويسد مسدّه من أولادهم، وليس كذلك صاحب الزمان (ع) لأن المعلوم أنه ليس بعده من يقوم مقامه قبل حضور وقت قيامه بالسيف، فلذلك وجب استتاره وغيبته وفارق حاله حال آبائه (ع)»^(٢).



(١) غيبة الطوسي: ٩٠ - ٩٣.

(٢) غيبة الطوسي: ٣٢٩ - ٣٣١.

وعندما نصل إلى هذه المرحلة من البحث - بعد ثبوت ما تقدم بيانه من وجود المهدي واختفائه واستمرار حياته إلى اليوم - يقفز إلى الذهن سؤال رئيس وملحّ يدور حول إمكان بقاء الإنسان على قيد الحياة طوال هذه السنين وهل يقر العقل البشري بذلك؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نود أن نذكّر القارئ بما سلف منّا ذكره من أن حقائق الشرع إذا ثبتت بالنقل الصحيح فإننا - بحكم كوننا مسلمين - ملزمون بالتعبد بذلك وقبول ما ورد النص عليه ولو لم تهتد عقولنا لفهم فلسفته وإدراك سرّه، وليس يسوغ لنا إنكار شيء من تكاليف الدين الأساسية بدعوى الجهل بوجه الحكمة والعلة فيه؛ وبحجة عدم فهم السر أو عدم الاقتناع بالأمر.

أما طول العمر وامتداد الحياة مئات من السنين فليس مستحيلاً كما يتصور بعض المتصورين، بل روى المؤرخون وقوع ذلك كثيراً في تاريخ البشرية الطويل.

فآدم (ع) مثلاً عمّر ألف سنة.

ولقمان صاحب النور عمّر ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة.

وسلمان الفارسي عمّر طويلاً في الأرض، وادعى بعض المؤرخين أنه عاصر المسيح (ع) وأدرك الإسلام وتوفي في أيام الخليفة عمر بن الخطاب.

إلى كثير وكثير ممن عمّر مئات السنين وروى خبرهم المؤرخون وبخاصة السجستاني الذي جمع أخبارهم في كتاب سمّاه (المعمّرون)، وهو مطبوع معروف.

هذا من ناحية الإثبات التاريخي.

وأما القرآن الكريم - وهو أصدق الكلام وأقوى الحجج - فقد قال الله تعالى فيه وقوله الحق:

إن نوحاً النبي (ع) لبث في قومه يدعوهم إلى الله (٩٥٠) عاماً، والله أعلم بما عاش قبل البعثة والدعوة؛ وبعد الطوفان.

وإن يونس النبي (ع) بقي حياً في بطن الحوت مدة من الزمن، ولولا فضل الله عليه ل بقي في بطنه إلى يوم القيامة: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِذْ يَوْمَ يُنْعَمُونَ﴾ ومعنى هذا اللبث بقاءه حياً إلى يوم القيامة وبقاء الحوت حياً معه خلال هذه الآماد المتמادية.

وإن أهل الكهف ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾، ولا نعلم كم عاشوا قبل دخولهم في الكهف وبعد خروجهم منه.

وإن (الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال: أئني يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه، قال: كم لبثت؟ قال: لبثت يوماً أو بعض يوم، قال: بل لبثت مائة عام، فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّ وانظر لى حمارك)، ولعل بقاء الطعام والشراب مائة عام من دون أن يفسد أو يأسن أعجب من طول عمر الإنسان وأغرب^(١).

هذا كله بالإضافة إلى ما تناقله مؤلفو السير ورواه رجال الحديث

(١) ومع كل هذه النصوص القرآنية الصريحة فإن الدكتور أحمد أمين يرى أنه لا يمكن للإنسان أن «يختفي ويبقى مختفياً مئات السنين من غير أن يجري الله عليه حكم الموت»، بل أن ذلك في رأيه «لا يجوز إلا على السذج الذين فقدوا عقولهم» المهدي والمهدوية: ٩٦.

فهل يرى الدكتور في التصديق بعدم إجراء الموت على نوح ويونس والحوت وأهل الكهف مئات من السنين دليلاً على السذاجة وفقدان العقل؟.

وتلقوه بالإقرار والقبول من حياة العبد الصالح الخضر من قبل زمان النبي موسى (ع) وإلى آخر الزمان.

فهل نصدّق بكل ذلك الذي نطق به القرآن واستفاضت به السنة أم نكفر به؟ وهل يصح منّا إنكاره ورفضه بمجرد ادعاء أن العقل البشري بمستواه الحاضر لم يدرك بعد أسرار هذه الأمور ولم يكشف خباياها المجهولة؟

إن موضوع غيبة المهدي قائم على هذا الأساس بالضبط، ولا بد لنا من القول باستمرار حياته جرياً مع تلك النصوص وتصديقاً للنبي (ص) الذي ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ وتنفيذاً لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾، إذ يكون الإيمان بذلك مساوقاً للإيمان بعمر نوح ولبث يونس في بطن الحوت وولادة عيسى من غير أب وبقاء الطعام والشراب مائة عام دون أن يصبه التلف.

وإلى هذا المعنى يشير الحافظ الكنجي وهو يتحدث عن المهدي: «ولا امتناع في بقاءه، بدليل بقاء عيسى والياس والخضر من أولياء الله تعالى؛ وبقاء الدجال وإبليس الملعونين من أعداء الله تعالى. وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة وقد اتفقوا عليه، ثم أنكروا جواز بقاء المهدي»^(١).

ويزيد الشيخ الطوسي الموضوع بياناً فيقول: «فأما ما يعرض من الهرم بامتداد الزمان وعلو السن وتناقص بنية الإنسان فليس مما لا بد منه... وهو تعالى قادر أن لا يفعل ما أجرى العادة بفعله... وإذا ثبتت هذه الجملة ثبت أن تطاول العمر ممكن غير مستحيل»^(٢).

(١) البيان: ١٠٢.

(٢) الغيبة: ٨١٢٦.

ويقول الوزير الإربلي في ذلك: «إذا ثبت أن الله سبحانه قد عمّر خلقاً من البشر ما ذكرناه من الأعمار - وبعضهم حجج الله تعالى وهم الأنبياء؛ وبعضهم غير حجة - ولم يكن ذلك محالاً في قدرته؛ ولا منكرأ في حكمته؛ ولا خارقاً للعادة، بل مألوفاً على الأعصار؛ معروفاً عند جميع أهل الأديان، فما الذي ينكر من عمر صاحب الزمان أن يتناول إلى غاية عمر بعض من سَمَّيناه»^(١).

ويقول محمد بن طلحة الشافعي: «مَنْ غاب وإن انقطع خبره لا توجب غيبته وانقطاع خبره الحكم بمقدار عمره ولا بانقضاء حياته، وقدرة الله واسعة وألطافه بعباده عظيمة... وليس بدع ولا مستغرب تعمير بعض عباد الله المخلصين؛ ولا امتداد عمره إلى حين، فقد مدَّ الله تعالى أعمار جمع كثير من خلقه، من أصفياؤه وأوليائه ومن مطروديه وأعدائه: فمن الأصفياء عيسى (ع)؛ ومنهم الخضر؛ وخلق آخرون من الأنبياء طالت أعمارهم... ومن الأعداء المطرودين إبليس والدجال ومن غيرهم كعاد الأولى... وكل هذه لبيان اتساع القدرة الربانية في تعمير بعض خلقه. فأَيُّ مانع يمنع من امتداد عمر الصالح الخلف الناصح إلى أن يظهر فيعمل ما حكم الله له به»^(٢).



وإذا كان النص القرآني والحديث الشريف قد دلَّ على إمكان بقاء الإنسان حيّاً أكثر من ألف عام وعلى وقوع ذلك في الأمم السابقة؛ فلا يصحُّ عدُّه شيئاً فوق العلم وفوق العقل، بل أن العلم الحديث يصرِّح بأن

(١) كشف الغمة: ٣/٣٥٥.

(٢) مطالب السؤل: ٨٦/٢ - ٨٧.

بإمكان الإنسان البقاء آلاف السنين لو تهيأ له من وسائل المحافظة على القوى البدنية ما يساعده على البقاء.

و«إن العلماء الموثوق بعلمهم يقولون: إن كل الأنسجة الرئيسية من جسم الحيوان تقبل البقاء إلى ما لا نهاية له؛ وأنه في الإمكان أن يبقى الإنسان حياً ألوفاً من السنين إذا لم تعرض عليه عوارض تصرم حبل حياته، وقولهم هذا ليس مجرد ظن بل هو نتيجة عملية مؤيدة بالامتحان. إن الإنسان لا يموت لأنه عمّر كذا من السنين سبعين أو ثمانين أو مائة أو أكثر، بل لأن العوارض تنتاب بعض أعضائه فتتلفها، ولارتباط أعضائه بعضها ببعض تموت كلها، فإذا استطاع العلم أن يزيل هذه العوارض أو يمنع فعلها لم يبق مانع يمنع استمرار الحياة مئات من السنين»^(١).

وإن «جان رويستان يعتقد بضوء الاكتشافات والتجارب العلمية أن اتباع طريقة حفظ الإنسان لم يعد يبدو مستحيلاً، فإن الاكتشافات التي سجلها عدد من مشاهير العلماء منذ حوالي قرن تترك بعض الأمل في إمكانية التوصل إلى مركب متناسق يساعد في تحقيق المزيد من التقدم، اعتماداً على تجارب علمية سجلها براون سيكوارد؛ والكسي كاريل؛ وفورنوف؛ وميتشبنكوف؛ وبوغو مولتيز؛ وفيلاتف؛ وغيرهم. أما روبرت اينتنجر الذي وضع أخيراً كتاباً قيماً بعنوان (الإنسان هل يمكن أن يخلد حياً) فقد خلق أملاً جديدة إذ قال: إن الإنسان الذي يعيش ويتنفس الآن يملك حفظ البقاء من الناحية الفيزيائية»^(٢).

هذا كله مضافاً إلى التصريحات الكثيرة بشأن إمكان المحافظة على

(١) مجلة المقتطف المصرية/ الجزء الثالث/ السنة التاسعة والخمسون.

(٢) جريدة الأنباء الجديدة البغدادية/ العدد ٤٠/ السنة الأولى/ ٢٧ آذار ١٩٦٥م.

حياة الإنسان أُلوف السنين لو جُمِد خلال هذه المدة، وذلك بسبب أن التجميد يحافظ على كل الخلايا الحية، ومتى ما أُريدت إعادة الحركة إلى الإنسان المجمّد أُعْطِيَ من الحرارة ما يستلزمه الجسم منها فيعود كما كان نابضاً بالحركة والحيوية.

ومهما يكن من أمر، فإن تصريحات العلماء المعاصرين تؤكد إمكان طول عمر الإنسان، وأن هذه الإمكان هو الدافع الأكبر لهم على المثابرة في السعي لمعرفة الوسائل التي تحقق ذلك.

وإذا صح إمكان عمر الإنسان بحسب الاستعداد والطبيعة؛ كان ممكناً بل صحيحاً بالقطع واليقين طول عمر المهدي (ع) طيلة هذه القرون بحسب الطبيعة أولاً وبحسب ما يضاف إليها (ثانياً) من الإرادة الإلهية القائلة للشيء كن فيكون.



وبعد :

فإن البشرية التي تعيش اليوم أعقد ظروفها الفكرية والاجتماعية؛ وأخطر مراحلها الحضارية المجهولة العواقب؛ في أمس الحاجة إلى هذا المصلح المنتظر الذي لا شك أنه سيطلع عليها قطعاً في يوم نرجو أن يكون قريباً، ليقود ركب الإنسانية إلى غايته المثلى ويحملة على انتهاج الصراط المستقيم.

وإن العقل البشري - المسلم منه وغير المسلم - ليتطلع إلى مثل هذا المنقذ المنتظر بمتهى الشوق واللهفة، ويقر بحتميته وضرورته حتى لو لم يكن هناك نصٌّ عليه أو إشارة إليه. ولذلك بشّر الفيلسوف البريطاني المشهور برناردشو بظهور هذا المنقذ بإيحاء من فكره الذاتي، وكتب في ذلك كتاباً سماه (الإنسان والسوبرمان)، ذهب فيه إلى بيان حاجة البشرية لهذا الإنسان المنتظر، ووصفه في تخيله الفلسفي بأنه «إنسان حي ذو بنية جسدية صحيحة وطاقة عقلية خارقة، إنسان أعلى يترقى إليه هذا الإنسان الأدنى بعد جهد طويل»، وأنه «يطول عمره حتى ينيف على ثلاثمائة سنة، ويستطيع أن ينتفع بما استجمعه من أطوار العصور وما استجمعه من أطوار حياته الطويلة».

ويقول عباس محمود العقاد معقّباً على ذلك: «يلوح لنا أن

سوبرمان (شو) ليس بالمستحيل؛ وأن دعوته إليه لا تخلو من حقيقة ثابتة^(١).



ولن نجد في نهاية هذا الحديث مسكاً لختامه خيراً من أن نردّد مخلصين؛ ونبتهل إلى الله تعالى صادقين، فنكرر ما جاء في الدعاء المأثور قائلين:

(اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا، وغيبة ولينا، وكثرة عدونا، وقلة عددنا، وشدة الفتن بنا، وتظاهر الزمان علينا، فصلّ على محمد وآله وأعنا على ذلك بفتح منك تعجّله، وبصرّ تكشفه، ونصرّ تعزّه، وسلطان حق تظهره).

اللهم انصره نصرأ عزيزأ، وافتح له فتحأ يسيراً، واجعلنا من أنصاره وأعوانه، إنك سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



(١) برناردشو لعباس محمود العقاد/ سلسلة اقرأ المصرية/ العدد ٨٩ / ص ١٢٤ -

مُلْحَقَا الْكِتَابِ

الملحق الأول

سرداب الغيبة

الملحق الثاني

وكلاء الإمام المهدي (ع) في غيبته الصغرى





الملحق الأول

سرداب الغيبة

سرداب الغيبة مكان معروف ومَعْلَم بارز في العتبة المقدسة في سر من رأى، ويقع في الجهة الغربية من قَبْرِ الإمامين العسكريين (ع)، وقد استمد قدسيته وأهميته من علم الناس بكونه جزءاً من بيت الأئمة (ع) الذي عاشوا فيه أيام إقامتهم في سامراء وكان موضعاً لمببتهم وعبادتهم في بعض الأحيان، ثم دفن الإمامان الهادي والعسكري في طرف من ذلك البيت، فكان هذا الجزء من الأماكن المباركة التي يذكر فيها اسم الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار.

وقد حاول بعض المؤلفين أن يخلق من هذا السرداب قصة أو أسطورة تقول: إنَّ جيش الخليفة العباسي لما هجم على دار الإمام الحسن العسكري بعد وفاته لإلقاء القبض على ولده المهدي، فرَّ هذا الولد من أيديهم وغاب عن الأعين بدخوله السرداب المشار إليه ولم يخرج منه إلى الآن. وكل ذلك من المملُق الموضوع الذي لا أصل له في المصادر الموثقة ولا يمت إلى واقع الحال بصلة.

وزعم ابن تيمية - وربما أشاع الأعداء ذلك قبل عصر ابن تيمية - أن المهدي «قد دخل السرداب سنة ستين ومائتين وله خمس سنين عند بعضهم وأقل من ذلك عند آخرين، ولم يظهر عنه شيء»^(١).

وكان الوزير الإبلي - وهو أسبق تاريخاً من ابن تيمية - قد ذكر هذا الزعم وقال: إن ادعاء كون المهدي في سرداب «قول عجيب وتصور غريب، فإن الذين أنكروا وجوده (ع) لا يوردون هذا، والذين يقولون بوجوده لا يقولون إنه في سرداب، بل يقولون: إنه حي موجود يحل ويرتحل ويطوف في الأرض»^(١).

ثم استمر القائلون بذلك ممن انطلت عليهم تلك الأكاذيب في تكررا هذه المقولة حتى اليوم، وكان آخر من أوردها في أيامنا الحاضرة كاتب اسمه عبدالمجيد الشاوي في مقاله المنشور في جريدة الزمان اللندنية تحت عنوان (على مائدة الزمان) تحدث فيه عن استعمال كلمة (الزمان) في التراث العربي، وجاء فيه قوله:

«ومن أجل أن الزمان أشمل من الزمن وأغلب قالوا: المهدي المنتظر صاحب الزمان، وعلى جهة الاستطراد المفيد أقول لك: إن المهدي المنتظر صاحب الزمان هو من الحقائق المجمع عليها في ملّة الإسلام، سوى أن الشيعة تقول: إنه محمد بن الحسن العسكري دخل سرداب الدار في سامراء سنة ٢٦٥هـ وهو ابن تسع سنوات ولم يخرج منه، وهو حي إلى اليوم»^(٢).

وما أدري كيف سوَّغ هذا الكاتب لنفسه أن ينسب إلى الشيعة هذا القول من دون إشارة إلى من قال ذلك من علمائهم ومؤلفيهم ومؤرخيهم؛ ومن دون ذكرٍ لمصدر هذا القول في الكتب والمؤلفات الشيعة، مما يدل على أنه اعتمد على الإشاعات التاريخية المغرضة بلا سندٍ أو تحقيق.

(١) كشف الغمة: ٢٩٦/٣.

(٢) جريدة الزمان: السنة السادسة/ العدد ٨/١٥٢٥ حزيران ٢٠٠٣م/ ص٩.

وقد استوفى أحد الباحثين المعاصرين - وهو المرحوم الشيخ المحلّاتي - الكلام في هذا الموضوع استيفاء تاماً شاملاً في كتابه تاريخ سامراء، ويبيّن الحقيقة على نحوٍ صحيحٍ وسليمٍ من الشوائب والأباطيل، وأنا أروي فيما يأتي معظم كلامه بالنص لأنه عين الصواب وفصل الخطاب:

قال الشيخ - رحمه الله - متحدثاً عن الإمام المهدي (ع):

«لما توفي أبوه غاب عن الأنظار، لا أنه دخل في السرداب وأمه تنظر إليه كما توجد هذه العبارة في بعض كتب العامة. وأن الشيعة الإمامية تبرأ من هذه المعتقدات التي يلصقها بهم من أراد الحط من كرامة مذهبهم بما لم تجوّز له الشريعة الإسلامية»^(١).

وقال وهو يتحدث عن السرداب:

«ليس اشتهار هذا السرداب بسرداب الغيبة لأن الحجّة (ع) غاب فيه كما زعمه من يجهل التاريخ، بل لأن بعض الأولياء تشرف بخدمته فيه، وأنه مبيت الثلاثة من الأئمة (ع) وموضع تعبدهم... ولذلك صار من البقاع المتبركة».

«وكان هذا السرداب داخل البيت، وله طريق في البناء القديم من وراء مرقد العسكريين (ع) عند قبر أمّ القائم... وكان الزائر ينزل في الدرج ويمشي في أزج حتى يدخل السرداب من جهة قبلته. وكان الأمر كذلك إلى حدود عام اثنين ومائتين بعد الألف، فلما تصدى لعمارة هذه البقعة المباركة الملك أحمد خان الدنبلي (من حكام أذربيجان) جعل للسرداب باباً من جهة الشمال وسدّ باب القبلة... وهو اليوم (أي يوم

(١) تاريخ سامراء: ١/٢٩٢ - ٢٩٣.

كتابة هذا الشرح) له عشر درجات مفروشة بالرخام، ينزل الزائر منها إلى رحبة لا يقل طولها عن ثلاثة عشر ذراعاً».

«والباب المشبك الخشبي المنصوب على الصفة في السرداب المقدس في يومنا هذا من الآثار الباقية للإمام المستنصر العباسي، وقد عمله في سنة ست وستمائة - وكان العلامة النوري قد ذكر في كشف الأستار... إن الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء بنور الله من خلفاء العباسية هو الذي أمر بعمارة السرداب.. وهذا الخشب من التحف والآثار الثمينة، ولقد مضى عليه إحدى وخمسون وسبعمائة سنة وهو بعدُ جديدٌ كأنه من صنع اليوم»^(١).

«ولما رأت سدة المكان رغبة المؤمنين في زيارة تلك البقعة جعلوا يأخذون تراب ذلك المكان ويعطونه الزائرين بإزاء دراهم معدودة، فأدى ذلك إلى أن حُفرت تلك البقعة مقدار درجتين. ثم تصدى إلى طمّها العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الطهراني رحمه الله. ثم حفرها بعض السدنة لمقاصدهم الخاصة وسمّوها بئر صاحب الزمان، فكثرت شكوى الزائرين في عصر آية الله المجدد الميرزا محمد حسن الشيرازي طاب رسمه، فعمل بعض العوام باباً فضياً على حدّ فم البئر ونصبه عليها، فلم تمر الأيام والليالي حتى سُرق الباب وعاد الأمر كما كان، وأن آية الله المجدد - رحمه الله - لم يتمكن من تغيير ذلك إلى أن زالت الدولة العثمانية من العراق. فسعى في طمّ البئر المولى الحجة الميرزا محمد الطهراني فطمّها بمعونة الحكومة وفرشها بالرخام الصقيل، ومع ذلك فقد فعل بعضهم ثقباً تحت الرخام ووسطه بمقدار أن تدخل الكف فيه لأخذ التراب، وربما وضعوا التراب فيه من الخارج لإعطائه الزائرين الذين لا

(١) تاريخ سامراء: ١/٢٨٨.

يعلمون حقيقة التراب. ونظير هذه المشكلة البئر التي عند الباب الذي يفتح إلى صحن الحجّة (ع) غرباً، حيث يزعم عوام الناس أن قطرة من حليب ثدي حكيمه بنت الإمام الجواد (ع) وقعت فيها... ويزدحم العوام على البئر ويأخذون من مائها ويتبركون به، وكان على رأس البئر بعض السدنة يأخذ منهم بعض الدراهم ويعطيهم شربة منه، ولعمري أن هذا من حيل بعض السدنة، وهو جهل مفرط سيطر على بعض الجهال من الزائرين. وقد أشار إلى بعض ما ذكرناه العلامة المحدث الميرزا حسين النوري - قدس سره - في مزاره المسمى (تحية الزائر) الفارسي المطبوع^(١).



الملحق الثاني

وكلاء الإمام المهدي (ع) في غيبته الصغرى

كان للإمام المنتظر (ع) في أثناء الغيبة الصغرى أربعة وكلاء، هم: أبو عمرو؛ عثمان بن سعيد العُمري؛ الذي نصبه أولاً الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي وكيلاً عنه ثم ابنه أبو محمد الحسن العسكري (ع) فتولى القيام بأمورهما حال حياتهما، ثم قام بعد ذلك بأمر الوكالة عن صاحب الزمان (ع) فكانت توقيعاته في جواب المسائل تخرج على يديه. والثاني: أبو جعفر محمد بن عثمان. والثالث: أبو القاسم الحسين بن روح. والرابع: أبو الحسن علي بن محمد السمري، ولما حضرت السمريّ الوفاة سُئل أن يوصي فقال: لله أمر هو بالغه، وذلك لوقوع الغيبة التامة الكبرى التي لا يلتقي فيها أحد مع الإمام حتى يأذن الله تعالى له بالظهور.

وأجمع المؤرخون على أن أحداً من هؤلاء الأربعة لم يتم بواجب الوكالة والسفارة «إلا بنصّ عليه من قبل صاحب الأمر (ع) ونصّ صاحبه الذي تقدّم عليه»، كما أجمعوا على أنهم «كانوا أهل عقل وأمانة وثقة ظاهرة ودراية وفهم وتحصيل ونباهة، وكانوا معظّمين عند سلطان الوقت لعظم أقدارهم وجلالة محلهم، مكرّمين لظاهر أمانتهم واشتهار عدالتهم»^(١).

(١) كمال الدين: ٢٤١ وغيبة الطوسي: ٣٩٣ - ٣٩٤ والاحتجاج: ٥٥٤/٢ - ٥٥٥ =

ونورد فيما يأتي لإتمام الفائدة واستكمال البحث موجزاً من تاريخ حياتهم وسيرهم، ليكون القارئ على علم بهم وبما عرفهم الناس به من الثقة والأمانة وصدق الحديث:

الوكيل الأول: عثمان بن سعيد:

أبو عمرو الأسدي، المعروف بـ(العَمْرِي) نسبةً إلى جده و(العسكري) نسبة إلى عسكر سر من رأى و(السَّمَان) و(الزيات) لأنه كان يَتَجَرَّعُ فِي السَّمْنِ «تغطية على الأمر»، و«كان الشيعة إذا حملوا إلى أبي محمد (ع) ما يجب عليهم حمله من الأموال أنفذوا إلى أبي عمرو ذلك فيجعله في جُرْبِ السَّمْنِ وزقاقه ويحمله إلى أبي محمد (ع) تقيّة وخوفاً».

وكان أبو عمرو هذا من أصحاب الإمام علي بن محمد الهادي (ع) ووكلائه، وتولّى خدمته وصحبته إحدى عشرة سنة، و«له إليه عهد معروف». ثم كان وكيل الإمام الحسن العسكري (ع) من بعد أبيه. ثم أصبح أول سفراء المهدي الثقات الممدوحين في زمن الغيبة الصغرى.

وحدّث أبو علي أحمد بن إسحاق بن سعد القمي قال: «دخلتُ على أبي الحسن علي بن محمد (ع) في يوم من الأيام فقلت: يا سيدي أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول مَنْ نَقْبِلُ وَأَمْرَ مَنْ نَمْتَثِلُ؟ فقال (ع) لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله لكم فعنّي يقوله، وما أدّاه إليكم فعني يؤديه... فلما مضى أبو الحسن (ع) وصلتُ إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري ذات

= وإعلام الوري: ٢٥٩/٢ - ٢٦٠ والخرائج والجرائح: ١١٠٨/٣ وكشف الغمة: ٣٣٧/٣ - ٣٣٨ وخلاصة العلامة: ١٣٤ وبحار الأنوار: ١٥/٥١ و١٠٧ - ١٠٨ و٢٠٣ و٣٤٧ - ٣٤٨ و٣٦٠.

يوم فقلت له مثل قولي لأبيه، فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين؛ ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أذى إليكم فعني يؤديه».

وفي لفظ الشيخ الكليني في روايته هذه عن أحمد بن إسحاق: «سألت أبا الحسن الهادي (ع) وقلت: مَنْ أَعْمَلُ وَعَمَّنْ أَخَذُ وَقَوْلُ مَنْ أَقْبَلُ؟ فقال: العمري ثقتي، فما أذى إليك عني فعني يؤدي، وما قال لك عني فعني يقول، فاسمع له وأطع فإنه الثقة المأمون»، ثم روى عن أحمد أيضاً عن الإمام العسكري (ع) أنه قال له: «العمري وابنه ثقتان، فما أذى إليك فعني يؤديان، وما قالاً لك فعني يقولان، فاسمع لهما وأطع فإنهما الثقتان المأمونان». وروى الطوسي عن أبي العباس الحميري تفريعاً على هذه الرواية قوله: «فكنا كثيراً ما نتذاكر هذا القول ونتواصف جلاله محل أبي عمرو».

وحدث محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسينان قالاً: «دخلنا على أبي محمد الحسن (ع) بسر من رأى وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدرُّ خادمه فقال: يا مولاي؛ بالباب قوم شعثٌ غُبرٌ... قال الحسن (ع) لبدر: فامض فأتنا بعثمان بن سعيد العمري، فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد (ع): امض يا عثمان فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله واقبض من هؤلاء نفر اليمنيين ما حملوه من المال. ثم ساقا الحديث إلى أن قالوا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا؛ والله أن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علماً بموضعه من خدمتك وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى. قال: نعم؛ واشهدوا على أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن ابنه محمداً وكيل ابني مهديكم».

وروى الطوسي بسنده حديثاً طويلاً عن الإمام العسكري (ع) جاء

في ختامه: «فاقبلوا من عثمان ما يقوله، وانتهوا إلى أمره، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه».

وتوفي عثمان بن سعيد - كما يبدو من سياق الروايات المعنية بهذا الرجل وابنه محمد - بعد وفاة الإمام العسكري (ع) بقليل، ولم تطل مدة وكالته عن الإمام المنتظر (ع)، ودفن ببغداد حيث يحل قبره القائم المعروف حتى اليوم^(١).

الوكيل الثاني: محمد بن عثمان؛ أبو جعفر:

قال الشيخ الطوسي: «فلما مضى أبو عمرو عثمان بن سعيد قام ابنه أبو جعفر محمد بن عثمان مقامه، بنصّ أبي محمد (ع) عليه ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر القائم (ع)»، و«الشيعة مجتمعة على عدالته وثقته وأمانته، لما تقدم له من النص عليه بالأمانة والعدالة والأمر بالرجوع إليه في حياة الحسن (ع)»، و«كانت توقيعات صاحب الأمر تخرج على يدي عثمان بن سعيد وابنه أبي جعفر محمد بن عثمان إلى شيعته... بالأمر والنهي والأجوبة عما يسأل الشيعة عنه إذا احتاجت إلى السؤال فيه... فلم تزل الشيعة مقيمة على عدالتهما إلى أن توفي عثمان بن سعيد - رحمه الله ورضي عنه - وغسّله ابنه أبو جعفر وتولى القيام به، وحصل الأمر كله مردوداً إليه».

ولما توفي عثمان بن سعيد ورد إلى ابنه محمد توقيع من الإمام الثاني عشر (ع) في التعزية بأبيه، جاء فيه:

(١) يراجع فيما أوردنا في ترجمة عثمان بن سعيد: الكافي: ١/ ٣٣٠ وغيبة الطوسي: ٢٤٣ - ٣٥٤ - ٣٥٧ - ٣٦٠ وخلاصة الأقوال: ٦٢ وبحار الأنوار: ٥١/ ٣٤٤ - ٣٤٦ ومجمع الرجال: ٤/ ١٣١ ومجمع رجال الحديث: ١١/ ١٢٠ - ١٢٢.

«إنا لله وإنا إليه راجعون، تسليماً لأمره ورضى بقضائه. عاش أبوك سعيداً ومات حميداً، فرحمه الله وألحقه بأوليائه ومواليه، فلم يزل مجتهداً في أمرهم، ساعياً فيما يقربه إلى الله عز وجل. نضر الله وجهه، وأقاله عثرته».

«وفي فصل آخر: أجزل الله لك الثواب، وأحسن لك العزاء، رُزئت ورُزنتا، وأوحشك فراقه وأوحشنا، فسره الله في منقلبه. وكان من كمال سعادته أن رزقه الله عز وجل ولداً مثلك يخلفه من بعده، ويقوم مقامه بأمره، ويترحم عليه. وأقول: الحمد لله، فإن الأنفس طيبة بمكانك وما جعله الله عز وجل فيك وعندك. أعانك الله وقواك، وعضدك ووقفك، وكان لك ولياً وحافظاً (أو: راعياً)، وكافياً ومعيناً».

وجاء في توقيع آخر من الإمام المهدي (ع) إلى محمد بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي بعد وفاة عثمان بن سعيد: «والابن - وقاه الله - لم يزل ثقتنا في حياة الأب - رضي الله عنه وأرضاه ونضر وجهه - يجري عندنا مجراه ويسد مسده، وعن أمرنا يأمر الابن، وبه يعمل، تولاه الله، فانتبه إلى قوله».

وفي توقيع آخر منه (ع) بخطه جاء فيه: «وأما محمد بن عثمان العمري - رضي الله عنه وعن أبيه من قبل - فإنه ثقتي، وكتابه كتابي».

وقال الشيخ الطوسي: «كان لأبي جعفر محمد بن عثمان العمري كتب مصنفة في الفقه مما سمعها من أبي محمد الحسن (ع) ومن صاحب (ع) ومن أبيه عثمان بن سعيد عن أبي محمد وعن أبيه علي بن محمد (ع)، فيها كتب ترجمتها: كتب الأشربة. وقد وصلت هذه الكتب إلى أبي القاسم الحسين بن روح - رضي الله عنه - عند الوصية إليه، وكانت في يده».

وتوفي محمد بن عثمان في آخر شهر جمادى الأولى أو آخر جمادى الآخرة، سنة أربع أو خمس وثلاثمائة، بعد أن تولى الوكالة عن الأئمة (ع) نحواً من خمسين سنة. وقبره ببغداد معروف مائل يزوره الناس حتى اليوم^(١).

الوكيل الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي:

روى الصدوق بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل قال: «لما حضرت أبا جعفر محمد بن عثمان العمري الوفاة كنتُ جالساً عند رأسه أسأله وأحدّثه، وأبو القاسم الحسين بن روح عند رجليه، فالتفت إليّ ثم قال: قد أمّرتُ أن أوصي إلى أبي القاسم الحسين بن روح. قال: فقمْتُ من عند رأسه وأخذت بيد أبي القاسم وأجلسته في مكاني وتحولتُ عند رجليه».

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله جعفر بن محمد المدائني قال: «كان من رسمي إذا حملتُ المال الذي في يدي إلى الشيخ أبي جعفر محمد بن عثمان العمري أن أقول له: هذا المال ومبلغه كذا وكذا للإمام (ع)... فيقول: نعم للإمام، فيقبضه. فصرتُ إليه آخر عهدي به ومعني أربعمائة دينار، فقلت له على رسمي، فقال لي: امض بها إلى الحسين بن روح، فتوقفت فقلت: تقبضها أنت مني على الرسم، فردّ

(١) اقتبسنا ما أوردنا في ترجمة محمد بن عثمان من: كمال الدين: ٢٦٧ و ٢٨٠ - ٢٨١ وغيبة الطوسي: ٢٩١ و ٣٥٧ و ٣٥٩ و ٣٦١ و ٣٦٣ و ٣٦٦ والخرائج والجرائح: ٣/١١١٢ والاحتجاج: ٢/٥٦٢ وإعلام الوري: ٢/٢٥٩ وكشف الغمة: ٣/٣٣٨ وخلاصة العلامة: ٧٣ وبحار الأنوار: ٥١/٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥٢ ومجمع الرجال: ٧/١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ١٦/٣٠٩ - ٣١٢ والذريعة: ١٠٦/٢.

عليّ كالمنكر لقولي وقال: قم عافاك الله فادفعها إلى الحسين بن روح. فلما رأيت في وجهه غضباً خرجت وركبت دابتي، فلما بلغت بعض الطريق رجعتُ كالشاكِّ فدققت الباب، فخرج إليّ الخادم فقال: مَنْ هذا؟، فقلت: أنا فلان... أدخل فاستأذِن لي فإنه لا بد من لقائه، فدخل فعرفه خبر رجوعي... فخرج... فقال لي: ما الذي جرّأك على الرجوع ولمّ لم تمتثل ما قلته لك؟ فقلت: لم أجسر على ما رسمته لي، فقال لي وهو مغضب: قم عافاك الله فقد أقمّتُ أبا القاسم حسين بن روح مقامي ونصبتَه منصبِي. فقلت: بأمر الإمام؟ فقال: قم عافاك الله كما أقول لك. فلم يكن عندي غير المبادرة، فصرتُ إلى أبي القاسم ابن روح - وهو في دار ضيقة - فعرفته ما جرى، فسُرَّ به وشكر الله عز وجل، ودفعتُ إليه الدنانير، وما زلت أحمل إليه ما يحصل في يدي بعد ذلك».

وروى الطوسي أيضاً بسنده عن جعفر بن أحمد بن متيل القمي قال: «كان محمد بن عثمان أبو جعفر العمري - رضي الله عنه - له من يتصرف له ببغداد نحو من عشرة أنفس، وأبو القاسم ابن روح فيهم، وكلهم كانوا أخصّ به من أبي القاسم... فلما كان وقت مضيّ أبي جعفر - رضي الله عنه - وقع الاختيار عليه، وكانت الوصية إليه».

وروى أيضاً بسنده عن أبي علي محمد بن همام قال: «إن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري جمعنا قبل موته - وكنا وجوه الشيعة وشيوخها - فقال لنا: إن حدث عليّ حدث الموت فالأمر إلى أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي، فقد أمرتُ أن أجعله في موضعي بعدي، فارجعوا إليه، وعولوا في أموركم عليه».

وروى أيضاً بسنده عن أحمد بن إبراهيم وأبي جعفر عبد الله بن

إبراهيم وجماعة من أهلها من بني نوبخت: «أن أبا جعفر العمري لما اشتدت حاله اجتمع جماعة من وجوه الشيعة منهم أبو علي بن همام وأبو عبدالله بن محمد الكاتب وأبو عبدالله الباقطاني وأبو سهل إسماعيل بن علي النوبختي وأبو عبدالله ابن الوجناء وغيرهم من الوجوه والأكابر، فدخلوا على أبي جعفر - رضي الله عنه - فقالوا له: إن حدث أمرٌ فمن يكون مكانك؟ فقال لهم: هذا أبو القاسم الحسين بن روح بن أبي بحر النوبختي القائم مقامي والسفير بينكم وبين صاحب الأمر (ع) والوكيل له والثقة الأمين، فارجعوا إليه في أموركم، وعولوا عليه في مهماتكم، فبذلك أمرت وقد بلغت».

وروى الطوسي أيضاً بسنده عن أم كلثوم بنت أبي جعفر العمري قالت: «كان أبو القاسم الحسين بن روح - رضي الله عنه - وكيلاً لأبي سنين كثيرة، ينظر في أملاكه، ويلقى بأسراره الرؤساء من الشيعة، وكان خصيصاً به... فحصل في أنفس الشيعة محصلاً جليلاً لمعرفتهم باختصاص أبي إياه وتوثيقه عندهم ونشر فضله ودينه وما كان يحتمله من هذا الأمر... إلى أن انتهت الوصية إليه بالنص عليه، فلم يُخْتَلَفَ في أمره ولم يشك فيه أحد».

وكان أبو عبدالله بن غالب - وهو حمو أبي الحسن بن أبي الطيب يقول: «ما رأيت من هو أعقل من الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح... وكانت العامة أيضاً تعظمه».

وحدّث الطوسي بسنده عن أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي قال: «قال مشايخنا: كنّا لا نشك أنه إن كانت كائنة من أمر أبي جعفر لا يقوم مقامه إلا جعفر بن أحمد بن متيل أو أبوه، لِمَا رأينا من الخصوصية به وكثرة كينونته في منزله، حتى بلغ أنه كان في آخر عمره لا

يأكل طعاماً إلا ما أُضْلِحَ في منزل جعفر بن أحمد بن متيل وأبيه بسبب وقع له . . . وكان أصحابنا لا يشكون إن كانت حادثة لم تكن الوصية إلا إليه من الخصوصية به . فلما كان عند ذلك ووقع الاختيار على أبي القاسم سلّموا ولم ينكروا، وكانوا معه وبين يديه كما كانوا مع أبي جعفر - رضي الله عنه -، ولم يزل جعفر بن أحمد بن متيل في جملة أبي القاسم وبين يديه كتصرفه بين يدي أبي جعفر العمري إلى أن مات . فكل من طعن على أبي القاسم فقد طعن على أبي جعفر وطعن على الحجة (ع) .»

ويستفاد من خلاصة جملة من الروايات أن أبا القاسم الحسين بن روح كان قد خاف من السلطة خلال أيام وكالته فاستتر عن الناس، ونصب أبا جعفر محمد بن علي المعروف بالشلمغاني وكان مستقيماً يومذاك «لم يظهر منه الكفر والإلحاد وكان الناس يقصدونه ويلقونه، لأنه كان صاحب الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح سفيراً بينهم وبينه في حوائجهم ومهماتهم» .

وجاء في بعض تلك النصوص: أن الشلمغاني المذكور «كان وجيهاً عند بني بسطام . . . فكان عند ارتداده يحكي كل كذب وبلاء وكفر لبني بسطام ويسنده عن الشيخ أبي القاسم فيقبلونه منه ويأخذونه عنه، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره وأعظمه ونهى بني بسطام عن كلامه، وأمرهم بلعنه والبراءة منه»، «ولم يبق أحد إلا وتقدم إليه الشيخ أبو القاسم وكتبه بلعن أبي جعفر الشلمغاني والبراءة منه وممن تولاه ورضي بقوله»، «ثم ظهر التوقيع من صاحب الزمان (ع) بلعن أبي جعفر محمد بن علي والبراءة منه وممن تابعه وشايعه ورضي بقوله»، «وكان تاريخ هذا التوقيع في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة . . .»

ثم أمر الخليفة العباسي الراضي بالله بالقبض عليه وقتله، فقتل في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

ويقول الحافظ الذهبي: أن الشلمغاني أبا جعفر لما ادّعى أنه الباب إلى الإمام المنتظر وزعم مزاعمه المفسدة للعقيدة والإيمان «أظهر أمره وفضّحه أبو القاسم الحسين بن روح رأس الشيعة الملقب بالباب إلى صاحب الزمان».

وكان الشيخ الطوسي قد روى عن أبي محمد الحسن بن جعفر بن إسماعيل بن صالح الصيمري قال: «لما أنفذ الشيخ أبو القاسم الحسين بن روح - رضي الله عنه - التوقيع في لعن ابن أبي العزاقر (الشلمغاني) أنفذه من محبسه في دار المقتدر إلى شيخنا أبي علي بن همام - رحمه الله - في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وأملاه أبو عليّ عليّ، وعرفني أن أبا القاسم - رضي الله عنه - راجع في ترك إظهاره فإنه في يد القوم وفي حبسهم، فأمر بإظهاره وأن لا يخشى ويأمن، فتخلص فخرج من الحبس بعد ذلك بمدة يسيرة».

وروى الذهبي: أن ابن أبي طيّ قال في تاريخه متحدثاً عن الحسين بن روح: أن أبا جعفر محمد بن عثمان العمري «نصّ عليه بالنيابة وجعله من أول مَنْ يدخل... قال: وقد خرج على يديه تواقع كثيرة، فلما مات أبو جعفر صارت النيابة إلى حسين هذا، فجلس في الدار وحفّ به الشيعة، فخرج ذكاء الخادم ومعه عكازة ومدرج وحقّة وقال له: إن مولانا قال: إذا دفنني أبو القاسم حسين وجلس فسلمّ إليه هذا. وإذا في الحقّ خواتيم الأئمة... وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء والوزراء يركبون إليه والأعيان، وتواصّف الناس عقله وفهمه. ولم يزل أبو القاسم وافر الحرمة إلى أن وزر حامد بن العباس، فجرت له معه خطوب يطول شرحها».

وأضاف الذهبي إلى ما تقدم قائلًا: «ثم سرد ابنُ أبي طيِّ ترجمته في أوراق، وكيف أُخِذَ وسُجِنَ خمسة أعوام، وكيف أُطْلِقَ وقت خلع المقتدر، فلما أعادوه إلى الخلافة شاوروه فيه فقال: دعوه فبخطيَّته أُوذينا».

«وبقيت حرمة على ما كانت إلى أن مات... وكانت الإمامية تبدل له الأموال، وله تلطف في الذب عنهم؛ وعبارات بليغة تدل على فصاحته وكمال عقله. وكان مفتي الرافضة وقودتهم، وله جلاله عجيبة».

وتوفي الحسين بن روح - رحمه الله - في شعبان سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وقبره معلوم بارز في سوق الشورجة ببغداد^(١).

الوكيل الرابع: علي بن محمد السمري:

روى الصدوق بسنده عن أبي محمد الحسن بن أحمد المكتوب قال: «كنتُ بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد السمري، فحضرته قبل وفاته بأيام، فأخرج إلى الناس توقيعاً نُسخته:

«بسم الله الرحمن الرحيم. يا علي بن محمد السمري: أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام، فاجمع أمرك، ولا

(١) رجعنا فيما تقدم من ترجمة الحسين بن روح إلى المصادر الآتية: كمال الدين: ٢٧٦ - ٢٧٧ وغيبة الطوسي: ٣٠٣ و٣٠٧ - ٣٠٨ و٣٦٧ و٣٦٩ - ٣٧٢ و٣٨٤ و٣٨٦ - ٣٨٧ والخرائج والجرائح: ٣/١١٢٠ - ١١٢١ وإعلام الوري: ٢/٢٥٩ وكشف الغمة: ٣/٣٣٨ وسير أعلام النبلاء: ١٤/٥٦٧ و١٥/٢٢٢ - ٢٢٤ ولسان الميزان: ٢/٢٨٣ - ٢٨٤ والوافي بالوفيات: ١٢/٢٢٦ - ٢٢٧ وخلاصة العلامة الحلبي: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٥١/٣٢٠ - ٣٢١ و٣٥٣ و٣٥٥ و٣٥٧ - ٣٥٨ و٣٧١ و٣٧٣ و٣٧٦ و٣٧٧ ومجمع الرجال: ٧/١٩٠ ومعجم رجال الحديث: ٥/٢٤٠.

توص إلى أحدٍ يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً. وسيأتي شيعتي مَنْ يدَّعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كاذب مفترٍ. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

«قال: فنَسَخْنَا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلما كان اليوم السادس عدنا إليه وهو وجود بنفسه، ف قيل له: مَنْ وصيك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه. ومضى رضي الله عنه».

وروى الطوسي بسنده عن أبي عبد الله محمد بن أحمد الصفواني قال: «أوصى الشيخ أبو القاسم - رضي الله عنه - إلى أبي الحسن علي بن محمد السمري - رضي الله عنه -، فقام بما كان إلى أبي القاسم. فلما حضرته الوفاة حضرت الشيعة عنده وسألته عن الموكل بعده ومن يقوم مقامه، فلم يُظْهِر شيئاً من ذلك، وذكر أنه لم يُؤْمَر بأن يوصي إلى أحدٍ بعده في هذا الشأن».

وكانت وفاة السمري - رحمه الله - في النصف من شعبان سنة ثمان وعشرين أو تسع وعشرين وثلاثمائة. وقبره ببغداد في سوق السراي معروف قائم حتى اليوم^(١).



(١) اقتبسنا هذه الترجمة من المصادر الآتية: كمال الدين: ٢٨٤ وغيبة الطوسي: ٣٩٤ - ٣٩٦ والاحتجاج: ٥٥٦/٢ وإعلام الوري: ٢٥٩/٢ - ٢٦٠ والخرائج والجرائح: ١١٢٨/٣ - ١١٢٩ وكشف الغمة: ٣٣٨/٣ وخلاصة العلامة: ١٣٤ وبحار الأنوار: ٣٦٠/٥١ و٣٦٢ ومجمع الرجال: ١٩٠/٧ ومعجم رجال الحديث: ١٨٦/١٢ - ١٨٧.

تنبيه:

قد يرى المراجع لبعض المصادر في تحديد مواضع قبور الوكلاء الأربعة المتقدمي الذكر ما يستشف منه الخلاف والتضارب فيما بينها، ومنشأ ذلك - كما يعلم المعنيون بالخطط - إطلاق أسماء بعض المواضع البغدادية على أماكن في الجانب الشرقي منها وفي الجانب الغربي أيضاً، مما يوقع الالتباس بسبب تشابه تلك الأسماء في تعيين مكان كل قبر منها بدقة ووضوح.

فشارع الميدان الذي ذكرت المصادر وجود قبر عثمان بن سعيد فيه ونصّ بعضهم على كونه بالجانب الغربي من بغداد؛ هو أحد موارد ذلك اللبس والاشتباه، لأن الميدان كما ذكر الخططيون «اسم لعدة ميادين في الجانبين الشرقي والغربي»، ولذلك نظائر كثيرة في أسماء خطط بغداد كلفظ (الْقُرْبَى) الذي كان اسماً لمحلّتين فيها إحداهما بالجانب الشرقي والثانية في الجانب الغربي، وكذلك (درب السلسلة) الذي نزله أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني - رحمه الله - وكان اسماً لدريين أحدهما بالجانب الغربي والآخر بالجانب الشرقي بجوار النظامية، وكذلك أيضاً (درب الآجُر) الذي كان محلة ببغداد من محال نهر طابق بالجانب الغربي، وهو غير (درب الآجر) الذي كان بالمحلة الجعفرية بالجانب الشرقي منها^(١). وإلى آخر الأسماء التي جاءت متشابهة في جانبي بغداد فكانت مدعاة لمثل ذلك الخلط والالتباس.

ولما كانت قبور هؤلاء الوكلاء الأربعة موضوع البحث قد توارث معالمها الخلف عن السلف جيلاً بعد جيل وعصراً بعد عصر، فهي من المسلمات المتلقاة يداً عن يد بالقبول فلا يصح التردد فيها أبداً، ولن

(١) بغداد قديماً وحديثاً: ٣٠٠ و٣١٨ - ٣١٩ و٣٢٤.

يصلح تشابه التسميات دليلاً على نفي موضع منها لأنه تشابه ناشيء كما أسلفنا من إطلاق هذه الأسماء على أماكن ومحلات في جانبي بغداد، وبهذا فقدت تلك النصوص دلالتها الصريحة على نفي صحة ما هو قائم تسالم عليه الناس منذ قرون خلت وحتى اليوم.



المصادر والمراجع

- * الأئمة الاثنا عشر/ لابن طولون الدمشقي، بيروت ١٣٧٧ هـ.
- * أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ/ للدكتور إبراهيم علي شعوط، القاهرة ١٣٩٦ هـ.
- * أبجد العلوم/ لصديق القنوجي، دمشق ١٩٨٨ م.
- * أبو الشهداء/ لعباس محمود العقاد - الطبعة الأولى -، القاهرة (مكتبة سعد).
- * الاحتجاج/ للطبرسي، النجف ١٣٥٠ هـ.
- * الأحكام السلطانية/ للماوردي - المطبعة المحمودية، القاهرة (بلا تاريخ).
- * الأخبار الطوال/ لأبي حنيفة الدينوري، القاهرة ١٩٦٠ م.
- * الاختصاص/ للمفيد محمد بن محمد بن النعمان، طهران ١٣٧٩ هـ.
- * الإرشاد/ للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، طهران ١٣٠٨ هـ.
- * الاستيعاب/ لابن عبد البر - هامش الإصابة -، القاهرة ١٣٥٨ هـ.
- * أسد الغابة/ لابن الأثير، القاهرة ١٢٨٥ هـ.
- * إسعاف الراغبين/ للشيخ محمد الصبان - هامش نور الأبصار، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
- * الإصابة/ لابن حجر، القاهرة ١٣٥٨ هـ.
- * الأعلام/ للزركلي، بيروت ١٣٨٩ هـ.

- * الأغاني/ لأبي الفرج الأصبهاني ج ٤، القاهرة (طبعة مصوّرة).
ج ١، «الجزء ١٥»، ج ١٧، القاهرة ١٣٨٩ هـ، «الجزء ٢١»، ج ٢٤،
القاهرة ١٣٩٤ هـ.
- * أغاليط المؤرخين/ للدكتور محمد أبو اليسر عابدين، دمشق ١٣٩١ هـ.
* أكتوبر/مجلة/ العدد ٣٣٤، القاهرة ١٩٨٣ م.
* الأمالي/ للشريف المرتضى، القاهرة ١٣٧٣ هـ.
- * الإمام الحسن بن علي (ع) [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن
آل ياسين رحمته/المؤلفات] بيروت.
- * الإمام الحسين بن علي (ع) [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن
آل ياسين رحمته/المؤلفات] بيروت.
- * الإمام الصادق/ لمحمد أبو زهر - مطبعة مخيمر -، القاهرة (بلا تاريخ).
* الإمام الصادق ملهم الكيمياء/ للدكتور محمد يحيى الهاشمي ط ٢،
دمشق ١٩٥٩ م.
- * الإمام علي بن أبي طالب (ع) / [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد
حسن آل ياسين رحمته/المؤلفات] بيروت.
- * الإمامة/ [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمته/
المؤلفات] بيروت.
- * الإمامة والسياسة لابن قتيبة - طبعة مصطفى محمد -، القاهرة (بلا
تاريخ).
- * الأمان/ لعلي رضي الدين آل طاووس، النجف ١٣٧٠ هـ.
* الأمثال/ لأبي عبيد القاسم بن سلام، بيروت ١٤٠٠ هـ.
* إنباه الرواة/ للقفطي، القاهرة ١٣٦٩ هـ.
* الأنساب/ للسمعاني، الهند ١٣٨٢ هـ.
* أنساب الأشراف/ للبلادري «الجزء الرابع، القدس ١٩٣٦ م.

- * إيضاح المكنون «يراجع: ذيل كشف الظنون».
- * بحار الأنور/ لمحمد باقر المجلسي ج ٣، طهران ١٣٧٦ هـ، «الجزء ٤٥»، «الجزء ٤٦»، طهران ١٣٨٥ هـ، «الجزء ٧٤»، طهران ١٣٨٦ هـ.
- * البحر المحيط/ لابن حيان الأندلسي، القاهرة ١٣٢٨ هـ.
- * البداية والنهاية/ لابن كثير الدمشقي، القاهرة ١٣٥١ هـ.
- * بغية الوعاة/ للسيوطي، القاهرة ١٣٢٦ هـ.
- * بهجة المجالس/ لابن عبد البر القرطبي، القاهرة ١٩٦٧ م.
- * البيان والتبيين/ للجاحظ، القاهرة ١٣٥١ هـ.
- * تاج العروس/ لمحمد مرتضى الزبيدي، القاهرة ١٣٠٦ هـ.
- * تاريخ/ أبي الفدا، القاهرة ١٣٢٥ هـ.
- * تاريخ الأدب العربي/ لبروكلمان - الترجمة العربية ج ١، القاهرة ١٩٥٩ م.
- * تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي، بيروت (طبعة مصورة).
- * تاريخ التمدن الإسلامي/ لجرجي زيدان، القاهرة ١٩٣ م.
- * تاريخ الخلفاء/ للسيوطي، القاهرة ١٣٥١ هـ.
- * تاريخ/ خليفة بن خياط، دمشق ١٣٨٧ هـ، ١٩٦٨ م.
- * تاريخ الخميس/ للديار بكري، القاهرة ١٢٨٣ هـ.
- * تاريخ/ الطبري، القاهرة، ١٩٦٠ م، ١٩٦٣ م، ١٩٧٣ م.
- * تاريخ/ اليعقوبي، النجف ١٣٥٨ هـ.
- * التبيين/ لموفق الدين المقدسي، الموصل ١٤٠٢ هـ.
- * تحف العقول/ لابن شعبة الحراني، النجف ١٣٨٣ هـ.
- * تذكرة الحفاظ/ للذهبي، الهند ١٣٧٥ هـ.

- * تذكرة الخواص/ لسبط ابن الجوزي، النجف ١٣٦٩ هـ.
- * تفسير/ القرطبي، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
- * التهذيب/ للطوسي محمد بن الحسن، طهران ١٣٩٠ هـ.
- * تهذيب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني، الهند ١٣٢٥ هـ، ١٣٢٦ هـ.
- * تفسير/ الرازي، القاهرة (المطبعة البهية).
- * التوحيد/ للإمام الصادق (ع) (نشرة المدرس بالحرم المكي)، بيروت ١٣٧٦ هـ.
- * الثقات العيون - القرن السادس، بيروت ١٣٩٢ هـ.
- * ثمرات الأوراق/ لابن حجة الحموي - هامش المستطرف -، القاهرة ١٣٦١ هـ.
- * جابر بن حيان/ للدكتور زكي نجيب محمود - سلسلة أعلام العرب -، القاهرة ١٩٦١ م.
- * جابر بن حيان وخلفاؤه/ للدكتور محمد محمد فياض - سلسلة إقرأ -، القاهرة ١٩٠ م.
- * جامع الرواة/ للأردبيلي، طهران ١٣٣٨ هـ ش.
- * جواهر الكلام/ للشيخ محمد حسن النجفي - ج ٢٠ -، النجف ١٣٨٩ هـ.
- * حديث الثقلين/ إصدار دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، القاهرة ١٣٧٤ هـ.
- * حلية الأولياء/ لأبي نعيم، بيروت ١٣٨٧ هـ.
- * الحماسة/ لأبي تمام - بشرح المرزوقي -، القاهرة ١٣٨٧ هـ.
- * الحماسة البصرية/ لابن أبي الفرج البصري، الهند ١٣٨٣ هـ.
- * حياة الحيوان/ للدميري، القاهرة ١٢٩٩ هـ، ١٣٥٦ هـ.
- * خزانة الأدب/ للبغدادى، القاهرة ١٣٥٦ هـ.

- * دائرة المعارف الإسلامية/ لجمهرة من المستشرقين - الترجمة العربية-، طهران (طبعة مصورة).
- * الدر المنثور في طبقات ربات الخدور/ لزینب فواز، القاهرة ١٣١٢ هـ.
- * دلائل الإمامة/ للطبري الإمامي، النجف ١٣٦٩ هـ.
- * دلائل النبوة/ للبيهقي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- * ديوان/ الفرزدق - طبعة الصاوي -، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
- * ذخائر العقبى/ لمحب الدين الطبري - طبعة مصورة-، طهران ١٣٨٧ هـ.
- * الذريعة/ للشيخ آقابزرگ الطهراني ج ٤، طهران ١٣٥٥ م، ١٣٦٠ م، ج ٥، ١٣٦١ م.
- * الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ لمحمد محسن الطهراني ج ٤، طهران ١٣٦٠ هـ.
- * ذیل كشف الظنون (إيضاح المكنون)/ لإسماعیل البغدادي، تركيا ١٣٦٦ هـ.
- * ذیل المذیل/ للطبري، القاهرة ١٩٧٧ م.
- * ربيع الأبرار/ للزمخشري، بغداد ١٤٠٠ هـ.
- * رجال/ الشيخ الطوسي، النجف ١٣٨١ هـ.
- * رجال/ النجاشي، الهند ١٣١٧ هـ.
- * زهر الآداب/ للحصري القيرواني، القاهرة ١٩٢٥ م.
- * زهرة المقول/ لابن شدقم، النجف ١٨٠ هـ.
- * روضات الجنات/ للخوانساري، إيران ١٣٩١ هـ.
- * زيد بن صوحان/ لمحمد حسن آل ياسين، «مخطوط».
- * زين العابدين/ للشيخ الدكتور عبد الحلیم محمود، القاهرة ١٩٧٨ م.
- * زين العابدين/ لعبد العزيز سيد الأهل، بيروت ١٣٧٢ هـ.

- * سر السلسلة العلوية/ لأبي نصر البخاري، النجف ١٣٨٢ هـ.
- * سمو المعنى في سمو الذات/ للعلائي، القاهرة ١٣٥٨ هـ.
- * سنن/ ابن ماجة، القاهرة ١٣٧٢ هـ.
- * سنن/ أبي داود، القاهرة ١٣٧١ هـ.
- * سنن/ الترمذي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
- * سنن/ النسائي - شرح السيوطي -، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
- * سير أعلام النبلاء/ للذهبي، القاهرة ١٩٥٦ م، بيروت ١٤٠٦ هـ.
- * السيرة الحلبية/ لعلي بن برهان الحلبي، القاهرة ١٣٥١ هـ.
- * شخصيات إسلامية/ لعبد الرحمن الشراقوي - دار إقرأ -، بيروت (بلا تاريخ).
- * شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلي، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
- * شرح الشواهد الكبرى/ للعيني - هامش الخزانة -، القاهرة ١٢٩٩ هـ.
- * شرح شواهد المغني/ للسيوطي بيروت ١٣٨٦ هـ.
- * شرح الصحيفة السجادية/ لابن معصوم المدني، إيران ١٣٣٤ هـ.
- * شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد، القاهرة ١٣٧٥ هـ، ١٣٧٨ هـ.
- * الشرف المؤبد/ للشيخ يوسف النبهاني، بيروت ١٣٠٩ هـ.
- * صبح الأعشى/ للقلقشندي، القاهرة (دار الكتب).
- * الصحاح/ للجوهري، القاهرة ١٣٧٦ هـ.
- * صحيح/ البخاري - طبعة محمد علي صبيح -، القاهرة (بلا تاريخ).
- * صحيح/ مسلم - طبعة محمد علي صبيح -، القاهرة (بلا تاريخ).
- * الصحيفة السجادية/ للإمام زين العابدين (ع)، بغداد ١٤٠٨ هـ.
- * صفة الصفوة/ لابن الجوزي، الهند ١٣٨٩ هـ.
- * صلة الخلف/ للروداني - مجلة معهد المخطوطات، الكويت ١٤٠٥ هـ.

- * الصواعق المحرقة/ لابن حجر الهيتمي، القاهرة ١٣١٢ هـ.
- * طبقات/ ابن سعد، ليدن ١٣٢٢ هـ.
- * طبقات/ خليفة بن خياط، دمشق ١٩٦٦ م.
- * طبقات أعلام الشيعة/ لآقابزرك الطهراني - نوابغ الرواة - القرن الرابع، بيروت ١٣٩٠ هـ.
- * طبقات الفقهاء/ لأبي إسحاق الشيرازي، بغداد ١٣٥٦ هـ.
- * العباب الزاخر/ للصغاني، مخطوط.
- * العبر/ للذهبي - ج ١ -، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- * عدة الرجال/ للسيد محسن الأعرجي، طهران ١٤١٥ هـ.
- * العقد الفريد/ لابن عبد ربّه الأندلسي، القاهرة ١٣٧٥ هـ.
- * عقيدة الشيعة/ لدونلدسن - الترجمة العربية، القاهرة ١٣٦٥ هـ.
- * عمدة الزائر/ للسيد حيدر الحسني، بيروت ١٣٩٩ هـ.
- * عمدة الطالب/ لابن عنبة الداودي النسابة، النجف ١٣٥٨ هـ.
- * عيون الأخبار/ لابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٣ م.
- * الغدير/ للشيخ عبد الحسين الأميني، النجف ١٣٦٤ هـ.
- * غريب الحديث/ لابن الجوزي، بيروت ١٤٠٥ هـ.
- * غاية النهاية في طبقات القراء/ لابن الجزري، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
- * الفائق/ للزمخشري - الطبعة الثانية -، القاهرة (بلا تاريخ).
- * الفتوح/ لابن أعثم الكوفي، الهند ١٣٨٨ هـ.
- * فتوح البلدان/ للبلاذري، القاهرة ١٣٥٠ هـ.
- * الفخري/ لابن الطقطقي - الطبعة الثانية -، القاهرة ١٩٣٨ م.
- * فرج المهموم/ لعلي رضي الدين آل طاووس، النجف ١٣٦٨ هـ.
- * الفرزدق/ للدكتور شاعر الفحام، دمشق ١٣٩٧ هـ.

- * الفصل/ لابن حزم - طبعة مصوّرة -، بيروت ١٣٩٥ هـ.
- * الفصول المهمة/ لابن الصباغ المالكي، النجف ١٣٧٠ هـ.
- * الفسر/ لابن جني، بغداد ١٣٩٠ هـ.
- * الفهرست/ لابن النديم، طهران ١٣٩١ هـ.
- * الفهرست/ للطوسي، النجف ١٣٥٦ هـ.
- * الفاموس المحيط/ للفيروز آبادي، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- * الكافي/ للكلييني محمد بن يعقوب، طهران ١٣٧٥ هـ.
- * الكافي/ لمحمد بن يعقوب الكلييني، طهران ١٣٧٥ هـ.
- * كامل الزيارات/ لابن قولويه، النجف ١٣٥٦ هـ.
- * الكامل (في التاريخ) / لابن الأثير، القاهرة ١٣٤٨ هـ، ج ٥، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- * الكامل/ للمبرد - طبعة نهضة مصر -، القاهرة (بلا تاريخ).
- * كذبة فارسية/ لعبد الحميد العلوجي، بغداد ١٩٨٦ م.
- * كشاف اصطلاحات الفنون/ للفاروقي التهانوي، القاهرة ١٣٨٢ هـ.
- * كشف الظنون/ لحاجي خليفة، تركيا ١٣٦٠ هـ.
- * كشف الغمة/ لعلي بن عيسى الأربلي، إيران ١٢٩٤ هـ.
- * كشف المحجة/ لعلي رضي الدين آل طاووس، النجف ١٣٧٠ هـ.
- * كفاية الطالب/ للكنجي الشافعي، النجف ١٣٥٦ هـ.
- * الكنى والألقاب/ للشيخ عباس القمي، صيدا ١٣٥٨ هـ.
- * لباب الآداب/ لأسامة بن منقذ، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
- * لزوم ما لا يلزم/ لأبي العلاء المعري، القاهرة ١٣٣٣ هـ.
- * لسان العرب/ لابن منظور محمد بن المكرّم، بيروت ١٣٧٤ م.
- * لسان الميزان/ لابن حجر، الهند ١٣٢٩ هـ.

- * لطائف المعارف/ للثعالبي، القاهرة ١٣٧٩ هـ.
- * مآثر الإنافة/ للقلقشندي، الكويت ١٩٦٤ م.
- * مرآة الجنان/ لليافعي، الهند ١٣٣٧ هـ.
- * مجمع الأمثال/ للميداني، القاهرة ١٣٥٢ هـ.
- * مجمع الرجال/ للقهبائي، إيران ١٣٨٤ هـ.
- * مجمع الزوائد/ لابن حجر، بيروت ١٩٦٧ م.
- * المحاسن والمساوىء/ لليهقي، القاهرة ١٣٨٠ هـ.
- * المحبّر/ لمحمد بن حبيب، الهند ١٣٩١ هـ.
- * المحتسب/ لابن جني، القاهرة ١٣٨٦ هـ.
- * مختصر تاريخ العرب/ للسيد أمير علي الهندي - الترجمة العربية -، القاهرة ١٩٣٨ م.
- * مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع/ لابن خالويه، القاهرة ١٩٣٤ م.
- * مروج الذهب/ للمسعودي، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- * المستقصى/ للزمخشري، الهند ١٣٨١ هـ.
- * مسند/ أحمد بن حنبل، بيروت ١٣٨٩ هـ.
- * مطالب السؤول/ لمحمد بن طلحة الشافعي، النجف ١٣٧١ هـ.
- * المعارف/ لابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٠ م.
- * معالم العلماء/ لابن شهر آشوب السروي، طهران ١٣٥٣ هـ.
- * معاني القرآن/ للفراء - ج ٣ -، القاهرة ١٩٧٢ م.
- * معاني القرآن/ للفراء، القاهرة ١٣٧٤ هـ.
- * معاهد التنصيص/ لعبد الرحيم العباسي، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
- * معجم الشعراء/ للمرزباني، القاهرة ١٣٥٤ هـ.

- * المعجم الكبير/ للطبراني ج ٢، بغداد ١٣٩٨ هـ، ج ٣، بغداد ١٣٩٩ هـ.
- * معجم المؤلفين/ لعمر رضا كحالة، دمشق ١٣٧٦ هـ.
- * مقاتل الطالبين/ لأبي الفرج الأصبهاني، القاهرة ١٣٦٨ هـ.
- * مقتل الحسين/ لأخطب خوارزم، النجف ١٣٦٧ هـ.
- * المقدمة/ لابن خلدون، القاهرة ١٣٤٨ هـ.
- * الملل والنحل/ للشهرستاني - هامش الفصل -، بيروت ١٣٩٥ هـ.
- * المناقب/ لابن شهر آشوب السروي، إيران ١٣١٧ هـ.
- * المنتخب من ذيل المذيل/ للطبري، القاهرة ١٩٧٧ م.
- * المنق/ لمحمد بن حبيب، الهند ١٣٨٤ هـ.
- * منهاج السنة/ لابن تيمية، بولاق ١٣٢١ هـ.
- * النابس - القرن الخامس، بيروت ١٣٩١ هـ.
- * نثر الدر/ للآبي - ج ١ -، القاهرة ١٩٨٠ م.
- * النجوم الزاهرة/ لابن تغرى بردى، القاهرة (طبعة مصورة).
- * النزاع والتخاصم/ للمقريزي، القاهرة ١٩٣٧ م.
- * نزهة المجالس/ للصفوري، القاهرة ١٣٥٤ هـ.
- * نسب قریش/ للمصعب الزبيري، القاهرة ١٩٥٣ م.
- * النصائح الكافية/ لمحمد بن عقيل الحضرمي، بغداد ١٣٦٧ هـ.
- * نصوص الردة في تاريخ الطبري/ [موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمته/ المؤلفات] بيروت.
- * نظرية الإمامة/ للدكتور أحمد محمود صبحي، القاهرة ١٩٦٩ م.
- * نهج البلاغة/ تعليق الشيخ محمد عبده - طبعه البابي الحلبي، القاهرة (بلا تاريخ).
- * نوادر/ أبي علي القالي، القاهرة ١٣٤٤ هـ.

- * نور الأبصار/ للشبلنجي، القاهرة ١٣٥٦ هـ.
- * هدية العارفين/ لإسماعيل البغدادي، تركيا ١٩٥١ م.
- * الوافي بالوفيات/ للصفدي، بيروت ١٣٨١ هـ.
- * الوزراء والكتاب/ للجهمشيارى، القاهرة ١٣٥٧ هـ.
- * وفيات الأعيان/ لابن خلكان، القاهرة ١٣٦٧ هـ.
- * وقعة الجمل/ لمحمد بن زكريا الغلابي، بغداد ١٣٩٠ هـ.
- * وقعة صفين/ لنصر بن مزاحم، القاهرة ١٣٨٢ هـ.
- * ينابيع المودة/ للقندوزي الحنفي، استانبول ١٣٠٢ هـ.



المحتويات

الإمام محمد بن عليّ «الجواد» (ع)

١٣ الإمام محمد بن عليّ «الجواد» (ع) بين ولادته وإمامته
٢٣ الإمام محمد بن عليّ الجواد (ع) بين إمامته وشهادته
٢٩ عبد الله المأمون
٣٠ محمد المعتصم
٥١ تراث الإمامة

الإمام عليّ بن محمدٍ «الهادي» (ع)

٨٦ الإمام عليّ بن محمدٍ «الهادي» (ع) بين ولادته وإمامته
٩٦ الإمام عليّ بن محمدٍ الهادي (ع) بين إمامته وشهادته
١٠٥ محمد المعتصم
١٠٥ هارون الواثق
١٠٦ جعفر المتوكل
١٠٩ محمد المنتصر
١٠٩ أحمد المستعين
١١٠ محمد المعتز
١٣٢ تراث الإمامة

ملحق الكتاب رسالة الإمام أبي الحسن الهادي (ع) في الرد على
 (أهل الجبر والتفويض) ١٦٩

الإمام الحسن بن عليّ «العسكريّ» (ع)

الإمام الحسن بن علي «العسكري» (ع) بين ولادته وإمامته ١٩٢
 الإمام الحسن بن علي «العسكري» (ع) بين إمامته وشهادته ٢٠٠
 المعتز ٢٠٤
 المهدي ٢٠٤
 المعتمد ٢٠٥
 تَرَكَ الإِمَامَةَ ٢٢٢

الإمام مُحَمَّدُ بنِ الحَسَنِ «المَهْدِيِّ» (عج)

الإمام مُحَمَّدُ بنِ الحَسَنِ «المَهْدِيِّ» (عج) بين ولادته وإمامته ٢٦١
 الإمام مُحَمَّدُ بنِ الحَسَنِ «المَهْدِيِّ» (عج) بين إمامته وَغَيْبَتِهِ ٢٩١
 الوجه الأول من أدلة الإمامة: نصُّ أبيه عليه ٢٩٢
 الوجه الثاني: النص النبوي على عدد الأئمة ٣٠٠
 الوجه الثالث: النص على اسم «المهدي» وَغَيْبَتِهِ ٣٠٣
 الروايات المصرّحة بكون المهدي من قريش ٣٠٤
 المهدي من أولاد عبدالمطلب ٣٠٤
 المهدي من العترة ٣٠٤
 المهدي من أولاد علي (ع) ٣٠٥
 المهدي من أولاد فاطمة (ع) ٣٠٦
 المهدي من أولاد الحسين (ع) ٣٠٦
 المهدي التاسع من ذرية الحسين (ع) ٣٠٧
 المهدي ثاني عشر الأوصياء وثاني عشر الأئمة ٣٠٧

- ٣٠٧ المهدي ابن الحسن العسكري (ع) الجريدة الأولى: في ذكر بعض الصحابة الذين رووا أحاديث المهدي (ع) ٣١٥ الجريدة الثانية: في ذكر المحدثين الذين نصوا على تواتر أحاديث المهدي أو صرّحوا بصحتها من غير الشيعة الإمامية .. ٣١٧ غيبة الإمام المهديّ (عج) بين المُثَبِّتِينَ والمُنْكَرِينَ ٣٢٤

مُلْحَقًا الكِتَاب

- ٣٤٣ الملحق الأول سرداب الغيبة ٣٤٨ الملحق الثاني وكلاء الإمام المهدي (عج) في غيبته الصغرى ٣٤٩ الوكيل الأول: عثمان بن سعيد ٣٥١ الوكيل الثاني: محمد بن عثمان أبو جعفر ٣٥٣ الوكيل الثالث: أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي ٣٥٨ الوكيل الرابع: علي بن محمد السمري ٣٦٢ المصادر والمراجع ٣٧٣ المحتويات

